

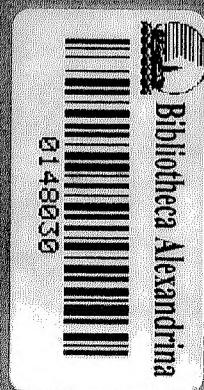
ادونيس

الأمم المتحدة

٢

هذا هو اسمي

وقصائد أخرى



للشاعر

(١) شعر

قصائد أولى ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أوراق في الريح ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أغاني مهيار الدمشقي ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المسرح والمرايا ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

وقت بين الرماد والورد ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقبي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط ٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط ٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيّدة ومنقّحة ، في أربعة أجزاء) :

١- الأصول ،

٢- تأصيل الأصول ،

٣- صدمة الحادثة وسلطة الموروث الديني ،

٤- صدمة الحادثة وسلطة الموروث الشعري .

(دار الساقي ، ١٩٩٤) .

فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .

سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الصوفية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

النص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .

(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان الشعر العربي :

الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .

الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة ، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

- حكاية فاسكو ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
السيد بوبل ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٢ .
مهاجر بريسبان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
البنفسج ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٣ .
السفر ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .
سهرة الأمثال ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس ،

- منارات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
منفى ، وقصائد أخرى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

- فيلر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٦ .



هذا هو اسمي
وقصائد أخرى

أدونيس



هذا هو اسمي

وقصائد أخرى

منشورات



Author: ADONIS

Title : The Poetical Works, II

اسم المؤلف : أدونيس

عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية /

هذا هو اسمي وقصائد أخرى

Al Mada : Publishing Company

الناشر : دار المدى للثقافة والنشر

First Published in 1996

تاريخ الطبع : ١٩٩٦

Copyright © Al mada

الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢

بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.

Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025

Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 , Fax: 7773992

P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No Parts of this Publication may be reproduced, stored in aretrieval system , or transmtied in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or other wise, without prior permission in writing of the publisher.

إشارة

أثرتُ أن أنشر أعمالِي الشعرية بترتيبٍ آخر: القصائد القصيرة في مجلد ، والقصائد الطويلة في مجلد ، والنصوص غير الموزونة في مجلد . يتخلى هذا الترتيب عن التتابع الزمني ، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع . إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي – الفني الذي يتأسس فيه النص ، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره . هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال ، إضافة إلى أنها تنسخها . وهي ، إذن ، المعتمدة ، وحدها .

باريس ، نيسان ١٩٩٦
أدونيس

الفراغ

1

حطام الفراغ على جبهتي
يمدّ المدى ويُهيلُ الترابا
يُغْلِغِلُ في خطواتي ظلاماً
ويمتدّ في ناظريّ سرايا .
هنا ، عبرَ دربي ، يموت ربيعٌ ويصفّرُ ريفُ
هنا ، في عروقي ، صدىٌ للجفاف ودمدمةٌ وصريفُ
هنا ، في دمي يولد الخريفُ
وفي حاضري يَتَمَرَأُ ،
وتبعد عنيّ ، تبعد شمس المصير ، وتناي .
وينخطو الخريف وينمو هوىٌ ويحنُ
ويكبرُ : في خطوه حالمون ،
وفي صدره ساحرون وجنُّ .
حطام الفراغ يغيبُ نجمي ، يجمدُ أرضي
ويترك بعضي كهوفاً لبعضي ،
ويجعلنا كالفراغِ

حطامُ الفراغِ .

2

وفي أرضنا شبحٌ يتمطى
 سراياً ورملاً
 ويملاً أعماقنا يباساً
 ويملؤها دُكْنَةً ومخلًا .
 وفي أرضنا مللٌ يُبدعُ المقابرَ
 وينثرها ، عبرَ أيامنا ، أنيناً وعبرَ خطانا ، مجاززُ .
 هنا الحقدُ ركّزَ راياته
 وشرعها قِمةً وطريقاً
 يحطّ على توقنا صقيعاً
 ويَصْرُمُ في حبنا حريقاً .
 وللحقد في شعبنا
 بلادٌ وشعبٌ
 له ساحةٌ واصطخابٌ وحربُ
 يوسخُ أجواءنا
 ويحفرُ أبناءنا
 كهوفَ ضلالٍ وقبحِ ،
 ويصفع في وجههم كلَّ نجمٍ
 ويخنق في جفنه كلَّ صبحٍ .

نوافذ أَيْامِنَا حُطِّمَتْ
ولم يبقَ فيها ستارٌ
وفجر أساطيرنا مغلقٌ
يخيِّط أجفانه الغبارُ .
وأطفالنا بهجةٌ تتمحى
ومقبرةٌ وانتحابٌ
لهم تتلَهَّف حتى القبورُ
لهم يتلَهَّف حتى الترابُ
فأمس ، الفراغُ ، فراغ المتاهاتِ ، ضيِّع أحلامهم
وضيِّع آمالهم
وأنبَتَ فيهم بذور المواتِ
وأطفَأَ فيهم ضياءَ الحياةِ
وأمس فراغ المتاهاتِ أحرق بلداننا
وخرَّب عمراننا
وبالأمس ، كان يجوِّب في شعبنا
ويرذل ما عزَّ من حبنا
وكان يُطوِّفُ عِبرَ المدينةِ
ويطرِد منها السكينةِ
وعاملها في يديه ، يشلُّ يديه...
ويسلبُ حتى جبينه

ويمضي ، وخلف خطاهُ تثنُّ وتندب أبوابها الحزينه .

4

فراعُ زمان بلادي فراعُ
وتلك المقاهي
وتلك الملاهي
فراعُ
وهذا الذي ذلَّ في أرضه وأنكرها واستكانا
ولوث أنهارنا وربانا ،
فراعُ
وذاك الذي ملَّ من شعيه
ومن حبه
وغمَّس باليأس أعماقه
وأحداقه ،
فراعُ
وذاك الذي لا يرى غيره
ولا يجد الخير خيراً ، إذا لم يكن خيراً ،
فراعُ فراعُ .
فراعُ يعيشُ فيه الدمارُ
ويسكنه الفاتحون التتارُ
هنا ، حرَّم يوطاً ،

هنا شرفٌ يصدأ
هنا عالمٌ يَهْدُ
ويوقف عن سيره ويرُدُّ .

لِمَن جيلُنا يحرقُ البخورَ لِمَن يسجدُ
وأيَّ إلهٍ تُرى يعبدُ؟
لِمَن ينتمي ويشدُّ يديه اعتدادا
ويحيا له صيحةٌ وجهادا؟
لِمَن فصلُ اليوم ليلاً وشمسا
وسوى له العمر أنا وأمسا ،
لِمَن يتربَّى ، لِمَن يكبرُ؟
تكاد ، على عقمه ، الآلهة
تعاف قرايينه الوالهة
وتركلهم واحداً واحداً
وتكبر عنهم وتستكبرُ .

5

فراعُ فراعُ ... ألا ثورةٌ
تشيد لنا بيتنا
وتُجري معاصرُها زيتنا
وتملأ بالحاصدين الحقولا

وتملاً بالخلق ، بالثورة العقولا ؟
ألا ثورة في الصميم تُنشئنا من جديد
وتمحق فينا هوان العبيد ؟
ألا ثورة في الصميم تُبدع من أول
حياة الغد المقبل
وتفتح أجفان أبنائنا على الزمن الأجل
على العالم الأفضل ،
ألا ثورة ، ثورة في الصميم تُبدع من أول ؟

6

أفي موطني يُولد الفراغ أفي عمره ؟
ونحن المليثون من فطرة الوجود ومن سره ؟
بنا يفرح الزهر والماء
يفرح حتى الحجر
وتفرح في أرضنا الينابيع يفرح فيها الشجر
فنحن ثراها ونحن شذاها
ونحن تفتّحها المنتظر .

7

بلى في بلادي أنا ثورة
تُنور أزهارها

ويهدر إغصارها
 وفيها دمٌ نائرٌ
 يُعمّر دنيا ويهدم دنيا
 على كُبره تستفيق الحياةُ
 وفي دَفقه تتعالى وتحيا .
 بلى في بلادِي أنا خالقونَ
 وساعٌ كأفاقها الواسعه
 نقيون كالشمس في غُرِيها
 فتيون كالأنجم الطالعه .
 يُحبون في أرضهم كلَّ شيءٍ
 ولا يياسون ولا يحقدونَ
 وبينون من جرحهم صرحها
 ويروون من دمهم صبحها
 ويستقطرون ويستخلصونَ
 هم المشرقون على أرضنا صباحاً أصيلاً
 هم الواقفون على مجدها الزمان الطويلاً .

بلى في بلادِي أنا خالقونَ
 بنبض شرايينهم عمروها
 محوا عتمة اليأس واليائسين بأجفانهم
 بفرحتهم لامتلاك الوجود ، بأحزانهم

هنا دَفَقُوا دَمَهُمْ فِي الزَّمَانِ
هنا اختصروا عمرهم في ثواني
هنا ملأوا كلَّ شيءٍ يقينا

ولم يبق في شعبنا فراغٌ
ولم يبق في أرضنا فراغٌ
وها في بلادِي ، بلاد الفراغ ، يموت الفراغُ .

8

بلى في بلادِي لكلَّ الزمان لكلَّ المصير اكتناهُ
وإن شوَّهوهُ
وفيها لخلقٌ ، لصيرورة الحياة إلهُ
وإن أنكروهُ .
سنملاً أَيْامَنَا بالمعجزة ، نشرع فيه النفوسَ دروباً وألويةً وينودا
ونجعل من كِبَرنا اللّهب ونجعل من حَبِّنا الوقودا
وتفتح أجفانها الحقيقةُ
على الطلّة الأصيلة فينا على الصبيحة العميقة
ويلقى الزمان الجديد طريقه

9

صغار بلادِي شموعٌ مضيئة

صغار بلادي يغنوننا
أغانيهم البريئة
يقولون : «في أرضنا ثورةٌ
تُفجّرُ من أولِ
حياة الغد المقبلِ
وتفتح أجفاننا
على الزمان الأجملي» .
يقولون : «في أرضنا
يموت الذين أزاغوا وزاغوا
يموت الفراغُ» .

(دمشق ، 1954)

العمل

للعمل
شمر زئد الأمل
وانطلقا ،
يزرع في ساعده
يَزْرَعُ فيه الأُفُقَا .
عمر في ضميره
معمله ومصنعه
وحقله وجنة
في حقله مضيئه
بالشوك بالدمع بنى
مسكنه ورصعه
كأنه من أول
ينمو به ويكبر
في وعيه ، في صدره
مستقبلٌ يَحْتَمُرُ .

أَصْلَهُ الْكَفَاحُ فِي الصَّخُورِ
 مِنْ أَوَّلِ الْعُصُورِ
 فَهُوَ عَلَى امْتِدَادِهَا كَالنَّسْغِ ، كَالْجُدُورِ .
 هَا زَرْعُهُ ، يَنْبِتُ فِي جَفُونِهِ وَيُورِفُ
 كَأَنَّهُ أَجْنَحَةٌ تَرْفَرُ .
 وَفِي غَدٍّ عَلَى ضِفَافِ حَبِّهِ يَطُوفُ
 لَهُ السَّمَاءُ جِبْهَةً وَقَامَةً وَمَعْطَفُ .
 هَا زَرْعُهُ ، مِثْلُ فِيهِ مَسْكَنُهُ
 مِثْلُ فِيهِ شَعْبُهُ وَمَوْطَنُهُ .
 حَقُولُهُ الْمَحْرُوثَةُ الْمَخْدَدَةُ
 لَهُ ، لِكُلِّ شَعْبِهِ مَجْنَدُهُ
 يَلْمَحُ فِي نَمْوِهَا
 أَجْيَالُهُ الْمَخْلُودَةُ
 يَلْمَحُ فِيهَا بَيْتُهُ
 وَنَارُهُ وَمَوْقَدُهُ
 وَشَمْعَةٌ رَاهِبَةٌ مَبْتَهَلَةٌ
 تَرْقُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ
 رَاعِشَةٌ مَشْتَعَلَةٌ
 وَتَهْدَأُ
 يُؤَلِّدُ فِي رَمَادِهَا
 كَفَاحُهُ وَيَبْدَأُ .

في بيته حكاية طويلة تُتسرّد
يكنمُ فيها الأبدُ
يرغفها الرّغيفُ ،
والمعجن النّظيف
وهي وراء البيدرِ
تَلَهّفُ ، وطفلة صغيرة لم تكبرِ
وهي أمام المصطبة
عباءة مقصّبه
شائخة مهذبّه
وهي ، على الحصر
والتخت والنحوانِ
وفي لهيب المدفأه
زوّعة مختبئه
تسكبُ في الزمانِ
حرارة المصير .
يا زند يا مشمرُ
يا ثورة في أرضنا ، في عمرنا تُفجّرُ
يا عرقاً يندفقُ
يغرق فيه الشفقُ
مطرزاً بالحلمِ
محملاً بالألمِ

ويا دمًا تفحّما
في السّاعد المشرّع
وبرّما
يا زند يا مشمّر
يا ثورة في أرضنا في عمرنا تُفجّر
أنتَ لنا التجدّد
والكبر والتمرّد
أنتَ لنا الحياة والبناء
والأرض والسماء
يا لهب المجامر
يا زند يا ممرّد
أبدعَ لنا أرض الأمل
أرض العمل
وارم علينا ظلّها
وظلّها
وغنّنا
سقسقةَ الجداول
وخلّنا
نكبرُ مع السنابلِ
والثّوت والنخيلِ
والفجر والأصيلِ

وخلّنا
نشرع زند الأملِ
للعملِ .

في الأرض في حقولها
في صدرها المشقّق
في سرّها المفتّق
نكشف عن نفوسنا
وننتمي ونرتقي
نَبْسطُ فيها العُمرَا
خمائلاً وأنهرَا .
يا عَمَلُ
يا واضعاً حدودَهَا
يا مشرعاً بنودَهَا
قلْ نحنُ نحنُ العملُ
نحيا له ونُجِبلُ
وقلْ على فؤوسنا
ينتظمُ المكانُ
وقلْ على زنودنا
يتبدئُ الزّمانُ .

الثانو

(مقاطع)

1

شُدَّ يا ثائرُ ، يا عاصف ، زلزلْكَ
فالأعالي تشتهي ، تعشق بندك
ما هو العالم بعدك؟

هذه زلزلةُ ترنو إليك
نُشِئت تحت يديكا ،
فأثرها
وأدرها
وليكُ اللاّ حدّ حدك .
وسّع الدنيا إذا شئت ،
وإن شئت اختصرها :
جُمِعَ التاريخ عندك .

2

لك غنيتُ حياتي

لكَ رَيِّتُ عَلَى الثَّوْرَةِ ذَاتِي .
كُلَّ حَرْفٍ فِي نَشِيدِي
طِينُ إِنْسَانٍ جَدِيدٍ
يَتَغَذَّى بِكَ بِالشَّمْسِ الْعَتِيقَةِ
يَتَغَذَّى بِالْحَقِيقَةِ...

3

يُولَدُ التَّارِيخُ فِي شَمْخَةِ صَدْرٍ
فِي انْتِفَاضَةٍ
وَيَلَاقِي فِي دَجَى الْمَوْتِ بَيَاضَةً
كُلَّ فَجْرِ .

4

سِرٌّ مَعِي يُحْفَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْيَقِينُ
وَالْحَنِينُ .
سِرٌّ مَعِي نَفْتَحُ عَلَى الْمَغْلَقِ بَابَا
وَكِتَابَا .
سِرٌّ مَعِي تُشْبِكُ عَلَى الْحَلْمِ الْجَفُونُ
وَيَكُونُ
كُلُّ مَا لَيْسَ يَكُونُ .

5

في رواينا نداءاتُ تروُدُ
موطناً بكَراً جديداً ،
إنَّ في التيه شريدا
سيعودُ .

6

حولك العالمُ تَعْبَانُ وفي عينيه ظُلْمَةٌ
لا يرى ، لا ينقشُ اللَّفْتة في المغمض نجمه .
وهو لا ينسجُ للصبح رداةً
وبهائةً .
لا تَسْلُهُ
رملهُ نَشْفَ نَبْعَةٍ
وانتشلُهُ ،
تُحرقُ العُثمَةَ شمعَةً .

7

عَبْرَ أيامك في المستقبلِ
موعدٌ لم ينجل .
لكَ فيه طفلةٌ ترضع ، كالثدي ، السُّنينا
وتُسوي لك يسراها ، من الحبِّ ، يمينا .

لك فيه قلقٌ مَدُّ يديه
وطوى الكونَ إليه ،
لك فيه قصَّةٌ لم تكملِ
قصَّةُ المستقبلِ .

8

زندك المتعبُ يجري نَهراً ، يرفع بيتنا
وهو في قنديلنا الشَّاحِب يسَّاقط زيتا .
ها هنا يسبح غيمه
وتعاريش وخيمه
أنتَ صليتَ عليها وانحنيتَ :
زندُ ، يا مُتَعَبٌ ، يا خالِقُ ، من أين أتيتَ؟

9

في سواد الأفقِ
تتهاوى صاعقةُ
حُمِلتَ بالشَّقِّقِ
بالفصول العاشقةُ .

10

عندنا تنبتُ للصُّخْر جفونُ

وعيونُ
عندنا يُنْسَجُ للغيمِ سريرُ
وحصيرُ
عندنا تشعر كالنَّاسِ الجبالُ
والتَّلالُ
كلُّ شيءٍ عندنا يحملُ فأسَهُ
ويُغيِّرُ ،
ينتضي كالاحتِمِ بأَسَهُ
ويسيرُ .
كلُّ شيءٍ عندنا ينحتُ صدرَهُ
بيديه
ناغهِ واخُنْ عليه
يُكشِفُ المجهولَ عبرَهُ .

11

كلُّ جرحٍ
هو في آفاقنا طَلَّةٌ صَبَّحِ .

12

يُحِ صَوْتُهُ
هو كالشرنقة الصفراء ، يحيا فيه موْتُهُ .

شاردُ حَطَّ خطاهُ فوق زُلَّةٍ
وهوى ، إلا أقلَّه
ليس يدري ، أهو القبر ، أم القبر سواه؟

13

يا أغاني في حناياه تمورُ
وتثورُ...
زُئريه
واغمريه ،
واكتبي فوق ترابه
بعضَ ما به ؛
فهو الآن ، كما صوّر ، فحمة ،
وغداً يطلع نجمه .

14

أين ذنبي ،
حينما أوقظ للثورة قلبي
وأصلي لدواليه ، لريفه
لخريفه ،
وأنقيّه ، أنقي خفقاته
من سباته

من دياجير حَيَاتِهِ . . .
أين ذنبي
حينما أفتح للعالم قلبي؟

15

في بلادي تشرق الشمس المضيئه
كالخطيئه .

16

أيّ نار
لم تصلصل: «قلبه اللاهَبُ جَمري وأواري»
أيّ فرقذ
لم يقل: «عيناه معبذ» .

(صوت)

أنا ، هذا الضّحى لَمَمْتُ أنبعاثاتي
وسوّيتها لشعبي عيدا -
فليكنْ بعدي الضّحى تقليدا .

مجنون بين الموتى

[مأساة في أربعة مشاهد]

(يصور هذا العمل عالم جندي خرج من الحرب ، وقد أصيب بخلل عقلي وتشوّه في أن معاً . فهو يتخيل دائماً أنه يتحدث مع أصوات الذين رآهم ، يملء عينيه ، يقتلون حوله : ذلك انفلقت جبهته ، وهذا تفرّزت أحشاؤه ، والآخر يحشرج ، وغيره فتت نثره ، نثره) .

الأشخاص

الجندي المجنون المشوه ، أصوات ، الصدى

المشهد الأول

الجندي ، الصدى

[الليل هادئ ، صافٍ . يشرف الجندي ، في وقفته ، قريباً من بيته
المنعزل في طرف القرية ، على وادٍ سحيق] .

الجندي : (يغني وهو يربط خيط حذائه العسكري الذي بقي معه لسبب ما) .

تنهض بي وترتمي
مطرقةً من الدم
كأنما طنينها
يجبسنني في قُـمقمٍ .

الصدى : م . . . مي . . .

الجندي : (لم ينته من ربط حذائه)

بيّ الروابي تُـمهدُّ
بيّ الزمانُ يُـحصدُّ
خرافة الحياةِ
والبدء والممات
مرسومةً بشكلي
محفورةً بذاتي .

الصدى : تي . . . تي . . .

الجندي : (متابعاً غناه) .

كنتُ وما برحتُ
شيئاً من الكفاحِ
والياس والجراحِ
لو متَّ لاسترحتُ .

الصدى : ت . . . ت . . .

الجندي : (يجلس وهو يغني)

لأيِّ جمالٍ وحبٍّ وخيرٍ
أحاربُ غيري؟
لأيِّ قضيةٍ
أوسُخُّ بالعقد ، فيّ ، عروقي وكلِّ شعورٍ
وكلِّ خليةٍ؟

(يتوقف لحظة ثم يتابع)

لِلاشيءٍ أصبغُ بالآفك عيني ،
وجبهة أرضي
وأخنق نبضي ،
وأفصل بين الوجود وبينني .

الصدى : ني . . . ني . . .

الجندي : (يتابع غناه وهو يفك من جديد سيور حدائه) .

خَرَسُ الأصدااء في سَمْعِي تفوّة

أنني صرتُ مشوّة
يَضْمُرُ الممكنُ في نفسيَ والشكلُ الصحيحُ
كلّ ما شئت سرابٌ كلّ ما جمعت ربحُ .
(ينهض ، ثم يتابع بشيء من الرعدة)
في عروقي قلقُ
في جفوني أرقُ
ولكم أكره فيّ القلقا
والأرقا
ونجومَ الليل ، والليلَ وهذا الأفقا .
الصدى : (ويسمع طويلاً حاداً)
قا ... قا ...

المشهد الثاني

أصوات ، الجندي ، الصدى

(يتمدد الجندي على العشب ، كأنه يريد أن ينام ، يزداد لمعان النجوم
تألقاً ، تبدو للهدوء الشامل أغوار أخرى) .

صوت : يا عابر الطريق

مُرَّ على شقيقي

وابحث خلال بيتي

عن كفنٍ لميت :

عباءةٍ طُرزتها بقصب العقيقِ

يا عابر الطريق

الصدى : ق ... قي ...

صوت آخر : يا أيها الخيالُ

عنيّ ما يقالُ؟

مَن مات ، مَن تبقى؟

من سادّ واسترقا؟

بعدي ، بعد موتي ما قيل؟ ما يُقالُ؟

هل بطل السؤالُ

هل أمكن المحالُ؟

يا أيها الخيالُ

الصدى : قا... ما... لُو... لُو...

صوت آخر : كان في جيبِي الصغير قصيدَه

كتبتَها مفاصلي وشراييني وأودعتها الحياةَ

الجديده

كيف صارت؟ وأين؟ أشعر أني غائبٌ ، هَمَّ

ضوءُها أن يُعيدَه .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : أسمع همس طفلٍ غُمَس بالدموعِ

يلعبُ في ضلوعي ،

أحسَّه أمامي ضرعاً من الضروع ،

يطفر في الرؤابي يضيغ في الزروع .

الصدى : عي... عي...

الجندي : (يتنفض مذعوراً ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويحدق أمامه) .

ماذا يُريد الصدى مِنِّي... ماذا يُريد؟

وفي من رَجَعه ألفُ فمٍ أو يزيد... .

(يتابع محدقاً ، يدها خشبتان ، وصدرة مغارة) .

ما العارُ ، ما الغارُ؟

ما الفرقُ ، في موتِي ، إن ضمَّنِي

نَبْعٍ ، أو اجْتَنَّنِي النَّارُ؟

وجودُنا محض سديميةٌ

ونحن في السديم أقدارُ
ليس مع الموت جديدٌ يُرى
وليس في الحياة أسرارُ .
الصدى : (أقوى هذه المرة ، وأكثر حدة)
رؤ ... رؤ ... رؤ ...

[ينهض الجندي ، سيور حذائه محلولة ، حاسر الرأس... يده اليمنى
تتحرك كأنها قطعة واحدة معلقة بمسمار في حائط كتفه واليسرى كأنها
تحتضن خاصرته] .

المشهد الثالث

أصوات ، الجندي ، الصدى

[لا يزال الجندي واقفاً . يجلس قريباً من مكانه الأول . في هذه اللحظة يسقط شهاب من السماء ، ويعكس الهدوء الشامل عواء ابن آوى . هاتان الحادثتان تثيران فيه ، كما يبدو ، مشاعر مبهمة غريبة تنطق بها قسماات وجهه . يعاود تمدهه ، ويود لو ينام] .

صوت : عِشْ للحظة

واقتحمها

واغتنمها

كل شيء ، بعدها ، وهمّ ولفظه .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : قُلْ لطفلي

أن يرى العالم والأشياء مثلي .

الصدى : (لا يكاد يسمع) ل . . .

صوت آخر : سوّ صدري وبقايا اللحم فيه وصلبيّة

أغنياتٍ للحبيبه .

الصدى : (لا يسمع)

صوت آخر : أكره الناس والحياة
أي شيء يخافه من تخطأهم ، ومات ؟
الصدى : يا ... حات ...
صوت آخر : كنتُ أحيا كالغراب البرص
نثرة في قفص .
الصدى : ص ... صي ...
صوت آخر : كحذائي
يبرق العالم شمسي الرّواء
وكوجهي كلّ كنه .
الصدى : ني ... هي ...
صوت آخر : عند جيبني .
تنتهي الدنيا ويبدو كلّ غيب .
الصدى : ب ... بي ...
الجندي : (وكأنه يتحدث بلا وعيه)
من أنا ... أيّ عُصافه
تخلدت شكل خرافه ؟
الجندي : (متابعاً وكأنه لم يسمع شيئاً)
كالحجره
لا أشعرُ
لا أقدرُ
جُسّد عُمرِي في حذاءٍ هَرَي ، في مطرّه .

صوت : (يصعد قوياً ، حاداً)

قم انهضِ

واهربْ من الموت وشمّرْ واركضِ .

الجندي : (ينتفض ، ويجلس ، قدماء ممدودتان ، ودلائل الخبل على وجهه) .

يا . . . كيف ، كيف أنهضُ

والموت في مفاصلي

في داخلي

يفتح عينيه على تشوّهي ، ويُغمضُ .

(يتوقف برهة ، ثم يقول متابعاً) :

في جسدي ثقلُ الزمنْ

ثقل الخراب والدمنْ

في جسدي يدُ الكفنْ

يدُ العفنْ .

(بعد فترة وجيزة ، وبلا مبالاة)

فيه الكيانُ المحضُ واللاكيانُ

كالموج ، في الصراع ، لا يهدأنْ

لا الأمس من عُمرِي ولا أيّ أنْ .

المشهد الرابع

الجندي ، الأصوات ، الصدى

[ينهض الجندي ، ويتمشى بخطوات وثيدة في منحدر الوادي ، حاسر الرأس ، ولا تزال سيور حدائيه محلولة] .

الجندي : (متمنئاً) ما المصير؟

صوت : (عميقاً ، مديداً ، يبدو كأنه صدى) .

شَلَلٌ ، طَرْحٌ ... يطيرُ .

الجندي : (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمنى)

ما الإله؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما كانَ سواه .

الجندي : (متطلعاً إلى فوق) .

ما المغيب؟

الصوت والصدى معاً : حاضرٌ بالظنّ ، بالخوف يُطَيّبُ .

الجندي : (غاضباً بصره) ما البدايه؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما صار نهايه .

الجندي : (وهو يضغط على جبينه بأصابع يده اليسرى ، ويده اليمنى في جيبه) .

ما الحقيقة؟

الصوت ، فقط : شُرطِيّ شقّ بالسوط ، طريقة .

الجندي : (ملتفتاً وراءه ، نحو بيته)

ما الزمان؟

الصوت والصدى معاً : ضفدع نقّ ، ورمْل ودخانُ

الجندي : (متوقفاً عن سيره الوثيد)

ما الحياة؟

الصوت والصدى معاً : سِرْبُ أطفالٍ صغارٍ .

عمّروا كوخاً من العشب وماتوا .

[يحاول الجندي أن يتابع سيره ، فيعثر ، ويسقط ، ويتدحرج على

المنحدر... في هذه اللحظة ، يختلط كل شيء ، الأصوات والأصدا

وصوت الجندي وصوت تدحرجه... ويبدو العالم كأنه عاد إلى السديم]

(القيطرة ، 1956/2/2)

السديهم

[مأساة في ثلاثة أدوار]

إلى مجانيين. العالم

(تعبّر هذه المأساة عن مرحلة نفسية عشتها . حين كتبتها كنت
أجلس ، فعلاً ، في غرفة صغيرة مع ثلاثة مجانيين ، وكنت أشعر أن
العالم يبدو لي من خلالهم) .

الحياة قصة يرويها أبله .

شكبير

يمكن للحقيقيّ أحياناً ، ألاّ يشابه الحق .

يوالو

من المعقول أن تحدث أشياء كثيرة ضد المعقول .

أغاتون

الأشخاص

المجنون الأول ، المجنون الثاني ، المجنون الثالث

الدور الأول

[المكان غرفة صغيرة ، جدرانها تراب مدهون بالأصفر والأزرق ، سقفها أشبه ببيت عنكبوت ، خيوطه من الخشب ، فيها أربع طاقات ، ثلاث منها مغلقة — والأصح مسدودة — . تكسوها حصيرُ التصقت بصحنها ، نتنه ، يقبع في إحدى زواياها ثلاثة أشخاص : رأس الأول محلوّق يلمع كالزيت ، شبه عار يلبس قميصاً بنصفي كم ، فتح على صدره فتحة دائرية واسعة ، في يده خِرْقٌ أخرى ، يعاينها ويتفحصها ويقول إنه يصطاد منها «ذئب النوم» ، ويعني القمل .

يتكئ الثاني إلى الجدار ، يلتحف بغطاء أسود ممزق ، على رأسه شملة معقودة حول عنقه . مثبتة بحزام أحمر عُقد عقدة ذات شعبتين ، تسترسل فوق جبهته وتلطم حاجبيه وجفونه أحياناً .

ويحضن الثالث مِرْقَة جريدة علق بها شيء من السكر يلحسها بحركة من لسانه ، معتوهة ، له لحية طويلة يختلط فيها البياض والسواد بشكل يبدو أخاذاً .

الثلاثة غارقون في حديث مبهم يبدو أنه لا ينتهي ، رغم أنه ليس في ملامحهم ما يدل على أنهم فعلاً غارقون في مثل هذا الحديث . كانوا أشبه بجزيرة منعزلة بين الأشخاص الآخرين في الغرفة الصغيرة التي تتموج بهم] .

المجنون الأول : في داخلي تتكوّن

أشياء هذا العالم

وبأضلعي تتلوّن

وبخاتمي :

هي كالمآسي ، بالخديعة والضلال

تُهوّن .

المجنون الثاني : (دون أن يبدو أنه يشارك الأول في حديثه)

ماذا؟ أليس عن القدر

نسخ البشر

سيفر الوقائع والمصير

وتفكّروا

وتبصّروا :

فهنا الحقيقة كالتفاضلة لوّثت طرف

الحصير

وهنا الضحى يتحلّز

فوضى : صباح لا يرى وألوهة تتوّن .

المجنون الثالث : (بلهجة صوفية وكأنه أدرك ما قيل)

يا شمس لونك حائل

يا أرض أسك مائل :

للمصخر أرذاف تهزّ وللتراب جدائل .

المجنون الأول : (بسرعة) ماذا تقول؟

المجنون الثالث : حبلت بقاتلها العقولُ .

[تخيّم فترة من الصمت يعكّر هدوءها المجنون الثاني ، وهو

يلكز المجنون الثالث قائلاً] .

المجنون الثاني : حدّق ، جدارُ الغرفة السوداء

المجنون الثالث : (ببلاهة) ماذا؟

المجنون الثاني : ينطقُ

في مقلتيه زئبقُ

يتلو صحائف قلبه ويعيدها ويمزّقُ .

حدّق ، أراه يُحدّق .

المجنون الثالث : (يلتفت فتقع عينه على ثقب في الجدار)

ذاك ثقبُ

عبره تنشب حربُ .

المجنون الأول : (وهو يلتفت إلى الجدار ويحدّق فيه)

تلك فتحة

عندها خبأ ليل العمر صبيحة .

والزوايا

هي للموت مرايا .

المجنون الثاني : (ببرودة) للجدارِ

عنقُ لفٍ بغارِ

وشرارِ

سطحه كأسٌ وخمرٌ وثناياه جوارِي .

(يلتفت إلى المجنون الصامت ويتابع)

لبس الحائط خُفَّةً

مَدَّ كَفَّهُ

وعلى العالم سلَّم

(يتابع مقهقهأ)

يا . . . تكلم .

الدور الثاني

[المكان ذاته . المجنون الأول يجلس القرفصاء ، يده اليسرى تلعب فوق ركبتيه . عيناه ضائعتان . يده اليمنى تحك تارة صدره وتارة رأسه . يجلس الثاني ويده اليمنى تسند ذقنه ، واليسرى لا مكان ثابت لها . أما الثالث فعيناه إلى الأرض] .

المجنون الثالث : (يسمع وقع أقدام) ما الناسُ ، ما سوانا؟

المجنون الأول : (بلهفة) دودٌ على خطانا

ومنخرا ذباباً ،

ملساء كالسحابة .

المجنون الثالث : (بسرعة) وحُفَرٌ مليئةٌ

بالقيء والخطيئة .

الدور الثالث

[المجانين الثلاثة يتضحكون ويتهامسون بحركة لا تفتقر . قام الأول
وخطا بضع خطوات ، ثم عاد وجلس . وتمدد الثاني وهو يتشاءب . ثم رجع
إلى وضعه الأول . والثالث يفرك يديه] .

المجنون الثالث : (مشيراً إلى تزاويق على الجدار)

في مدى هذي الحديقة

ألف بحرٍ وحريقه

المجنون الأول : (بشيء من الحدة) لم تقل أنت الحقيقة

هذه خيطان سحرٍ قُزَحِيَّاتٍ رقيقة

صاغت السَّلم طيرا

وبياض الكلس ديرا .

المجنون الثاني : (متطلعاً من الطاقة المفتوحة ، مشيراً إلى ما يبدو منها ، من الفضاء) .

أي شيء هو هذا

ولماذا؟

المجنون الثالث : (بتعقل الشينوخة)

هو بحرٌ من هواءٍ صبيغٍ للشمس ملأذا ،

وهو للعميان مرسّم
ولجرح الموت بلسّم .

المجننون الأول : والطّيورُ
أُكْرَفَ فيه تدورُ .

المجننون الثالث : (يُفَاجَأُ بفراشة تدخل من الطاقة ، فيصيح)
ها فراشة ،
بجناحيها كَسَا الأفقُ فراشة .

المجننون الأول : (يظن أن الفراشة سنونو ، فيصيح وكأنه لم يسمع ما قاله المجنون
الثالث) .

ها ، سنونو
أه لو أني كالطير أكونُ
أه ، لو أني حمامه
أو غمامه .

[يصمت الثلاثة فترة قصيرة ثم يفاجئهم المجنون الثالث قائلاً
وهو يشير إلى جملة الأشياء ، حواليتهم] .

المجننون الثالث : هذه الأشياء سوداء غريبة
المجننون الثاني : (بلهجة مكتشفة)

هي لم تكتب على لوح الخرافات العجيبه
لم تُبَيِّنْ .

المجننون الثالث : هي في الخلق سديمٌ بعده لم يتعيَّن .
(يصمت ثم يتابع ، وكأنه يضرب أمثلة)

الرَّوَابِي

صلواتٌ وخوابي .

والجدارُ

قفصٌ يبيكي ونار .

المجننون الأول : (مقلداً لهجة المجنون الثالث)

والحصاةُ

شهدُ نحلٍ لا يُسمَّى

قطرت منه الحياةُ

هي في النشأة أفعى

وهي في الرجعى صلاة .

والمأذن .

المجننون الثالث : (مقاطعاً) هي للصوت مخازن .

(بصمت ، ثم يتابع بلهجة الحكيم)

كلَّ عُرْفٍ .

محض إشكالٍ وخُلفٍ .

المجننون الثاني : (بلهجة الحكيم أيضاً) والعالم اختلاطُ

وحجرٌ يخاطُ

وموجة تهنّدسُ

وهو ، أو أن يُدرَسُ

كتابةٌ منبهمه

تُزري بكلّ ترجمه .

المجننون الأول : (بشيء من العيوس)

من محال الكون أن تمحو

في الكون الخطيئة

فهي للحق بناءً

ورداء

وهي بالحق مليئة .

المجننون الثالث : (بفرح ممزوج بالحزن)

ومن الباطل أن تُقصَى عن الباطل أرضُ

فهو في العالم قَرَضٌ .

المجننون الثاني : (بنبرة موافقة)

نظف الأرض من الشرِّ ، فلن تلمح خيرا

واحذف الأفق يصير كل دبيب فيه طيرا .

المجننون الأول : (بابتسامة خفيفة)

لتكونا

لتصير الجوهر العالي على كل حياةٍ

ومماتٍ ،

عد سكونا

صيرُ ترابا

أو كتابا .

(تمر فترة صمت ، يضحك المجنون الثالث فجاءة ، وهو يقول)

ألقُ النهار وسادةً

وبداية الليل امرأة
والموت أول شاعرٍ
تخذ النّهاية مبداءً .

[تسيطر على الثلاثة بالعدوى ، أو بغيرها ، نوبة كبيرة من
الضحك ، فيرقصون ويغنون] .
ليس في العالم إمكانٌ للغزِ
أو لرمزٍ
فلقد يختبئ العالم في كِسرة خُبْرٍ .

(القنيطرة ، سورية ، السجن العسكري ، أواخر آذار ، 1956)

سمعتُه وفمه حجارةٌ

- ١ -

سمعتُه وفمه حجارةٌ :

«خُطايَ لا أريدُها ،

ثَقِيلَةٌ ، رَتِيبةٌ .

وهذه سلاسلِي

أَموتُ في رَينِها ، -

سلاسلِي حديدُها إلَه .»

وقال والترابُ في جفونِهِ ، وصوتهُ غوايَةٌ :

«السَّاعةُ التي تَجيءُ ، لم تَجيءُ» .

- ٢ -

نافذتي التي رَبطْتُ ناظري بِصوئِها

مغلقةٌ ،

وَبَصري مَكْفُونٌ

وحاضري دَمٌ - مصائرُ رهينةٍ ووطنٌ مسوّرٌ بموتهِ ،

والآخرون - الكون في بيوتهم
والله فوق طبقٍ من العقول مُتَرَفٍ .

- ٣ -

أَغْيَرِ الحَيَاةَ : شَكَلَ سِيرَهَا
وَأَدْمِيًّا مَوْثَقًا بِخَبِيرِهِ
يَقْصُصُ بِالْهَوَاءِ - يَبْقَى اللهُ فِي حَلْقُومِهِ مَعْلَقًا ؛
وَلَا يَزَالُ صَوْتُهُ
يَجْتَاحُنِي ، وَفَمِهِ حَجَارَةٌ :
«خُطَايَ لَا أَرِيدُهَا . . .»

- ٤ -

«تُرى ، تُرَاهِ جَسَدِي يُعِيدُنَا؟
وَهَلْ يَكُونُ مَوْتِي انْبِعَاثًا؟
وَهَذِهِ حَيَاتُنَا :
مُتَرَلِّونَ مَوْسِقُوا سَرَابِهِمْ ،
وَبَيْنَ كُلِّ خُطْوَةٍ وَخُطْوَةٍ
مَغَاوِرٌ تَأَلَّهَتْ ، وَنُصِبٌ .
وَمَاتَ قَبْلِي الْمَسِيحُ ، مَاتَ آخَرُونَ ، بَعْدَهُ...
تُرى ، تُرَاهِ جَسَدِي يُعِيدُنَا؟ .

— ٥ —

سمعت ، وفمه حجارة ، يقول : «بَعْدُ ، لا نرى
والسَّاعَةَ التي يقال إنها آتية ، توقفت» .
وقيل ، أمسِ غاب . غابَ صوته
وقيل مات : وجهه غوايةً
وناظراه أُفُقٌ ، نوافذٌ جديدةً ،
وساعدها جدولا شقائق .
وقيل : مَنْ خَفَّوا إلى وداعه
تَهَامَسُوا وتَمَتَّمُوا :
«أَبَالِدَمِ انْتَهَى الدَّمُ؟» .

(بيروت ، 1957/3/15)

البحث والرماد

(قصيدة في أربعة أناشيد)

١- الحلم

أحلمُ أنْ في يدي جمرةً
 آتيةً على جناح طائرٍ
 من أفقٍ مغامرٍ
 أشمُ فيها لهباً - قرطاجةَ العُصُورِ ،
 ألحح فيها امرأةً
 يُقال صار شعرُها سفينةً ؛
 ألحح فيها امرأةً - ذبيحةَ المصيرِ .

أحلمُ أنْ رثيَّ جمرةً
 يخطفني بخورُها يطيرُ بي لِبعلَبِكَ ،
 بَعْلَبِكَ مَذْبَحٌ ،
 يُقال فيه طائرٌ مولهٌ بموتهِ
 وقيل باسمِ غدهِ الجديدِ باسمِ بعثهِ
 يحترقُ
 والشمسُ من حصادهِ والأفقُ .

٢ - نشيد الغربة

فينيقُ ، إذ يحضنك اللهبُ أيُّ أفقٍ ترودهُ؟
والزَّعْبُ الضائعُ كيف تهتدي لمثله؟
وحينما يغمرك الرماذُ ، أيَّ عالمٍ تحسهُ
وما هو الثوب الذي تريدهُ - اللونُ الذي تحبه؟
وما تُعاني حينما تهمدُ كل خلجة؟
والسُّحرُ الذي امتلكت شمسهُ الأميرة
فينيقُ ، ما يكونُ؟
وما تكون الكلمة الأخيرة - الإشارة الأخيرة؟

غُربتكَ التي تُميت ، غُربتني
غُربتكَ التي تُحب ، تنتشي
غُربتكَ التي تموتُ هلعاً لغيرها
غُربتكَ التي تموتُ ولعاً بغيرها
غُربتكَ التي تُميت ، غُربتني - لا أُمُّ فوق صدركَ الموثقِ
باختناقه
لا أب يُحييك حنو قلبه .

غربتك ، الوحيد فيها ، غربتي
غربة كل خالق يحترق
يُولدُ فيه الأفق .

أغنيتي ، يقال عن أغنيتي ،
غريبة ،

ليس بها من الركام وتر ولا صدى
وجبهتي ، كما يقال ، مثلها غريبة .
غربتك التي تُميتُ غربتي
أزحتُ عن وجودي الركام والفراغ والدُجى
بلهفتي إلى السوى – بحبي العظيم ؛ لا تزال خلفي البوابة
الكبيرة ، السلاسل – الفراغ والركام والدُجى ،
ترصدني ، تُعلّقُ التفاتها بخطوتي .
مُشرّد أحبُّ حتى المالتين جبهتي سلاسلًا
الكامنين في الدروب غيلةً
مُشرّد أحسنني طفولةً
أحسنني أرفعُ بعلبكي العاشقة ، الوالهة الحجاز
أحترق ،

يكبر في الأفق – يُولدُ في الأفق
وحينما يَسْتَيْقِظُ الصباحُ
يطلعُ لي ، من أول ، جناحُ

مثلك يا فينيق
يا أيها الرفيق .

للموت ، يا فينيق ، في شبابتنا
للموت في حياتنا
منابع ، بيادر
ليس رياح وحدة ،
ولا صدى القبور في خطوره .
وأمس مات واحد
خبا وعاد وهجه
كان يرى بحيرة من كرز
حريقة من الضياء ، موعداً .
خبا وعاد وهجه
من الرماد والدجى
تأججاً .

وها ، له أجنحة بعدد الزهور في بلادنا
بعدد الأيام والسنين والحصى
مثلك يا فينيق فاض حبه
علا ، أحسن جوعنا له ، فمات – مات باسطاً
جناحه ، محتضناً حتى الذي رمده .

مثلك يا فينيق
يا حاضنَ الربيع واللَّهَبِ
يا طيريَ الوديع كالْتعبِ ،
يا رائدَ الطريقِ .

٣ - رماد عائشة

سمعتُ أنْ عندنا
سمعتُ أنْ بيننا
ثلاثةٌ من الركامِ يعشقون موتهم
واحدُهم مغارةٌ
والآخران صدأٌ :
«رَبَّاهُ ، لو نموتُ ، صار لحِمُّنا
شرائحاً من الحمى .
رباه ، لو نموت . كان عمرُنا عبادةً
فجدُّ لنا بداركُ
بأبدٍ يدومُ في جواركُ» .

ثلاثةٌ من الفراغِ -
واحدٌ مغارةٌ
والآخران صدأٌ :
«رَبَّاهُ ، كم تزلزل الجدارُ في عظامنا
وانطفأ السراج والصَّبَّاح في عيوننا

وجمدت صلاتنا على اسمك القديم
ونسيت قلوبنا اللذائذ الخطايا
أمله بوعدك الكريم .

ثلاثة من الركام ، يكبرون كالحصى
وكالحصى يفكرون ، واحد مغارة
والآخران صدأ ، صدى لها :
« يا رب صرت آخراً :
مفاصلي مسامر
وركتاي خشب .
ربي هنيئ موضعاً مباركاً لعبدك اللليل
هنيئ مقعداً منعماً أكوابه من ذهب
وفضة ، ولدائه مخلدون –
هنيئ الخلود في جوارك الحبيب ، يا إلهي .
ثلاثة من الفراغ يكرهون عمرهم
للفراغ عندنا
مجامر كبعلبك ؛ للفراغ ناره وموته وبعثه :
ما أروع الحريق ، ما أجله
ما أعظم العراك ، أي بطل سينتهي
لمن يكون الزمن الذي يجيء ،
والعراك هل يموت ، هل يخف ، هل يظل قائماً؟

عائشة جارتنا العجوز مثل قفص مُعلّق
تؤمن بالركام والفراغ والطرز
وبالقضاء والقدر
أهدابها منازل النجوم ، كلّ نجمةٍ خبز
عائشة تقول إنّ عمرنا سحابةٌ بلا مطر
تقول إنّ الأرض أبشعُ الأكر
صورها الإله تحت عرشه
ومن علّ دخرجها
خطيئةٌ كأنّها البشرُ :
«يا ويلَ ، ويلَ من كفر
يا سَعْدُهُ من اعتبرُ» .
عائشة جارتنا تقيّةٌ ،
يحبّها القريبُ والبعيدُ
والمدُنُ الكثيرةُ الشوارعِ المزيّنة بالطرز .
يحبّها الحاضرُ في بلادنا ، الكامنُ فيها ورماً
ولافتات زينة
وقفصاً من الذباب أخضرأ .
عائشة جارتنا تقيّةٌ ،
حياتها جلودُ صوفٍ وخرافُ ورع
وحكمةٌ تعودُ بالأرض إلى سديمها
تحتجز الحياة في تكيّةٍ

من ورقِ الرمالِ
وطُخِّلَ الليالي .
عائشةُ جارتنا ، فينيقنا الجديدُ في حياتنا
كبيرةُ فارعة القوام تأخذ البصرَ
وتأخذ القلوب ، يا فينيق ، والفكرَ
كأنها القمرُ .

٤ - ترتيب البعث

فينيقُ ، يا فينيقُ
يا طائرَ الحنين والحريقِ
يا ريشةً
ساحبةً وراءها الظلام والبرقِ
مُسافرٌ خُطاكِ عُمُرَ زهرةٍ
لفتتكَ انخفاقةٌ وناظركِ منجمٌ ،
مُسافرٌ زمانك الغدُ الذي خلقتهُ
زمانك الغدُ - الحضورُ السرمدِيُّ في الغدِ
لموعدٍ :

به تصوير خالقاً ، به تصوير طينةً
تتحدُّ السماء فيك والثرى
فينيقُ في طريقك التفتُ لنا
فينيقُ حُنٌّ وأثثدُ
فينيقُ مُتٌ ، فينيقُ مُتٌ
فينيقُ ، ولتبدأ بك الحرائقُ
لتبدأ الشقائقُ

لَتَبْدَأُ الْحَيَاةُ
فَيْنِيقُ ، يَا رَمَادُ ، يَا صَلَاةُ .

نِيرَانُنَا جَامِحَةُ الْأَوَارِكِ يُوَلِّدُ فِينَا بَطْلًا
مَدِينَةً جَدِيدَةً
نِيرَانُنَا الْخَفِيَّةَ الْحُدُودِ فِي جَذُورِنَا
تَمَجِّدُ الْهَيْئَةَ الَّتِي بِهَا
يَحْتَرِقُ الْعَالَمُ كَيْ يَصِيرَ عَالَمًا مَثَلًا
اسْمُكَ - الرَّمَادُ وَالتَّجَدُّدُ
مِثْلُ اسْمِكَ - الْحَيَاةُ ، وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي تَمُوتُ فِدِيَةً ،
تَحْرِقُنَا ، تَرْبِطُنَا بِرَيْشِكَ الْمُرْمَدِ
لِنَهْتَدِي .

فَيْنِيقُ ، أَنْتَ مَنْ يَرَى ظِلَامَنَا
يَحْسُ كَيْفَ نَمَحِي
فَيْنِيقُ مَتَى فَدَى لَنَا
فَيْنِيقُ وَلَتَبْدَأُ بِكَ الْحَرَائِقُ
لَتَبْدَأُ الشَّقَائِقُ
لَتَبْدَأُ الْحَيَاةُ ،
يَا أَنْتَ ، يَا رَمَادُ يَا صَلَاةُ .

فَيْنِيقُ ، يَا فَيْنِيقُ

في معزلٍ عن الفراغ واليباب والدجى ،
أرى إليك تجمع الزمان - هذا الحطب الحلوبَ
مثل منبع
ترفعه حريقاً

أرى إلى جناحك انتشى ، علا ، هوى
أرى إليك في اللهب غارقاً
في معزلٍ عن الرمال واليباب والدجى
أرى إليك لهباً ، أرى إليك جمرة غريبةً
أليفةً صاحكةً إلى الضحى
في عزلةٍ عن الركام واليباب والدجى
أرى أرى رمادك
كأنه استعادك
كأنه أعادك .

فينيقُ خلٌ بصري عليك ، خلٌ بصري :
ألمحُ خلال نارك الغيب الذي يحتبى - الذي
يلفّ جرحنا ،

وألمح الركام والرمال والدجى
والله في قماطه ، الله الذي تلبسه أيامنا
حرائقاً وغُصصاً وجُدراً
تلبسه ولا ترى .
وافرحا ...

«سيدتي ، يا كتفَ الاسمنت ، يا خواصر الحديد ، يا تكيّة
تهدّمت ، ولا تزال حيّة عامرة .

سيدتي أنا اسمي التجدّد

أنا اسمي الغدّ

الغدّ الذي يقتربُ - الغد الذي يبتعدُ .

في مهجتي حريقه ذبيحة

فينيق سرّ مهجتي

وُحْد بي ، وباسمه عرفت شكلَ حاضري

وباسمه أعيش نار حاضري ،

سيدتي العجوز لستُ شاعراً

بالخطر الذي ترين ، ها يدي مليئة بلحمها

هادرة بدمها

وها أنا أسير ، دائماً أسير ، خطوتي

تحبّني ، وقدمي عاشقة غبارها ، نافضة غبارها

ولا أزال شاعراً بقوتي

صدري في علوه ،

وجبهتي كأرزة .

وافرحا ...

«يُفتَحُ صدر عالم أهدابه المحبة

البساطة ، الغدّ الذي لا تضمّر الشمس احتمالَ مثله .

تحضننا الألوهُةُ الرَّائِمةُ التي تحسّ مثلنا - التي تحسّ معنا .

فينيقُ خلّ بصري عليك ، خلّ بصري ،

فينيقُ مُتّ ، فينيقُ مُتّ

فينيق ، تلك لحظة انبعاثك الجديد :

صار شَبهُ الرمادِ ، صار شرّاً

والغابرُ استفاق من سُبَاتِه

ودبّ في حضورنا :

«أَبْطَلِ استدار صوب خصمه

للوحشِ ألفُ خنجرٍ

أنيابُه مطاحنُ

والظُفُرُ السَّيْنِ سُمٌّ حَيَّةٍ .

والبطلُ القويُّ مثلُ حَمَلٍ

تَمَوَّزُ مثلُ حَمَلٍ - مع الربيع طافرُ

مع الزهور والحقول والجداولِ

النَّجْمِيَّةِ العاشقة المياهِ ،

تموز نهرُ شرٍ تغوص في قِرارِهِ

السَّماءُ . تموزُ غُصْنُ كَرْمَةٍ

تُخبِثه الطيورُ في أعشاشِها ،

تموزُ كالإله .

أَبْطَلِ استدار صوب خصمه

تموز يستدير نحو خصمه :
 أحشاؤه نابعة شقائقاً
 ووجهه غمائم ، حدائق من المطر .
 ودمه ، ها دمه جرى
 سواقياً صغيرةً تجمعت وكبرت
 وأصبحت نهر
 ولا يزال جارياً - ليس بعيداً من هنا -
 أحمر يخطف البصر .
 واندثر الوحش وظل خصمه الإله
 ظل معنا شقائقاً
 جداولاً من الزهر
 وظل في النهر .

البطل اهتدى ، مضى لموته
 لا ، لن أرى جبينه الغريق في غيومه
 الغريق في بدوره
 ولن أخيط صدره ببؤي
 لا ، لن أراه مطراً وجثة من الرياح
 مطراً وجثة من الحقول والحصاد
 لن أرى صوانة الحياة في رماده
 ففي غدٍ أرى إليه صورةً جديدةً في بطلٍ يحبه

وفي غدٍ أسمعهُ أغنيةً حزينةً مفرحةً .

فينيقُ ، تلك لحظةُ انبعاثك الجديد ؛
 صار شبةُ الرمادِ صار شرراً ولهباً كواكبياً
 والربيعُ دبُّ في الجذور ، في الثرى ،
 أزاح رملَ أمسنا - العجوزَ والثلاثة :
 الركام والفراغ والدُّجى ،
 فينيقُ خلَّ جبهتي أسيرةً لذيكَ في علوكَ البعيدِ عن جفوننا ،
 البعيد عن أكفنا
 وخلَّني لمرّةٍ أخيرةً ، ألامس الترابَ في جناحك الرّميم -
 خلّني
 لمرّةٍ أخيرةً
 أحلمُ أن رثتيّ جمرةٌ
 آتيةٌ على جناح طائرٍ
 من أفقٍ مغامرٍ ،
 وخلّني أشمُّ فيها اللهب الهياكليّ ، - ربّما لصورٍ فيها سِمةٌ
 وربّما تجسدت قرطاجةُ :
 دقائقُ الغبار فيها لهبٌ
 وخلّني لمرّةٍ أخيرةً
 أحلمُ أن رثتيّ جمرةٌ
 يأخذني بخورها ، يطيرُ بي ؛

وخلّني لمرة أخيرة:
ها ركبتني حنيّتها
وها جلست خاشعاً
فخلّني لمرة أخيرة أحلم يا فينيق
أحتضن الحريق
أغيب في الحريق
فينيق ، يا فينيق
يا رائد الطريق .

(بيروت ، 1957/5/10)

الصقور

«وأقبلت النخيل فصاحوا علينا من الشط : ارجعا لا بأس عليكما ، فسبحت ، وسبح
الغلام أخي ، فالتفت إليه لأقوي من قلبه ، فلم يسمعني واغتر بأمانهم وخشي الغرق ،
فاستعجل الانقلاب نحوهم ، وقطعت أنا الفرات ، ثم قدموا الصبي أخي الذي صار
إليهم بالأمان فضربوا عنقه ومضوا برأسه ، وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ،
ومضيت إلى وجهي : أحسب أنني طائر وأنا ساعٍ على قدمي» .

عبد الرحمن الداخل

(صقر قريش)

١- أيام الصقر

هَدَأَتْ فَوْقَ وَجْهِي بَيْنَ الْفَرَسَةِ وَالْفَارَسِ الرِّمَاحُ
جَسَدِي يَتَدَخَّرُجُ وَالْمَوْتُ حُودِيهِ وَالرَّيَّاحُ
جُثَّتْ تَتَلَكَّى وَمَرْتِيَّةٌ ، -

وَكَانَ النَّهَارُ

حَجَرٌ يثْقُبُ الْحَيَاةَ

وَكَانَ النَّهَارُ

عَرَبَاتٌ مِنَ الدَّمْعِ ،

غَيْرُ رَيْنِكَ يَا صَوْتُ ،

أَسْمَعُ صَوْتَ الْفَرَاتِ :

- « قُرَيْشٌ ... »

قَافِلَةٌ تُبْجِرُ صُوبَ الْهِنْدِ

تَحْمِلُ نَارَ الْمَجْدِ ..

... وَالسَّمَاءُ عَلَى الْجُرْحِ مَمْدُودَةٌ ، وَالضُّفَّافُ

تَتَهَامَسُ ، تَمْتَدُّ :

بَيْنِي وَبَيْنَ الضُّفَّافِ

لُغَةً ، بَيْنَنَا حِوَارُ
حَضَنَتْهُ الْكَرَاكِيُّ ، طَافَتْ بِهِ كَالشَّرَاغِ
بَيْنَنَا ، -

وَأَفْرَاتُهُ ، كُنْ لِي جَسْرًا ، وَكُنْ لِي قَنَاغَ .
وَتَرَسَّبْتُ ،
غَيْرَ رَنِينِكَ يَا صَوْتُ ، أَسْمَعُ صَوْتَ الْفَرَاتِ :

- «فَرِيشُ» ...
لُؤْلُؤَةٌ تَشَعُّ مِنْ دِمَشْقَ
يُخَبِّئُهَا الصَّنْدَلُ وَاللَّبَنَانُ
أَرْقُ مَا رَقَّ لَهُ لِبْنَانُ
أَجْمَلُ مَا حَدَّثَ عَنْهُ الشَّرْقُ . . .»

... وَأَنَا فِي فِضَاءِ الْجَنَادِبِ تَحْتَ الْغَيْومِ الْجَرِيحَةِ
حَجَرٌ مَيِّتُ الْقَوَادِمِ ،
وَالْمَوْتُ يُسْرِجُ أَفْرَاسَهُ ،
وَالذَّبِيحَةُ
بَجْعٌ يَتَخَبَّطُ ،

غَيْرَ دَوِّيكَ يَا صَوْتُ
أَسْمَعُ صَوْتَ الْفَرَاتِ :

- «قَرِيشٌ...»

لم يَبْقَ من قَرِيشٍ
غير الدِّمِّ النَّافِرِ مِثْلَ الرُّمَحِ
لم يَبْقَ غيرُ الجُرْحِ»

إِفْتَحِي يَا بَرَارِي مَصَارِيحَ أَبْوَابِكَ الصَّدِثَاتِ :
مَلِكٌ وَالْفَضَاءُ خِرَاجِي وَمَمْلَكَتِي خُطَوَاتِي
مَلِكٌ أَتَقَدَّمُ أَبْنِي فُتُوحي
فَوْقَ هَذَا الْجَلِيدِ الْمُؤَصَّلِ ، فَوْقَ الْجَمُوحِ
أَعْرِفُ أَنْ أَجْرَحَ الرَّمْلَ ، أَزْرِعُ فِي جَرْحِهِ النَّخِيلَ
أَعْرِفُ أَنْ أَبْعَثَ الْفَضَاءَ الْقَتِيلَ ،
وَالطَّرِيقُ يُدْخِرُ أَهْوَالَهُ وَيَضِيقُ
وَالطَّرِيقُ مُرَايَا
كُتِبَ وَمُرَايَا
أَتَقَرَّرُ تَجَاوِفَهَا
أَتَفَرِّسُ
الْمَسُّ فِيهَا بَقَايَا
فَارَسٍ عَاشِقٍ الْخُطَى
أَقْرَأُ الْخُطْوَةَ وَالْعَشْبَ وَالنَّخِيلَ ، وَأُفَقِّأُ
نَسَجَتَهُ التَّنْهَدَاتُ الْقَصِيرَةَ
حَيْثُ لَا يَهْدَأُ الْحَرِيقُ

حيث لا تنتهي الخطوات الأميرة .

في الشقوق تَفَيَّات
كنت أجسُ الدقائق
أمنخصُ نُدَي القفار
سرتُ أمضى من السهم أمضى
عقرتُ الحصى والعُبار
كانت الأرضُ أضيقَ من ظلٍ رُمحي - مُتُ
سمعتُ العقاربَ كيف تصبى ، هديتُ القطا في المجهل -
مُتُ ، أنحنيتُ على الأرض أكثرَ صبراً من الأرض - مُتُ
انكَبَّيتُ على كاهل الريح
صَلَّيتُ
وشوشنتُ حتَّى الحجاز
وقراتُ النجوم ، كتبتُ عناوينها ومحوْتُ
راسماً شهوتي خريطةً
ودَمي حَبْرُها وأعماقي البَسِيطَةُ .

ساهرٌ بين جذري وأغصانه والمياه
نَضَبْتُ ،
والتَّوابعُ مملوءةُ الجباه
زَهراً يابساً وقبوراً وديعةً ،

صاعدٌ لِبُروجِ التحولِ حيثَ الفَجِيعَةُ
حيثَ يساقطُ الرَّمادُ
حيثَ يستيقظُ النَشِيعُ ويتنطفئُ السُنْدُبادُ .

لو أنني أعرفُ كالشاعر أن أُغيّرَ الفصول
لو أنني أعرفُ أن أكلّمَ الأشياءَ ،
سحرتُ قبرَ الفارسِ الطّفلِ على الفِراتِ
قبرَ أخي في شاطئِ الفِراتِ
(ماتَ بلا غُسلٍ ولا قَبْرِ ولا صَلاةٍ)
وقلتُ للأشياءِ والفُصولِ
تواصلِي كهذهِ الأجواءِ
مُدّي لي الفُراتُ
خَلّيه ماءً دافِئاً أخضَرَ كالزَّيتونِ
في دَمي العاشقِ في تاريخي المَسنونِ .

لو أنني أعرفُ كالشاعر أن أشاركَ الثُّباتِ
أعراسَهُ ،
فَنَعْتُ هذا الشَّجَرَ العاريَ بالأطفالِ ،
لو أنني أعرفُ كالشاعر أن أُدجِّنَ الغَرابَ
سَوَّيتُ كلَّ حَجَرٍ سَحَابَهُ

تُمْطَرُ فَوْقَ الشَّامِ وَالْفَرَاتِ ،
لَوْ أَنَّنِي أَعْرَفْتُ كَالشَّاعِرِ أَنَّ أُغَيِّرَ الْأَجَالَ
لَوْ أَنَّنِي أَعْرَفْتُ أَنَّ أَكُونُ
نَبُوءَةً تُنْذِرُ أَوْ عَلَامَةً ،
لَصَيَحْتُ يَا غَمَامَةً
تَكَائِفِي وَأَمْطِرِي
بِاسْمِي فَوْقَ الشَّامِ وَالْفَرَاتِ
بِاللَّهِ يَا غَمَامَةً ...

السَّمَاءُ انْفَتَحَتْ ،
صَارَ التَّرَابُ
كُتُبًا ، وَاللَّهُ فِي كُلِّ كِتَابٍ
سَاهِرٌ
لَمْ يَبْقَ فِي عَيْنِي سَرَابٌ ، -
عَلَامَةٌ تَأْتِي مِنَ الْفَرَاتِ :
أَنَا هُوَ السَّائِكُنُ فِي طَوْفِكَ يَا حَمَامَةً
فِي سَرَبِكَ الرَّاحِلِ يَا خَطَّافُ
أَنَا هُوَ الْوَاضِعُ كَالْعَرَّافِ
رُؤْيَاهُ وَالْعَلَامَةُ
فِي الْأَفْقِ فِي لُغَاتِهِ الْكَثِيرَةِ
أَنَا هُوَ الْفَرَاتُ وَالْجَزِيرَةُ .

علامة ...

مهلك يا حنيني ...

الصقر في بادية العروق في مدائن السريّة

الصقر كالهالة مرسوم على بوابة الجزيرة

والصقر تطيرز على عباءة الصحراء

والصقر في الحنين في الحيرة بين الحلم والبكاء

والصقر في متاهه ، في يأسه الخلاق

يبنى على الذروة في نهاية الأعماق

أندلس الأعماق

أندلس الطالع من دمشق

يحمل للغرب حصاد الشرق .

يكتب الصقر للفضاء لمجهوله السخي

سائلاً عن مكان ، كشرائه نقي

يومي الصقر للصقور -

متعب ، حملته متاهاته ، حملته الصخور

فحنا فوقها ، يغذي متاهاته ويغذي الصخور

وجهه يتقدم والشمس حوذيّه ،

والفضاء

موقد ،

والرياح عجوز تقص حكاياتها ،

والصَّقُورُ
مَوْكِبٌ يَفْتَحُ السَّمَاءَ ؛

يَرْفَعُ كَالْعَاشِقِ فِي تَفَجُّرٍ مَرِيدٍ
فِي وَلَهٍ الصَّبَّوَةِ وَالْإِشْرَاقِ
يَرْفَعُهَا لِلْكَوْنِ - هَذَا الْهَيْكَلِ الْجَدِيدِ
كُلُّ قَضَاءٍ بِاسْمِهِ كِتَابٌ
وَكُلُّ رِيحٍ بِاسْمِهِ نَشِيدٌ .

(بيروت ، ربيع 1962)

تحوّلات الصقر

كادت الفاقة أن تكون كفراً .

حديث شريف

عجبت ممن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس
شاهراً سيفه .

أبو ذر الغفاري

١- فصلك الداعم

هَدَأَتْ صَبِيحَةُ الْبَرَارِي :
الْغَيْومُ تَسِيرُ عَلَى النَّخْلِ
تَجْنَحُ فِي آخِرِ النَّخْلِ وَزْدِيَّةُ الصَّوَارِي ؛

هَدَأَتْ صَبِيحَةُ الرَّجُوعِ :
أَسْأَلُهَا - دَمِشْقُ لَا تُجِيبُ
لَا تُنْقِذُ الْغَرِيبَ
- « هَلْ مَرَّ؟ إِنْ يَمُرَّ
مَاتَ بِلَا صَوْتٍ هُنَا أَوْ سِرَّ .»

سَاكِنٌ حَيْثُ تَغْفُو تَطِيلُ الزَّفِيرُ
فِي حَقُولِ الْبُكَاءِ
فِي السَّرِيرِ الَّذِي فَرَشَتْهُ الدَّمُوعُ
فِي الْمَمَرِ الصَّغِيرِ
بَيْنَ أَجْفَانِهَا وَالسَّمَاءِ .
... هَدَأَتْ صَبِيحَةُ الرَّجُوعِ :

ليس في عيني شيء من حياتي
غير أشباح حزينه
غير أن الشجر الباكي على أرض المدينه
عاشق يسكن قلبي ويغني أغنياتي ؛ -

يا مرايا الضياع الطويل
غيري صورة القمر
لم يعد وجهها هناك
أمس كنا على القمر
فرأيناه عارياً
ورأيناه في الثياب
وصبغنا من النظر :
كان وجهاً من التراب .
غيري صورة القمر
لم يعد وجهها هناك
يا مرايا الضياع الطويل ...

هدأت صيحة الرجوع :

أمضي ويمضي معي الفرات
تتبعني الأشجار كالرايات

تَتْبَعْنِي عَيْنَانِ مِنْ مَجَامِرِ السَّنِينِ —
أَرْقِصُ فِي خَوَاصِرِ التَّنِينِ
مَعَ نَجْمَةٍ سَوْدَاءَ .

غَيْرَ أَنَّ الصَّوَّارِي
نَعَمَّ جَارِحُ الْقَرَارِ :
«إِنْ جَسْمِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ
وَفُؤَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ» (١) .
هَدَّأَتْ صَبِيحَةُ الرَّجْوِ
غَيْرَ أَنَّ الصَّوَّارِي وَطَنُ اللَّذَمَوْغِ :
«... وَلَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ ، إِذْنُ لَبَكَّتْ
مَاءَ الْفَرَاتِ وَمَنْبَتَ النَّخْلِ» (٢) .

هَدَّأَتْ صَبِيحَةُ الرَّجْوِ :
حَائِثُ حَائِثٍ ، وَلِي لُغَةٌ تَهْدِرُ مَخْنُوقَةً وَلِي أَبْرَاجُ
حَائِثُ أَصْلَبُ النَّهَارِ وَيُغْوِينِي رَعْبٌ فِي صُلْبِهِ وَهِيَاجُ
حَائِثُ تَأْخُذُ الشَّوَاطِئُ مِيرَاثِي وَتَحْمِي صَبَاحِي الْأَمْوَاجُ ،

«... غَنِيْتُ عَنْ رَوْضٍ وَقَصْرِ شَاهِقٍ
بِالْقَفْرِ ، وَالْإِيطَانِ فِي السَّرَادِقِ
فَقُلْ لِمَنْ نَامَ عَلَى النَّمَارِقِ

إِنَّ الْعُلَى شُدَّتْ بِهِمْ طَارِق
فَارَكِبْ إِلَيْهَا شَبَحَ الْمَضَائِقِ
أُولَا ، فَأَنْتَ أَرَذَلُ الْخَلَائِقِ» (٣) .

هَدَاتُ صَبِيحَةِ الرَّجُوعِ :
طَاغُ ، أَدْخَرُجُ تَارِيخِي وَأَذْبَحُهُ
عَلَى يَدَيَّ ، وَأَحْيِيهِ ،
وَلِي زَمَنُ أَقْوَدُهُ ، وَصَبَاحَاتُ أُعَذِّبُهَا
أُعْطِي لَهَا اللَّيْلَ ، أُعْطِيهَا السَّرَابَ ، وَلِي
ظِلٌّ مَلَأْتُ بِهِ أَرْضِي
يَطُولُ ، يَرَى ، يَخْضَرُ ، يَحْرَقُ مَاضِيهِ وَيَحْتَرِقُ
مِثْلِي
وَنَحْيَا مَعًا نَمْشِي مَعًا وَعَلَى
شِفَاهِنَا لُغَةٌ خَضِرَاءُ وَاحِدَةٌ
لَكِنْ أَمَامَ الضَّحَى وَالْمَوْتِ نَفْتَرِقُ .

هَدَاتُ صَبِيحَةِ الرَّجُوعِ :
أَحْلُمُ يَا دِمَشْقُ
بِالرَّعْبِ فِي ظِلَالِ قَاسِيُونَ
بِالزَّمَنِ الْمَاضِي بِلا عِيُونَ
بِالْجَسَدِ الْيَابِسِ ، بِالْمَقَابِرِ الْخَرَسَاءِ

تَصْبِيحُ : يا دمشقُ
 موتي هنا واحترقي وعودي
 تَصْبِيحُ : لا ، مُوتي ولا تَعُودي
 أَيْتَهَا الطَّرِيدَةُ المَلِيئَةُ الفَخْذَيْنِ يا دمشقُ .
 يا امْرَأَةً مَنْذُورَةً لِكُلِّ مَنْ يَجِيءُ
 لِلْحِظِّ ، أو لِلْعَابِرِ الجَّرِيِّ
 تَرَقَّدُ فِي حُجْمِي وَفِي ارْتِخَاءِ
 تَحْتَ ذِرَاعِ الشَّرْقِ
 رَسَمْتُ عَيْنِيكَ عَلَى كِتَابِي
 حَمَلْتُ مِيرَاثِكَ فِي شَبَابِي
 فِي الغُوطَةِ الخَضِرَاءِ فِي سَفُوحِ قَاسِيُونِ
 يا امْرَأَةً لِلوَحْلِ والنَّخِيطِ
 أَيْتَهَا الغَوَايَةِ المَضْيِئَةِ
 يا بَلَدًا كَانَ اسْمُهُ دِمَشْقُ . . .

أَمْسِ ،
 أَنَا والشَّعْرُ والنَّهَارُ
 جِئْنَا إِلَى الغُوطَةِ واقتَحَمْنَا
 بَوَابَةَ الرَّجَاءِ
 نَسْتَصْرِخُ الأشْجَارَ
 نَسْتَصْرِخُ الحَقُولَ والمِيَاهَ

ننسج منها رايةً وجيشاً
 نغزو به سماءكِ السوداء
 ولم نزلْ ننسج يا دمشق
 لا الموتُ يُلْهينا ولا سِوَاهُ
 أنى لنا الموتُ أو الراحةُ يا دمشق؟

وأمسى في نومي يا دمشق
 سَوَيْتُ تمثالاً من الصلصال
 حفرتُ في خطوطه البيضاء
 تاريخكِ الأسود يا دمشق
 ورحتُ في رُعبٍ وفي ابتهاج
 أسقط كالزكزال
 على رواابي جلقَ الجميلة
 أحضنُها أضربها أغني - هاها هلا هلال
 وقلتُ : لا ، فلتَبَقَ في حنيني
 وفي دمي دمشق
 وقلتُ : لا ، فلتَحترقِ دمشق
 واستيقظتُ أعماقي القتيلة
 مدعورةً تصيحُ : وأدمشقُ ...
 يا امرأةَ الرقصِ بلا يقين
 يا امرأةَ القبولِ

يا امرأة الضَّوْضَاءِ والدَّهْوَن
يا امرأةً مليئةً العروق بالغاباتِ والوحولِ
آيتُها العاريةُ الضَّائِعةُ الفخْذَينِ يا دمشقُ ،
تُصْنَعِينَ للموتى وللقبورِ والتَّكَايا
تُصْنَعِينَ في خُشُوعٍ
وَتَعشِقِينَ الجُثَّتَ الصِّفْرَاءَ والفَصْحَايا
وتَأْكَلِينَ الطَّيْنَ والدِّمُوعَ
آيتُها المنهومةُ القاضمةُ القشورِ يا دمشق ...

يا حُبُّ ، لا ...
عَفْوُك يا دمشقُ
لولاكِ ، لم أهبطُ إلى الأغوازِ
لم أهدمِ الأسوارَ ،
لم أعرفِ النَّارَ التي تُنادي
تَضَجُّ في تاريخنا ، تُضَيِّئُ
سَفِينَةَ الكونِ الذي يجيءُ ؛
عَفْوُك يا دمشقُ
آيتُها الخاطئةُ القُدَيْسَةُ الخطايا ...

١ ، ٢ ، ٣ أبيات تنسب إلى صقر قريش ، (عبد الرحمن الداخل) .

٢ - فصل الصعود إلح أبراج الموت

مرّ عليّ اللّهبُ الطّالع بعد الرّجّم
والتحمت في خطّوي العُصور
أعرفُ أن أجريّ مثل الماء
في رثّة الصّحراء
أعرف بعد الآن أن أغيّر العصور
أن أمزج العصور بالعصور
أعرف أن أعيدّها
قصيدة أو ثورة أو حلم . . .

أسرعي يا سحابة
أي أغنية تُنشدِين؟
أسرعي أسرعي يا سحابة
ما الذي تحمِلين
أيّ جبانة أو ربّاه؟

البحر نهرًا يُسافرُ ، يَكبو وينهض في رأسي البعيدِ

عاشقاً يتقصّى رُؤَايا
جالباً أخذاً بريدي
حفرته المسافة بيني وبين خطايا ...

خيمتي زوجة تلينُ كأطرافي
وتحنو ، وتنحني ، وتضيقُ
صدئتُ ، والبريقُ
حجرٌ جالس على طَرفِ الوجه نبيٌ لدمعهِ وصديقُ .

ما الذي تحملينُ
أيّ أغنيةٍ تنشدِين؟
أسرعيِ أسرعيِ يا سحابه ...
جَسَدي ضائعٌ ، صار قبري كالخيط في كُفّةِ العباءة
في الدُجى ،
والشُّباك التي تتصيّدُ أشباحه ، وَوَهْمَ الإضاءه .

أسمعُ صوتاً يعجّرُ على الرَّمْلِ أَيْامه الثَّقِيلَة
أسمع أحلامه القَتِيله
كلّ حلم قبيلة
والخيامُ حناجرٌ مشدودةٌ والحبالُ صَلَاةُ :
— «عَلَقِينَا هُنَاكَ ، بِالنَّخْلِ بِالْعُشْبِ

حيث الحياةُ

وَأَرْبَطِينَا إِلَى الْمَاءِ ...

— «لَا مَاءَ ، لَا عَاصِمٌ ، وَالنَّبِيُّونَ مَاتُوا» .

أَسْمَعُ تَحْتَ الْمَنَادِيلِ بَيْنَ الرُّكَّامِ

فِي الضُّحَى ، فِي انْكَسَارِ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ ،

فِي دَرَجَاتِ الظَّلَامِ

وَهِيَ تَعْلُو وَتَسْقُطُ ، بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسِ ،

بَيْنَ الصَّدَى وَالْأَنِينِ

أَسْمَعُ مِثْلَ الْحَنِينِ

مِثْلَ نُبْضِ اللَّيُونَةِ فِي صَخْرَةٍ لَا تَلِينُ

مِثْلَ دَفْقِ الْيَنَابِيعِ مِثْلَ الْكَلَامِ :

— «نَحْنُ يَا جَائِعُ كُنَّا مُتَخَمِّينُ

لَمْ يَكُنْ مَوْكِبُنَا يَمْشِي وَرَاءَكَ

لَمْ يَكْفَنَّكَ وَلَا صَلَّى عَلَيْكَ

نَحْنُ يَا جَائِعُ لَمْ نَسْمَعْ نِدَاءَكَ ...

نَحْنُ صَرْنَا جَائِعِينَ

فَتَقَبَّلْنَا لَدَيْكَ ،

أَمْسَ ، عَدْنَا مُتَعَبِينَ

فَارْتَمَيْنَا وَتَوَسَّدْنَا السُّنَيْنَ

وَحَلَمْنَا ،

وَرَأَيْنَا

أَنَّا فِي الْحَلَمِ صَلَّيْنَا عَلَيْكَ . . .»

الْمَحْ نَفْسِي هُنَاكَ فِي آخِرِ الرَّصِيفِ -
جَسَدِي حُفْرَةٌ خَاوِيَةٌ
أَعْرِفْ نَفْسِي هُنَاكَ فِي شَهْوَةٍ ضَارِيَةٍ
فِي جَبِينٍ تَعَوَّجَ فَوْقَ الرِّغِيفِ ،
أَعْرِفْ نَفْسِي هُنَاكَ فِي طِفْلَةٍ قَتِيلَةٍ
فِي السُّعَالِ الْمَدُورِ وَالرِّثَةِ الْمُسْتَطِيلَةِ
حَامِلًا صَخْرَةَ الْمَدِينَةِ
مَائِلًا كَالْقَنَاظِرِ فِي قُبَّةِ الْمَدِينَةِ
غَامِرًا أَنَّهُ الْمَدِينَةُ :

«أَسْمَعُ صَمْتَ الدَّهْرِ
يَحْمِلُ أَكْفَانَ الرُّؤْيَى وَيَغْسِلُ الْجَفُونَ
يَزْرِعُ أَشْجَارًا بِلا غَصْبُونَ
حَوْلَ ضَبَافِ الْعُمَرِ» .
وهنا ، بين الشَّقَوقِ
فَارِسٌ يُسْرِجُ عَيْنِيهِ عَلَى ضَوْءِ الْعُرُوقِ
يَحْضِنُ الْأَرْضَ وَيَسْتَسْلِمُ لِلْأَرْضِ وَيَغْفُو
مِثْلَمَا تَسْتَسْلِمُ النَّحْلَةُ لِلْأَرْضِ وَتَغْفُو
فِي عِبَاءَاتِ الْفَضَاءِ
مَطَرًا يَأْتِي وَوَاحاتٍ رَجَاءِ .

أعرفُ - صارتْ يدَاكَ
 خيمةٌ تتَمَوَّجُ كالغيمِ شَفَافَةُ السَّمَاءِ
 أعرفُ - صارَ الفضاءُ
 وَرَقًا أخضرًا يتطَايَرُ في بيتِكَ الغريبِ
 فأنا مِن هناكِ
 أيها الجائعُ الغريبُ
 ماتَ صوتي هناكِ
 عاش صوتي هناكِ
 كان صوتي نبيًّا رميتُ على شمسهِ ردائي
 كان شمسًا من الدَّمعِ مجروحةً ورائي ...

تائهٌ؟ كيفَ؟
 هاتِ صدركَ ، يا تائهُ ، واستمهلِ المدى والمسافةَ
 فرشتَ طفلي لكِ العِلمَ والنَّخلَ وغزلانَهُ
 وعنقَ الزَّرَافَةِ
 وروى حلمُها لجوعكَ ، وقتَ النومِ ،
 أسطورةَ الجفونِ القصيرةِ
 حيثُ تغفو ولا تنامُ
 وتُستَنَفِّرُ في صدركَ الرياحُ الأسيره ...

للرَّوابي نَارُ ، وللنَّخلِ أوتارُ

وفي اللَّيْلِ صَهْوَةُ المعراج
 حيث تَصَّاعَدُ الخُطَى
 ويصيرُ الحلمُ لوناً في سُلَّمِ الأبراجِ
 ويطولُ البحرُ القصيرُ
 وتهوي الرُّوحُ في جاذبيَّةِ الأمواجِ .
 علامةٌ :
 «لي قَرَسٌ . . . وها هو الإسراءُ» .
 علامةٌ :

من أَوَّلِ الزَّمانِ -
 «مِنْ ساحرٍ يَأْتِي بِلا دخانِ
 مِنْ حَجَرٍ يصيرُ يَاسمينَةً
 يحبلُ صمْتُ الأرضُ بالأغاني
 وتُولَدُ المدينَةُ» .

كَانَ أَنْ تَوَّرَ النَّخِيلُ وَأَثْمَرَ فِي صَرَخَاتِي
 حَيْثُ لاقَانِي الخَضِرُ ، صَلَّى صَلَاتِي
 حَيْثُ تَجْتَاحُنِي كَلِمَاتِي ،
 كَانَ أَنْ صَارَتِ الجِرَارُ
 لُغَةً المَاءِ والعَيُونُ
 كَانَ أَنْ أَصْبَحَ الجَنُونُ
 قَرَساً لِلنَّهَارِ ؛ -

كلّ شيءٍ يُسافر بين السّنابلِ
يحمل أسرارَهُ ، يَسْتَدِيرُ
خَشِيناً ، طَيِّباً كالرَّغِيفِ ،
كلّ شيءٍ يُسافرُ بين السّنابلِ
يهجرُ تاريخَهُ الأليفَ
كلّ شيءٍ يَصِيرُ
نُورساً يَتَمَوَّجُ حول المياهِ العميقةِ
في مَدَى بَحْرِي الكَبِيرِ -
بَحْرِ أَحلامِي الصّديقه .

تائه؟ كيف؟
هاتِ صَدْرَكَ ، يا تائه ، واستعجلِ المَدَى والمسافَةَ
فَرَشْتَ أرضنا لَكَ العَلَمَ
والنَّخْلَ وغزْلانَهُ
وعنقَ الزرافَةِ :
حانَ ميعادُنا ، والتَّلالُ
لبستْ خُفَّها ، سَبَقَتْنَا التَّلالُ .

تحتَ موجِ المدينَةِ
قمقمُ أَخْضَرَ فَرَشَتَهُ الرِّياحُ
ملكُوتاً ، ونامَتْ

فوق ريش النَّهَارِ
صار وجهي سواز
للمدى ، للسَّفينه
لِلشَّطوط الحزينه ،
طاب ، طاب الرَّجوعُ
لبُلاَد الحصون الأَمينه :
نَهَضت قِبَلَنَا الرِّيحُ
وَجَرَّارُ الدَّمُوعِ
غَسَلَتْ جَبْهَةَ الصَّبَاحِ .

سَأَغْنِي هُنَاكَ
سَيَكُونُ قَنَاعِي غَرِيباً :
يَدَايَ طَرِيقُ وَقُوسَانِ ،
رَأْسِي نَهْرٌ
وَوَجْهِي جَزِيرَةٌ
سَأَصِيرُ حَبِيباً يُغَامِرُ ، أَوْ عَاشِقاً مَلَاكَ
سَحَرَتْهُ الْأَمِيرَةُ .

مَنْ يُرِيدُ طَرِيقاً مِنَ الْبَرِّقِ ،
مَنْ يَشْتَهِي السَّمَاءَ
وَهِيَ حُبْلَى بِأَحْلَامِهِ ، وَالطَّرِيقُ

فَرَسٌ حَوْلَهَا يَدُورُ :
مِنَا هُنَا تَبْدَأُ الطَّرِيقُ
مِنْ هُنَا يَبْدَأُ الْعَبُورُ
مَنْ يَرِيدُ طَرِيقاً مِنَ الْبَرَقِ ، مَنْ مِنْكُمْ الرَّفِيقُ ؟

حَانَ مِيعَادُنَا ،
مَنْ يَلْمُ الْبُقُولَ
مَنْ يَهْزُ الْغُصُونُ الْخَفِيفَةَ
فِي سُهولِ الرُّوْى وَيَجْزُرُ الْخَيْولَ
مَنْ يُحِيرَاتُهَا الْقَصِيَّةَ
نَهْراً مُوحِشَ الرَّحِيلِ أَنْيساً إِلَى الرَّحِيلِ ؟
مَنْ يُقِيمُ عَلَى الْبُلْعِ دَاراً وَيَلْبَسُ كُوفِيَةَ النَّخِيلِ ؟

حَانَ مِيعَادُنَا ، وَالتَّلَالُ
لَبِستْ خُفُّهَا ، سَبَقَتْنَا التَّلَالُ .

٣- فصل الصورة القديمة

زمنٌ ينتهي ، وخيولٌ من الفجر محلولةُ الشكيمة
ترسمُ الصُّورةَ القديمه
لأحبائي الحيارى
في الضِّفافِ الحزينة في آخر الصِّحارى ، —
أه يا شكلي القديم
كيف يأتي ، يعود الغريبُ إلى شكله القديم؟
وبأي اللغات
سأحيي الفرات —
السَّريِرَ الذي هَزَنِي وسقاني من مائه الكريم؟

سأشوقُ عروقي
نَهراً يحملُ الفُضاءَ
سأدورُ مع الكوكبِ المغرَّبِ أو جمرة الشُّروقِ
لابساً قامَةَ الهواءِ
وأعودُ إلى نصفي المقيمِ
في الضِّفافِ الحزينة في آخر الصِّحارى

أَعْطِنِي أَنْ أَعْنِيَ أَحِبَابِي الْحِيَارَى
أَعْطِنِي أَنْ أَلْفَ حَيَاتِي
وَرَقًا ،

أَنْ أُسِيرَا
فِي جُذُورِ الرَّمَادِ
أَعْطِنِي أَنْ أَكْأَشِفَ هَذَا الْعَصَافِيرَ هَذَا الْجَمَادِ
أَعْطِنِي أَنْ أَكُونَ الْحَصَى وَالْحَرِيرَا .

فِي زَمَنِ اللَّيْلِكِ وَالسَّنُونُو وَالتَّوْرُسِ الْعَاشِقِ وَالْأَعْيَادِ
جِثْتُ إِلَى بَغْدَادِ

عَلَى بَسَاطِ جامِعٍ وَدِيْعٍ
كَانَتْ حَقُولُ الْعُشْبِ وَالنَّبَاتِ
كَانَتْ رِمَالُ الْمَاءِ وَالصَّحْرَاءِ
وَالسَّقْنُ الزَنْجِيَّةِ الْعَيْنِينَ فِي الْفِرَاتِ
حَنْجَرَةٌ خَضِرَاءُ

تَسْتَقْبِلُ الْآتِي بِلَا تَحْوِمِ
فِي مَوَكِبِ الْأَمْطَارِ وَالْغَيُومِ
مِنْ جِهَةِ الْأَرْضِ ، مِنْ الرَّبِيعِ ...

أَقْرِعُ أَجْرَاسَ الدَّمِ الْخَفِيِّ
تَحْتَ رِءَاءِ الْأَرْضِ

أصعدُ في المشاعل المقيمة
تحت جليد الرِّقْصِ
أجري مع الفرات
في زمنٍ سحريّ
من منع الطفولة القديمة الشَّيْخوخة القديمة .

كلّ دم الفرات
في جسدي يجري وفي حنيني
وها أنا أرتُّ السُّهولَ
أسهرُ في الأكواخ والحقولَ
أشدّ بالصَّيف يدَ الشتاء
أسيلُ أحلاماً على الترابِ
لا سَفَرُ فيها ولا غيابُ
أسيلُ طوفاناً من البقاء
أطردُ عن شواطئي
بحارة الرِّحيلِ
أهبطُ في أغواري الزَّرَقاءِ في أرومة القرابه
أبحثُ عن بديلٍ -
أبحثُ عن بَوَابَةِ الغرابَةِ .
جئتُ إلى بَغْدَادَ
في سَعَفِ النَّخْلِ وماء النُّهْرِ

في رثة العُصفور

ثَمَّةٌ سَجَانُ من الدماءِ
 تحرسهُ التَّيجَانُ
 يحرسُ أقفاساً من الرؤوسِ
 من جُزُرِ الأحلامِ والبُكاءِ ؛
 حَيَّيْتُهَا ، ملأتُ أغنياتي
 باللَّهَبِ الأرضيِّ بالفؤوسِ
 ورحتُ مسحوراً ، بغيرِ سحرٍ ،
 أخترقُ السَّجَانُ
 أفتحمُ المدافِنَ الطَّويلَةَ
 أدخلُ في الأقفاصِ في أبعادها التَّحِيلَةَ
 أشعلُ غاباتٍ بلا نهايةٍ ...
 جئتُ إلى بغدادَ
 في سَعَفِ النَّخْلِ وماءِ النَّهْرِ
 في رثة العُصفورِ
 كان أبو تَمَّامٍ
 مشتعلاً كالجمُرِ
 خلفَ شتاءِ اللَّيْلِ والأحلامِ
 يكتبُ أغنيتهُ
 بالقصبِ المكسورِ

بنجمة الميلاد
عن رحلة الصيفِ الشتائيّة
سوداء سحرية
تحيةً الآتي إلى بغداد .

لم يكن في الشوارع ، في الماء بين القبور
غير صمّت القيامة
ورأيت النواصي يَهْذِي ويحضن قارورة الكيمياء
مؤذناً بالعبور :

«كلّ رمح حمامة
كلّ أرضٍ سماء»
وسمعت النواصي مستطرداً كلامه
حارقاً غابة السكينة :

ذات يوم ،
تصيرُ القصائدُ بوابةَ المدينة
نحو أرض الغرابيّة
وتصيرُ الغرابيّة
وطنَ الأنبياء ،
ذات يوم ،
تسيرُ النجومُ على الأرض مثلَ النُساء .

جئتُ إلى بغداد
أخطو على بساط
بين خيوط الماء والأشجار
أسيرُ في أغواري البعيدة
ألبسُ وجه النَّارِ
أستنطقُ الأرضَ الفراتيةَ —
حكى لي الفراتُ
ما قرأ العشبُ وما رواه
عن سَفَرِ الأَنْهَارِ والرَّعَاةِ
حكى لي الفراتُ
عن كلِّ ما رآه ...
أسمع في الأحجار
أغنيةَ القُصُورِ
أسمع ما تقولُ
تلك السَّحاباتِ الرَّماديَّةَ ...

ورأيتُ الحشودَ الفقيره
جُلُكت كالضَّفِيره
وقرأنا ، كتبنا معاً ، وعرفنا
أننا المالكون اليتامى
وصرخنا ، جعلنا مقابرَ آبائنا ، وجعلنا الأيتامى

وبراكيَنَّا السَّجِيَنَةَ
نَهْرًا يَغْسِلُ الْمَدِيْنَةَ ...
وركضنا إلى العشبِ ، نُصْغِي إِلَيْهِ
ساحِرًا ، باسْطًا يَدَيْهِ
طالِعًا مِنْ شَقْوَقِ التَّرَابِ نَقْيَ الْكَلَامِ
وعرفنا من العشب أن الطَّيْبَةَ
سَتَقِيْمُ السَّلَامِ
بين أطفالنا والفَجِيْعَةِ

سَتَكُونُ شَرَايِيْنُهُمْ كَالْجَذُوْرِ
وَتَشَقُّ الصَّيْفِ
وَتَصِيْرُ جِبَالًا مِنْ الضَّوْءِ وَرَدِيَّةِ الْجُسُوْرِ
تَصِلُ الْمَوْتَ بِالرَّبِيْعِ
وَتَقُوْمُ الْبَدُوْرُ
وَتَقُوْمُ الصَّلَاةُ
فِي رَوَاقٍ عَلَى النَّيْلِ يَسْمَعُ تَسْبِيْحَةَ الْفَرَاتِ ...

أَلْزَمُنْ أَخْضَرَ ، نَمَا ، وَطَالَ
أَوْرَقٌ فِي الْجُدْرَانِ وَالْحَصُوْنِ
أَلْزَمُنْ الْأَنْهَارَ وَالتَّلَالِ
وَالزَّمْنَ الْعِيُوْنَ :

قاماتُ أشجارٍ ربيعِيَّةُ
في غَابَةِ الرُّوحِ الفِراتِيَّةِ . . .

أَلَزَمَنُ السَّيْفُ هَدِيرُ المَوْتِ
نَهْرٌ مِنَ الْأَصْحَابِي
نَهْرٌ مِنَ الْأَثْدَاءِ وَالْجِرَارِ
يَغْسِلُ وَجْهَ المَوْتِ
وَالْكَفَنَ الْعَاشِقَ وَالْأَحْزَانَ
يَغْسِلُ بِالمَوْتِ وَعِطْرَ المَوْتِ
فَاتِحَةَ القَوْلِ : رَنِينَ الصَّوْتِ
فِي لُغَةِ الْإِنْسَانِ .

أَلَزَمَنُ اسْتَيْقَظَ وَالنَّهَارُ
يَصْرُخُ بِالْأَغْصَانِ وَالْجَذُورِ
يَصْرُخُ : جَاءَ الشَّعْرُ
جَاءَتِ سَمَاوَاتُ تَرَابِيَّةٍ
مِنْ غَيْرِ هَذَا الدَّهْرِ
خَضِرَاءُ لِنَسِيَّةٍ :
أَلَأْفَقُ زَنَارٌ مِنَ الْبُخُورِ
وَالْأَرْضُ جَنِّيَّةُ .

٤ - فصل الأشجار

(مرثيات الصبقر وشواهد قبره)

شجرة

زَرَعَ الجائعونُ
غابةً للرَّجاءِ
صار فيها البكاءُ
شجراً ، والغصونُ
وطناً للنساء الحُبلى
وطناً للحصاد ؛

كلَّ غُصْنٍ جَنِينٍ
راقِدٌ في سرير الفضاءِ
أخضرًا ساحرَ الأنينِ
قرَّ من غابة الرَّمادِ
من بروج الفجيعه
حاملاً آهةَ الجائعينِ
شاكياً للطَّبيعهِ .

شجرة

كلَّ يومٍ ،
يموتُ وراء المقاصير طفلاً ، يموتُ
زارعاً وجهه في الزوايا
شبحاً تتراكم قدامه البيوت ؛

كلَّ يومٍ ،
يجيء من القبر طيف حزين
عائداً من بلاد المرارة من آخر الأفاصي
ويزور المدينة - ساحاتها والتكايا
ذائباً كالرصاصي .

كلَّ يومٍ ،
تجيء من القفر جنينة الجائعين
وعلى وجهها علامه -
زهرة أو حمامة .

شجرة

يجهل أن يزینَ السيوف بالأشلاء
يجهل كيف تُبرقُ الأنيابُ .
يأتون في نهرٍ من الرووس والدماء
ويصعدون الحائطَ القصيرُ
وهو وراءَ البابِ —
يحلمُ أن يظلَّ كالأطفال خلف البابِ ،
يقرأ فصل الجائع الأخيرُ .

شجرة

سَقَطَت نَجْمَتَانُ
فوق رَأْسِ الغَرِيبِ المَسَافِرِ ، مَرَّتْ سَحَابَةٌ
فَهَوَى ، يَأْخُذُ النَحِيَّةَ
نَخْلَةٌ تَتَقَصِّفُ وَالدَّمْعُ يَنْقُشُ أَوْرَاقَهَا الذَّهَبِيَّةَ :
نَخْلَةٌ عَلَّمَتْهَا الكَأْبَةُ
أَنَّهَا تُرْجُمَانُ
أَنَّهَا دَفَتَرُ عَرَبِيٍّ الكِتَابَةِ
عَلَّمَتْهُ الكَأْبَةُ
فِي سِيَاجِ الحُدُودِ الخَفِيَّةِ
أَنَّهُ أَوَّلُ المَكَانِ
وَالرِّيَاحُ البَقِيَّةُ .

شجرة

قلتُ لك : استيقظْ ، رأيتُ الماءَ
طفلاً يسوقُ الرِّيحَ والحِجارَ
وقلتُ : تحتَ الماءِ والشَّمارِ
تحتَ غشاءِ القمحِ
وسوسةٌ تحلمُ أن تكونَ
أنشودةً للجُرْحِ
في ملكوتِ الجوعِ والبكاءِ ...

إنهضْ ، أناديك ، عرفتَ الصَّوتَ؟
أنا أخوكَ الخضرُ
أسرجَ مَهْرَ الموتِ
أخلعُ بابَ الدَّهرِ .

شجرة

لم أحمل الرمح ولم أُجَوِّفْ
رأساً ،
وفي الصيفِ ، وفي الشتاء
أرحلُ كالْعَصْفُورِ
في نَهَرِ الجوع ... إلى مَصْبِهِ المَسْحُورِ ؛
مملكتي تلبسُ وَجْهَ الماءِ :
أملكُ في الغيابِ
أملكُ في الذَّهْشَةِ والعذابِ
في الصَّخْوِ أو في النَّوْءِ
لا فَرْقَ إنْ دنوتُ أو نأيتُ -
مملكتي في الضَّوءِ
والأرضُ بابُ البيتِ .

شجرة

كان ينادي ، يجمعُ الهواءُ
يحمل من كلِّ فضاءٍ عِزُّقُ
ينسج للغرب رداءَ الشُّرْقِ ، -
ينزل عيسى حانياً عليه
أخضرَ كالجُمانِ
ينزلُ في المنارة البيضاء
في الجانب الأيمن من دِمَشقِ
ويقتلُ الشَّيْطانَ
في الجانب الأيمن من دِمَشقِ .
وكان ، والسَّوادُ في طريقه يُضيءُ ،
يُغيِّرُ الأسماءُ
يعشقُ مَنْ مات ومن يَجِيءُ
ويهجر الأحياءُ .

شجرة

خَفَّ ، لاقانيَ الصِّباحُ
حَمَلْتَنِي الرِّيحُ
بعد أن راح قبري وودَّعتهُ ورجعتُ .
كلَّ شيءٍ يعودُ :
في الزُّهور قُضَاةٌ وفي الماء يجتمعُ الوافدونُ –
كان بين الشُّهودُ
شجرٌ يتناسل فيه الأجنَّة والميتونُ
كان بين الحضور الفجيعة .
وسمعتُ الغصونُ
وهي تتلو قوانينها ، فنخشتُ
ولبستُ الطَّبيعة .

شجرة

عند جيرون باب من الورد يغتسلُ العابرونُ
بشَدَاهُ

عندها خيمةٌ للجراحِ

عندها غابةٌ للصَّبَاحِ

كلُّ أغصانِها جسورٌ تَقْتَفِيها العيونُ

نحو عبارة الرياحِ

لصباحٍ سِوَاهُ ...

والليالي بيوتٌ من الحلم يَرْتَادُها المتعبونُ

يجرحونَ مزاميرهم ، يقرأونُ

كُتُبَ الماء والغبارِ

يجعلونَ الدَّمَوَجَ الأَمِينَهُ

خَرَزًا وأكاليلَ غَازِ

وعقوداً ، وجرحاً من الوردِ يغتسلُ العابرونُ

في ينابيعه الحزينه .

شجرة

عُطِّيَ بِالرَّيْحَانِ ،
 بِالْجَزَعِ الشَّفَافِ ، بالسَّرِيرِ
 بِالصَّمْتِ ،
 وَالتَّمزِقِ الْمَضْيَعِ ؛
 وَقِيلَ : بَعْدَ الْقَبْرِ ، شَقُّ الْقَبْرِ ، أَلْقَى مَوْتَهُ وَطَارَ
 يَبْحَثُ عَنْ أُمَمَةٍ
 فِي وَطَنِ الْإِنْسَانِ ؛
 وَقِيلَ : كَانَتْ زَوْجَةً فَقِيرَةٍ
 هُنَا وَرَاءَ التَّلَّةِ الصَّغِيرَةِ
 حُبْلَى ،
 وَبَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 فِي الصَّمْتِ ،
 فِي التَّمزِقِ الْمَضْيَعِ ،
 تَنْتَظِرُ الطِّفْلَ الَّذِي يَجِيءُ .

(أيلول 1963 – أيلول 1964)

جنازة امرأة

(مكان على ضفة نهر . قبر مغطى بسقف من القصب . حول
القبر ثياب قطنية متعددة الألوان . جمهور نساء ورجال يجلسون
بوقار حزين) .

الرجل الأسود (يقف وسط الجمهور إلى جانب القبر ، مشيراً إلى الميت) :

ماتَ وما حَوَّلَهُ

ضَفِيرَةٌ عَالِقَةٌ

بالأَرْضِ ، محلولةٌ

والأَرْضُ رَمَانَةٌ

(صمت ، إلى النساء)

مات ، مَنْ العاشِقَةُ

تلبسُ أجفانَهُ؟

(غير منظورة) :

الجوقة

الموتُ وجهُ شاعرٍ ، أو كَلِمَةٌ

منذورةٌ للأَرْضِ

الموتُ حصنُ عاشقٍ ،

وَتَمْتَمَةٌ
أَتَيْ فِي عُرُوقِهِ
قَصِيدَةً أَوْ نَبْضٍ .

(صمت . يتأمل الرجل الأسود الوجوه كأنه يدرسها . تنهض امرأة سمراء . تنهض
معها امرأتان – سوداء وصفراء) .

المرأة السمراء : أنتظرُ
واللَّيْلُ تَحْتَ جَسَدِي يَنْكَسِرُ ،
وَالنَّخْلُ فِي جَدَائِلِي ،
وَالْمَطَرُ
عَيْنَانِ تَقْرَأَنِي لِي
أَوَائِلَ الْفُصُولِ ...
(صمت . تحديق في الوجوه)
كَانَ وَرَقُ النُّخَيْلِ
يَمْتَدُّ كَالْغَطَاءِ
كَانَ قَمِيصاً أَحْمَرَ السَّمَاءِ
وَقُلْتُ : هَذَا زَمَنٌ يَمِيلُ
نَحْوِي ... وَقُلْتُ ...
الرجل الأسود (بسرعة وخشوع) :
اشْتَغَلَتْ يَدَاهُ
تَلَفَّتِي ،

رَأَيْتُ جَمْرَتَيْنِ
أَصْغِي ،
فَكُلَّ عَشْبَةٍ صَدَّاهُ
سَمِعْتُ ؟
هَاتِي يَدُكَ اتَّبِعِينِي
لَمْ يَتَّقِ غَيْرَ الْمَوْتِ ، غَيْرَ حُلْمٍ ،
وَعَيْرُ خَطَوَتَيْنِ .

(يتقدم نحوها ، يمسكها بيدها ويتجه نحو قبة ، برفقة المرأتين السوداء والصفراء .
تدخل الثلاث تحت قبة سقيفة خاصة ويجلسن . يتركهن الرجل الأسود ويعود إلى
مكانه . تأتي المرأة السوداء بإناء مليء بالماء . تغسل هي والمرأة الصفراء قدمي المرأة
السمرء ، بشكل طقوسي مهيب) .

المرأة السمرء (بما يشبه الحلم) :
كوكَبٌ يَرْتَمِي عَلَيَّ ،
أَنَا الزَّهْرَةُ مَخْتُومَةٌ ،
أَنَا النَّارُ ، وَالْمَوْتُ عَشِيقُ
كَشْهُوتِي مَسْتُونُ
وَتَفَتَّخْتُ ، يَطْلُعُ الْمَوْتُ فِي نَهْدِي —
وَجْهِي سَحَابَةٌ
ومراياي بَرُوقٌ وَرَدِيَّةٌ وَغُصُونُ .
الجمهور (بإيقاع) :

تَفْتَحِي فِي كَلِمَةٍ
 بادئة كالْفَتْحِ
 مَسْنُونَةٍ كالرَّمْحِ .
 تَمْوَجِي
 تَهْدَجِي كالصَوْتِ
 غَامِرَةٌ كَاللَّهِ أَوْ جَامِحَةٌ كَالْمَوْتِ . . .

(تنهض المرأة السمراء . ترافقها المرأتان السوداء والصفراء نحو قبة . تدخل القبة .
 يتغلق بابها . تنتظرها المرأتان على طرفي القبة . موسيقى موت وحب تستمر طول بقاء
 المرأة السوداء داخل القبة) .

صوت المرأة السمراء (داخل القبة) :

فِي كَلِمَةٍ
 أَشْعِلُ تَحْتَ سَقْفِهَا حَرِيقِي
 أَبْدَأُ تَحْتَ سَقْفِهَا طَرِيقِي
 مَسْنُونَةٍ كالرَّمْحِ
 سَمَّيْتُهَا الْفَجِيعَةَ ،
 أَسْكُنُ
 حَتَّى تَنْزِفَ الطَّبِيعَةُ
 فِي جَسَدِي كَالْجُرْحِ ،
 كَالْمَوْتِ نَسْلِي الزَّمَنَ الصَّدِيقِ
 (مردداً) :

الجمهور

كالموتِ نَسْلِ الزَّمنِ الصَّدِيقِ
كالموتِ نَسْلِ الزَّمنِ الصَّدِيقِ -

صوت آخر (داخل القبة) :

أَلْجَرَحُ شَهِيَّةً
حُبُّكَ مَفْتُوحٌ كَالْجَرَحِ

الجمهور (مردداً بإيقاع ترتيلي) :

أَلْحَبُّ صَبِيَّةً
أَلْحَبُّ جَنَاحٍ
جَاءَ الْيَوْمَ إِلَيْنَا
دَخَلَ الْمَسْرَحَ غَنَى بَاخٍ
كَانَ الْمَشْهُدُ غُصْنًا يُورِقُ ...

غَنَى رَاخٍ

فِي عَرَبَاتِ النَّازِ
وَعَدَا يَأْتِينَا

كَالْوَجْهِ ، فضاءً مَفْتُوحاً
كَالموتِ ، سِتَارٍ .

(تتوقف الموسيقى)

الصوت الآخر (داخل القبة) :

جَرَحُكَ تَرْتِيلَةً

لِلْمَدَنِ الْمَحْرُوقَةِ الْخَالِيَةِ
ذَبِيحَةً عَالِيَةً ...

(تخرج المرأة السَّمرَاء بهيئة شفافة يمتزج فيها الحزن بالفرح ترافقها المراتان السوداء والصفراء . في هذه اللحظة يبدو زورق خشبي على ضفة النهر ، موضوع فوق صقالات خشبية تحت قبة . في الزورق سرير تغطيه عجوز بغطاء كثير الألوان . العجوز امرأة مهيبة ، ضخمة عابسة ، تقف عند رأس السرير .

يبدو في مكانٍ آخر أشخاص يحفرون في الأرض ، ثم يخرجون جسماً ملفوفاً بقماش أسود ، وجرة ومزماراً قصيباً .

يحمل الجسم إلى الزورق تحت القبة ، بعد أن يرفع عنه الغطاء الأسود ، فيظهر لابساً سروالاً أسود وخفّاً أحمر وقلنسوة مقصّبة . يوضع فوق السرير ويُسنَدُ بالوسائد) .

هاتوا كُتُباً ... أقلاماً

(يجيء الحضور يكتب وأقلام تلقى في الزورق)

العجوز : هاتوا وِرقاً ...

(يحضره شخص ويرميه قرب الميت في الزورق) .

العجوز : عُشْباً وِيَمَامَةً ...

(يجيء بعض الحضور بيمامة يذهبها فوق الميت ويلقيها بين يديه ، ثم يرمي آخر غصن خشخاش) .

العجوز : وَلْيَبْقَ الحبّ علامة .

(ترسم على جبين المرأة السمرَاء علامة الحب . يحمل المرأة السمرَاء أربعة رجال يرفعونها على راحتهم وينزلونها ثلاث مرات . ثم يرفعونها إلى أعلى ما يمكنهم . تبدو كأنها ترى رؤيا) .

المرأة السمراء (كانها ترى رؤيا . ترتل) :

أقفاصٌ تعلو

تعبرُ في غاباتِ الصَّوْتِ

في الأفكارِ وفي الأشياءِ

الصَّخْرَةُ ماءً

والأعضاءُ شتاءً بارداً

والحبُّ نوارسُ ليليةٍ

تتناسلُ في أعشاشِ الموتِ

ولباسٌ واحدٌ .

(ينزلونها . تخلع سوارين من معصمها الأيسر)

المرأة السمراء (تعطي السوارين إلى العجوز) :

عطيةً من الجسدِ

تلتفُّ كالسَّوارِ حولَ الرُّوحِ .

العجوز (تنحني وهي تتناولهما) :

.....

(تنزع المرأة السَّمراءِ خلخالين)

المرأة السمراء (تعطي خلخالاً للمرأة السوداء) :

رسالةً

تصير في عينيكِ أحلاماً

ترميكِ في متاهِ

كالقلبِ

لن تضييعي فيه ، ولن تعودي .

المرأة السوداء (تنحني وهي تتناوله) :

.....

المرأة السمراء (تقدم الخلخال الثاني للمرأة الصفراء) :

وَطَنُ كَالخَتَمِ

يسكنُ حولَ الفَخْدِ ،

سجينَ الحلمِ

سَجَانُ اليَقَظَةِ .

المرأة الصفراء (تنحني وهي تتناوله) :

(يحمل الرجال الأربعة المرأة السمراء ويضعونها في الزورق ، بعد أن يقبلها كل
منهم . تناولها العجوز كأساً من النبيذ تشربها . تناولها كأساً ثانية تشربها . تأمرها
بالدخول تحت القبة في الزورق حيث يتمدد العاشق الميت . يبتعد الجميع . تأخذ
العجوز خشبة تشعلها وترميها في الزورق . يرمي الآخرون فوقها الحطب والزهر والنخبز .
الزورق يشتعل وهو يبتعد جارياً على صفحة النهر . الجميع ينشدون) .

الجوقة

(جميع الحضور) :

دَخَلْتُ فِي مَقَامِ الْحَرِيقِ

أَلَّيَالِي شَمُوعٍ

ومزاميرُها طريقٌ .

صارَ وجهُ الأثِيرِ

وَطَنَ الْعَاشِقَيْنِ

سَيِّجَتُهُ الْعِيُونُ
بِالْصُدَى ، بِالسَّكُونِ
بِضِفَافِ الْيَدَيْنِ
وَرَمَتْ كَوَكَبَيْنِ
بَيْنَ رَأْسَيْهِمَا وَالسَّرِيرِ .

(فيما يختفي الزورق ، تنقسم الجوقة إلى قسمين رجال ونساء ، ثم يترك كل قسم المسرح من جهة معينة ، ويرددون جميعاً بصوت هادئ إيقاعي) .

أَلَمُوتُ جَنَاحُ
دَخَلَ الْمَسْرَحَ - غَنَّى رَاخُ
مَبْجُوحَ النَّبْرِ ، مَجْرُوحَا
وَسَيَّاتِنَا
فِي عَرَبَاتِ النَّارِ
كَالْحَبِّ ،
سِوَا
كَالشَّمْسِ ،
فَضَاءٌ مَفْتُوحَا . . .

الجوقة (غير منظورة ، وبعد أن ينطفئ ضوء المسرح) :

تبدأ من جنازة امرأة
تصعد كالقربان في مجامر العيون ،
مدينةً أحنَّ من مدفاة

تبدأ من جنازة امرأة
أيام قاسيون .
أبدأ من جنازة امرأة —
صرختي الأولى حنين كوني
تطاولت ،
وانحفرت كالنهر
رأيتها تجري ، —
رأيت صوتي
ينزل من ينبوعه
نحيلاً ،
مهاجراً ،
يقع باب الدهر . . .

(بيروت ، 1966-1968)

الرأس والنهر

(جسر قديم . ضفة على النهر تظللها ثلاث أشجار – حورة وصفصافتان .
 نساء مشوهات يُظن أنهن ممرضات . عجوزان . أم مشوهة وطفلها . ثلاثة شيوخ .
 شبان مشوهون يستلقون تعباً وجوعاً .
 تجري مياه النهر بطيئة موحلة) .

١- القول

شيخ (بصوت ضعيف) :

أَلحرب زريبة

غَنَمٌ . . .

شيخ (بنبهة من يمزح) :

قالوا

إن الحرب حَقِيبة

(بصمت . يتابع بشيء من الجدل)

لو أَنَّ الحرب حَقِيبة

لمأَناها

خَرَزاً

وجلسنا فيها
وصبرنا ...
شاب (يظن أنه كان جندياً) :
قالوا إن الحرب وسادة
(يتمدد كمن يحاول أن ينام)
وأنا الوسنُ
شيخ ٣ (بنبرة حكيمة)
الحرب وسادة
للموت
وعادة
(صمت . يتابع بلهجة غاضبة)
هذا الوطنُ
زجَّ
والأيامُ جرادة .
أصوات (بعيدة ، مجهولة) :
قوافلُ سوداءُ مجهولةٌ
تكمن تحت الماء ،
هل أنت ، يا سلالة الآباء
تجيءُ في ليلٍ من البهارِ
من توابل الرؤوسِ
والقتلِ ،

من توابل الغابات والفؤوس

هل أنت ، يا سُلالة الأمواج
تصعدُ نحو كوكب المجهول ، كالمعراج ...
من أنت ، من يجيبني؟ حنيني
نما هنا كَسْرَوَة ، وطال
وها هو السؤال
في جسدي ،
بُحيرة ...

٢- الزمن المكسور

الجوقة (غير منظورة) :
سيجيء السيل
قبل حلول الليل .
(ما من أحد يهتم . يدخل شخص يحمل نايًا ، يُظن أنه راع) .
الراعي (بلهجة طبيعية) :
حلمتُ أن رأساً
في النّهر ...
(تقاطعه امرأة ١ ، وتسأله بسخرية ناعمة) .
امرأة ١ : هل سمعته يغني
كرأس أورفيوس

تذكر أورفيوس؟

الراعي (بلهجة واثقة) :

سمعته يقول :

(صمت ، يتابع كمن يتذكر)

في البدء كان النهر

كان حطام الزمن المكسور

يُصْهِرُ في تنور

من غضب الأمواج ، كان الجمر ...

(يخرج الراعي)

أصوات (بسخرية قاسية) :

ها ها

رأس محتال

ها ها

رأس دجال

(دوي انفجارات بعيدة . موسيقى صاخبة . ثم تتابع هذه الأصوات الثلاثة الحوار

التالي) .

صوت ١ : في البدء كان خاتم الولاية

صوت ٢ : وكان في النهاية

صوت ٣ : في البدء كان النقط والمنجنيق

وزوجة البطريق .

صوت ٢ : في البدء ، كان رأسٌ

يدورُ كالِدولابُ

صوت ١ : في البدء ، كانت قبةُ المحرابِ

(صمت . يتابع كأنه في حلم)

دخلتُ تحت قشرها

صعدتُ — حينَ عدتُ

رأيتُ أنَّ الشمسَ خيزرانةُ

مورقةٌ تلتفُّ حول بابي .

صوت ٣ : في البدء كانت عثةٌ

تبيضُ في ثيابي ...

(يفرك يديه الاثنتين صدره وفخذه . تعود الأصوات الثلاثة فتردد معاً) .

الأصوات الثلاثة (بسخرية خادة) :

ها ها رأسٌ محتالٌ

ها ها رأسٌ دجّالٌ

(قهقهة ساخرة . أشخاص كالأشباح يعبرون النهر قرب الجسر ، يحملون أحذيتهم

وامتعتهم وأطفالهم) .

٣- القمر والرمانة

(موسيقى حب وموت . دوي انفجارات بعيدة) .

شيخ ؟ (مستغرباً) :

كيف يسير الرأسُ والإنسانُ لا يسيرُ؟

امراة ١ : (ساخرة) :

كيف يغني الرأس والإنسان لا يغني؟

شاب ١ (متهكماً) :

الرأس لا يسير بل يطير ...

(صدى صوت يتعد هو صوت الراعي)

الراعي (من بعيد) :

تسبح عن يساره

تركض عن يمينه

الضفاف

والأرض وجه امرأة

تطوف ، والطواف

تفاحة ...

امراة ١ (تناول حصاة كالتفاحة تقدمها إلى شاب ١ يجلس قربها) :

هذه لحظة الدخول إلى الهوة المستنيرة

هذه لحظة اللقاحات والليلة الأخيرة ...

(يتعانقان وهو يأخذ الحصاة . يتمددان ويتهامسان) .

شاب ١ (معانقاً امرأة ١) :

لي شهوتي

أن أشعل النّهدين في أيامي الغريبة

أن أعرف الحياة لا السلطان

أسهر في بستان

يسهرُ فيه قمر الحبيبةُ

(موسيقى موت وحب)

شيخ ١ (فجأة إلى شيخ ٢) :

نزل القمرُ

طَوَّفَ حولَ نوافذنا

وترصَّدنا

كان الموتُ دليلاً

كان الحجرُ ...

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم) :

... وسجدَ النَجْمُ

وكان في يساره

قوسٌ

وفي يمينه سَهْمٌ

فسقطَ العدوُّ ...

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

... رَفَّ حولي

جبريلُ ، قال - أبشرُ

ومدَّ لي سَكْرَةً

طعمتُها ،

ولم يزل في فمي الطَّعْمُ .

(يحرك شفتيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة منتفخة لفظها

النهر : جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات بعيدة) .

تَقْيَايَ رَمَلِكْ يَا مَدِينَةَ
وَجْهَكَ وَجْهَ صَخْرَةٍ
وَالْكُونُ فِي وَجْهِكَ مِثْلَ دُمْلٍ

(صمت . امرأة تحتضر ، تموت ، يغطيها شخصان ، يحملانها ويخرجان . تتابع
الجوقة بإيقاع غاضب) :

أَلْقَمَرُ الشَّيْخِ كِتَابُ شَرْعٍ
حَرْقَتُهُ
وَالزَّمَنُ أَتْهَدَامُ
فِي رَتْبِي ، وَوَجْهِي
يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبْرِ ...
تَقْيَايَ رَمَلِكْ ، يَا مَدِينَةَ .
(موسيقى موت وغضب)

شَيْخ ٢ (كانه لم يسمع الجوقة ، متابعاً حديثه الأول) :

نَادَتْنِي الرَّمَانَةُ -
خَذْنِي كَمَا تَرَانِي
مَلِيئَةً عَرِيَانَةً
كُلَّنِي ...
أَكَلْتُ ،
طَالَتْ ،

وسكرتُ بحبِّي
وحملتُ في العام مرتين ...
شيخ ١ (يجيبه حالماً) :
حلمتُ -
دار الوجد
خطفني ،
دخلت بيت النار
خرجت يساقط مني الورد
كأنني أذار أو نواز .
(موسيقى قديمة سحرية)
شاب ١ (إلى امرأة ١) :
نهداك ، في نهديك طفلتان
واحدة تموت من هزال
واحدة تلد في قنبله
فلنكسر الزمان
كالعصن ،
إن الكون بهلوان
إن إله العالم المقصلة .
(موسيقى غضب وقوة)

٤- السيل

(الأم تحتضن طفلها ، منتظرة موته بين لحظة وأخرى . يدخل الراعي مسرعاً) .

الراعي (مخاطباً الجميع) :

ابتعدوا ،

تحركوا ،

فالسَّيْلُ ...

(يقاطعه صوت ساخرأ)

الصوت (مقاطعاً) :

سوف يجيءُ السَّيْلُ

قبلَ حلولِ اللَّيْلِ ...

(ينخرج الراعي)

الجوقة (غير منظورة) :

نعرف ، هذا زمن السَّيْلِ

نعرف ، هذا زمن الأفولِ

(صمت . موسيقى إيقاعية سريعة)

نسمعُ أنْ آتياً

يغيّرُ الدروبُ

يذهنُ وجهَ الأرضِ ، يستبيه

ينفخ فيه الدَّاءَ والشَّحوبُ .

نسمعُ - أيّامَ من البلورِ

آتيةً في السيلِ ،

كلُّ يومٍ

مُبِطُنٌ

كأنه بلقيسُ ،

أو كأنه تيمورُ .

(صمت . الموسيقى تعود إلى التسارع)

نَعرفُ

أفراسُ ،

وحوشُ ماءٍ ،

تجيءُ في السَّيلِ ،

وفي الضفافِ

تطوفُ غاباتُ من القُبورِ

وانتهتِ الأجيالُ والعصورُ

وما انتهى المطافُ .

(يموت الطفل . تحتضنه الأم)

(بصوت مخنوق) :

الأم

يا مَوْتُ ،

يا صديقَ الأطفالِ

ضُمَّ طفلي ،

واحملْ له ألعابَهُ ، وأطبقْ

جفنيه كي يحلم ، كي يراني ...
أدخله في بلاد
جديدة ، يروء
أسرارها ،
يبقى ولا يعود .

(تضع الأم طفلها على الأرض ، دون غطاء . تخلع عجز ١ معطفها الأسود الممزق
وتغطيه . يدخل شخصان مقنعان يحملانه ويخرجان . موسيقى جنانزية) .

الجوقة (غير منظورة) :
تفتحي يا وردة الدماء
في جثة العصفور ،
في صبيحة
محروقة ، في نهر الأشلاء
في الأطفال يُخنقون في السماء
يابسة كوجه مومياء
تفتحي كبذرة خفية
لدورة الفصول ،
تفتحي
هذا هو اللقاح هذي رعشة الحقول .

٥- صوت من الماء

(دوي انفجارات بعيدة . أسراب طيور فوق الجسر . يدخل شاب صغير السن أتعبه الركض كما لو أنه كان يسابق مجرى النهر) .

الشاب (صارخاً) :

رأس مهيار يجري ...

(يخرج راكضاً)

شيخ ٣ (دون دهشة ، لنفسه) :

يخطرُ لي خاطرٌ

وفجأةً ،

أراه مرقوماً على ثيابي .

(صمت . لنفسه)

عرفت أنَّ موته قريبٌ ...

الجوقة (غير منظورة) :

رأسه الجريحُ والتَّزيفُ

رأسه حولكم يَمَامَةً

تحملُ الأرضَ كالرَّغيفُ

رأسه حولكم عَلامَةً .

(صمت . موسيقى موت قوية)

مات مهيار ماتُ

مثلما تنضج العناقيدُ أو يُزهر النَّباتُ

مثلما يُكسِّرُ القمرُ
وتُنهَدُ البيوتُ
مثلما يُطفَأُ الشرُّ
مثلما تحضن البراكين أسرارها وتموتُ . . .

(يسري جو من الرهبة يرافقه نوع من الحزن في نفوس الحاضرين ، إلا قلة من
الشبان) .

شباب (يحتضن زجاجة فارغة) :

أقيم في همومي
كأنني أقيم في زجاجة
مملوءة بآية البُخار
أعيشُ كالدَّجاجة
في حوشي المغطى
بالقش والغبار .

شباب ٣ (يجلس القرفصاء محركاً التراب) :

أبحث في مملكة الرَّمادِ
عن وجهك المدفون ، يا بلادي

شباب ٤ (بغضب) :

كيف تُكَمُّ الشَّمسُ عن عيوننا
وتوصد الأبواب
أمامنا ،

هل نحن من سُلالة اليقطينِ

أم سُلالة اللَّبَلابْ؟

الجوقة (بما يشبه الترتيل) :

لأنَّ في أعماقنا بقيَّة

من خَدَرِ التَّاريخِ ،

من غِيلائِه الحَفِيَّة

ماتَ ،

لأنَّ العالَمَ اغتصابٌ

وأرضنا ضحيَّة .

(صمت . موسيقى هادئة)

صوتٌ من الماء ، يقول الصوتُ :

ماتَ لكي ينهيَ عهدَ الموتِ ...

شاب ه (بشيء من التمرد اليائس) :

من أين؟ كيفَ نفتدي ، تُعاني

تفتَّت الإنسان أو تفتَّت المكانِ

وأرضنا تَجَرَّ ناهديها

كخرقةٍ .

الجوقة (بترتيل) :

صوتٌ من الماء ، يقول الصوتُ :

ماتَ

لكي يُنهيَ عهدَ الموتِ .

(موسيقى هادئة . أسراب طيور فوق الجسر . جثث تنقل من ضفة إلى ضفة) .

الأم : زَمَنُ الموتِ يبدأ

أين أرمي خطايَ ، أشردُ ، أم أين الجأ ؟

لا زَماني زمانٌ ،

ولم يبقَ مرفأٌ .

(تبكي)

امرأة ٢ (حاضنة الشاب ١) :

أون صدري جزيرة

لونُ ثدييَّ مرجلُ

لك عيناي مرفأٌ

لك فخذايَ جدولُ

والغبارُ الذي يلفُ ذراعيك مُحملُ

لي بلادٌ ومُحملُ . . .

الشاب (فيما يطوق خصرها) :

خصركِ لي نموذجٌ وصورةٌ .

(موسيقى جنسية صاخبة . تهذا الموسيقى ، فيسمع من بعيد صوت يخرج من ماء

النهر ، يظن أنه صوت الرأس) .

الرأس (صوت بعيد) :

ليس صوتي إلهاً

ليس صوتي نبياً ...
صوتي النَّارُ والنَّفِيرُ
صوتي الصَّاعِقُ المزلزل ، والظَّالِعُ البَشِيرُ .
الجوقة (غير منظورة) :
وجه مهيار في الماء يسطع كالجوهرة
لم يعد غير صوتٍ
والحقولُ المزامير ، والنَّهْرُ الحنجرة .
أصوات (بخرية) :
ها ها
رأسٌ يسرقُ مُلكَ النَّاسِ
يهذي
ها ها
رأسُ الخنَّاسِ الوسواس ...
الرأس (صوته يقترب شيئاً فشيئاً) :
أصواتكم حصارٌ
لكنني محصنٌ بصوتي
محررٌ
برفضي البارئ ، بانفجاري
كأنِّي المهبُّ أو كأنِّي البركانُ
باسمِ الغدِ الصَّدِيقِ ،
باسمِ كوكبٍ

سَمِيَّتُهُ الْإِنْسَانُ .

(صمت)

وكان موتي عشبَةً

في الماء ، مثل طفلةٍ من زَهر اللّوتس

مثلَ نَورسٍ يعرفُ أن يكونَ

زنبقَةً بيضاءَ ، قوسَ قزحٍ

يحبُّ أن يكونَ

كالبحر ، نبضاً سيّداً

وغابه

من فرحٍ كال موج ، من كآبةٍ

ترقد تحت شجر الصفصاف مثل طفلةٍ .

وكان موتي طائراً

حَوِّم في خميلة الغرابَةِ

وطارَ ،

صار نَهراً يفيض ، صار رأساً . . .

وكان موتي لاجئاً

في فجوة الزمان ، كان لاجئاً

يُضِيءُ مثل كوكبٍ يُضِيءُ

وكان موتي الوعد والمجيء .

الجوقة (غير منظورة) :

مُدُّ لنا يديك

أفرغْ لنا تاريخك الملائ
نلمحْ في عينيك
من دمنا
ناعورةً ونبع
يا وطناً عطشاناً
يا وطناً ممتلئاً بالدمع ...
الرأس (وحده) :

أثقبوا جبهتي قِيدوني
وخلدوا حرباً وانحروني
مزقوني كلوني
واقراوا كيمياء المدينة
بين أشلائي الأمانة .

الجوقة (غير منظورة) :

جسدٌ مغروسٌ في البرية
والنهر دمٌ والموجة نوز
جسدٌ هدته الحرية
جسدٌ تبنيه الحرية ...

الرأس (بصوت يزداد عمقاً وحزناً) :

صانعٌ غيركم أصدقاء
صانعٌ غيركم فضاء ...

الجوقة (غير منظورة) :

فارسُ ،
يا عرّاف الحبّ ، لأيّ مكانٍ
تمضي؟
خُذْنَا ، خُذْنَا ...
أَلَدُنْيا سَرَجٌ يدعونا
والتَّهَرُّ حِصَانٌ .

(موسيقى سريعة هادرة . ينهض الجميع خائفين لأن السيل فاجأهم . يحاولون أن
ينجوا ، لكنهم يعجزون ، ويجرفهم . فيما تغيّبهم أمواجه يبدو الرأس جارياً على صفحة
النهر كأنه جزء من الماء) .

الرأس : سار أمامي جسدي
أزمنةً ، مدائناً
تواكب التَّهَرُّ
مَسْرَحُها بصفّتين – الحبّ والبَشَر .

أَلْيَوْم اكملتُ اكملتُ : صوتي
يفهمه الرُّكْزال والأطفال والرَّبِيعُ
يَفْهَمُ الجميعُ –
صوتي لا يُرَدُّ مثلَ موتي .
سَكَنْتُ كلَّ عَشْبةٍ

أَلَفْتُ بَيْنَ الصُّخْرِ وَالنَّبَاتِ
بَيْنَ غَبَارِ الطَّلَعِ وَالْمَرَايَا
وَجَنَسِ أَغْنِيَاتِي .
لِي وَطَنٌ
لَا يَعْرِفُ التَّخَوُّمَ ، لَا تَحْدَهُ الشَّطْرَانُ
تَحْدَهُ عَلَامَتَانِ - الشَّمْسُ وَالْإِنْسَانُ
وَهَا أَنَا أَطُوفُ
كَيْ أَزِلْ لَاحِدُودَ ، كَيْ أَعْلِمَ الطَّوْفَانُ .
الجَوْقَةُ (غَيْرَ مَنْظُورَةٍ) :
نَقْرًا فِي الطَّوْفَانِ
كِتَابَةً
عَنْ وَطَنِ يَسْقُطُ مِثْلَ وَرَقٍ . . .
أَصْوَاتٍ (سَاخِرَةٍ ، بَعِيدَةٍ ، غَيْرَ مَنْظُورَةٍ ، مَقَاطِعَةٍ) :
وَطَنٌ -
مِنْخَلُ مَاءٍ
وَطَنٌ يُفْتَحُ كَالدَّكَانِ ،
وَطَنٌ يُقْفَلُ كَالدَّكَانِ
الجَوْقَةُ (بِإِيقَاعٍ سَرِيعٍ) :
نَقْرًا فِي الطَّوْفَانِ
كِتَابَةً ،
عَنْ وَطَنِ

يسكن مثل شهقةٍ

في رئة الإنسان .

الرأس (والجوقة معاً) :

غائبٌ حاضِرٌ كمائك يا نهرُ

حويتُ الأسماءَ والأشياءَ

فاحتضنني واستنفر الرعدَ في صوتي

وهجسَ التكوين ،

والأنواءَ

واجر يا نهر فطرةً

وكنِ النشأةَ ،

كنْ صرخةَ الدَّمِ العذراء .

(صمت . أسراب طيور فوق الجسر . فيما يغيب الرأس يسمع صوته يبتعد شيئاً فشيئاً) .

الرأس والجوقة معاً (بإيقاع هادئ) :

لا أعرفُ التخوم لا تحدّني الشَّطآنُ

تحدّني علامتان - الشَّمْسُ والإنسانُ

وها أنا أطوفُ كي أزلزلَ الحدودَ ، كي أعلمَ الطوفانُ .

(موسيقى غضب وفرح . تهدأ الموسيقى . يبدو في مشهد جديد شيخ ٣ وحوله

أطفال كثيرون يخبرهم بقصة الرأس) .

شيخ ٣ (للأطفال) :

واشتعلَ الفضاء مثل وجهه المهاجر الظمآن

وحالَ : كلَّ نجمة

زَجَاجَةٌ والقَمَرُ المصباحُ

ونامت الدنيا على الحيطانَ

ستة أيامٍ بلا ضياءٍ

واستسلم الزيتون والتفاح

للدمع

لو قلبتُمُ الحجارَ ، لو شهدتُم -

فتحت كلَّ حجرٍ غديرٌ

من دمه ،

والزَّمنُ المُعَصِّفُ الملائنُ

بجرحه ، ربابةٌ

غَنَّتْ ، فكلَّ نخلةٍ خريفٌ

يبكي ،

وكلَّ صخرةٍ سحابةٌ .

(يصمت . يبدو الأطفال مشدودين بذهول إليه . ثم يتابع حالماً) .

عند غروب الشمس

في فلكٍ يصعدُ كالزَّفِيرِ

يُعلِّقُ الهواءَ

مدينةً للحزن ، والشموع حول الرأس

وَيُسْمَعُ الْبُكَاءُ تَحْتَ الْأَرْضِ كَالْهَدِيرِ .

(صمت)

أَصْغَوْا إِلَى الْهَوَاءِ ، فِي الْهَوَاءِ مَا يَقُولُ فِيهِ زَغَبٌ

وَحُمَّى ،

وَفِي الْهَوَاءِ مَاءٌ

يَغْسِلُ وَجْهَ الزَّمَنِ الْمُدْمَى

يَجْرَفُ ،

أَوْ يَبْدَعُ مَا يَشَاءُ .

(موسيقى . صوت عاصفة . أمطار)

(بيروت ، 1966-1968)

السماء الثامنة

(رحيل في مدائن الغزالي)

قافلة كالتاي ، والتخيل
مراكب تغرق في بحيرة الأجفان
قافلة - مذنب طويل
من حَجَر الأَحزان
أهاتها جرار
مملوءة بالله والرَّمالِ :
هذا هو الغزالي

يجيشنا في كوكب
تَحْضِنُهُ نساؤنا
تصوغ من بهائه
الثياب والأحلام واللاكي .
يَبْتَدِئُ السَّقُوطُ في مدائن الغزالي
يُسْتَنْزَلُ الفرقانُ واللِّسانُ
وتعلّق الجباه بالغبار ، - في مدائن الغزالي
شَرارةٌ ليس لها مكانٌ

والرَّيحُ مثْلُ جَمَلٍ .

وبعدَ أن يصمتَ أو يضيغَ سائلٌ
تَجْرُهُ حَشِيشَةُ السُّؤالِ ،
يعرفُ : كلُّ نَهْرٍ
يصبُّ أو ينبعُ في مدائن الغزالي
يصيرُ صِهْرِيحاً من الدَّموعِ
يدورُ في ناعورة الشفاه أو في قفص الضلوع :

— والوطنُ المفتوحُ مثلَ كَفَنٍ
يَمَامَةٌ تُذبحُ في ينبوعٍ
رأيتُ فيه أُمَّةً ...
رأيتُ فيه القمرَ المقطوعُ
من أوجه الأطفالِ ،
والزَّمنَ المنكَّسَ المخلوعُ
والزَّمنَ الآتي كالزَّلزال ...

يبتدئ السَّقوطُ في مدائن الغزالي
يختلج الشَّارعُ كالسَّتَّارةُ
والزَّمنُ الرَّابضُ مثلَ خنجرٍ
يغوصُ تحت العنقِ ،
والمنازةُ

ستارة سوداء .
أهدم ، كل لحظة ،
مدائن الغزالي
أدحرج الأفلاك فيها ، أطفئ السماء :
— والفجر مثل طفلٍ
سبع حراب سود
سبع سماوات بلا حدود
تهيم في خطاه .
ويدخل الموتى ويخرجون
من نفق أخضر — في مدائن الغزالي
يأتون في كلام
يشن ، في دروب كالملاح ، في كتاب
يموت ، دفتاه
رقص وصافنات ...
ويدخل الموتى ويخرجون ...

— ... والشمس في ثيابهم
جارية صفراء
مدهونة الثديين بالقلوب
بالحجر الأحمر ، بالكبريت والغيوب
تسقط كل ليلة

في نشوة الإسراء
تلتهم السيوف والسنينا ،
تطرح ، كل لحظة ، جنينا ...

ويدخل الموتى ويخرجون ...
توعدي يا فرس النبي في مدائن الغزالي
توعدي خطاي والطريق
عذابك الكبير مثل خيمة
كسرت فيها خاتم الزواج ، والكوتر ، والرحيق
توعدي ، أعرف كل خلجة
في جسمك العتيق
أعرف ما يقوله عذابك الكبير - في مدائن الغزالي
مسافرون ...

- أين تذهبون؟
لن تصلوا ، فهذه الطريق لا تمر في دمشق ، والصباح
ترسمه الأنصاب والأشباح
مسافرون يخطون ...
أين يذهبون؟
من جثث الآباء يحملون
تمائماً
والتيه في أقدامهم طريق

والرَّمْلُ في وجوههم عيون .

... (شدت فوق جسدي ثيابي

وجئت للصحراء

كان البراق واقفاً يقوده جبريل ، وجهه كآدم ،

عيناه كوكبان

والجسم جسم قرس . وحينما رأني

زُلزِلَ مثل السمكة

في شبكة ...)

أيقنت ، هذا زمن التناسخ - الإضاءة :

الشمس عين قطرة

والنقط رأس جمل

تقلد الخنجر والعباءة ،

وكلما سايرت في طريقي

يمامة أو زهرة

أو غبت في إشاره

بيني وبين الضوء ، وانحنيت

كالنَّبع في مسالك الحجارة

تنبُّت في جفوني

رصاصاً ،

وكَلِّمَا قَلْتَ أَحَبُّ الْمَاءِ
وَالزَّمَنَ الْآتِيَّ ، وَالْأَشْيَاءَ
وَكَلِّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَبْنِيَ أَوْ بَنَيْتُ
تَحْتَ شَمْسِ الْمَاءِ
سَقِيفَةً ،
تَطْلُعُ فِي عُرُوقِي
رَصَاصَةً ...

... (- لا تخشَ ، في شفاعتي أنتَ ، فمالَ
نحوي ، رَكْبَتُهُ وَطَارَ بِي ...
- هذا الذي يصبح عن يميني يُنصَحُ لي ، لم ألتفت
إليه ...
- لو أنك التفتُ واستمعتَ ، لاستلأنُ
شعبُكَ ، من بعدك ، لِلشَّيْطَانِ .
- وهذه المرأة كالفيروز عن شمالي
تنصح لي ، لم ألتفتُ إليها ...
- لو أنك التفتُ واستمعتَ ، لاستهانُ
شعبك بالجنة والقيامة
واختار أن يموت فوق سُرَّةٍ
ورفض الجهاد والكرامة ...)

وكَلَّمَا هَجَسْتُ
ولذْتُ بِالْهَوَاءِ وانغرسْتُ
كالعشب في مدينة الترابِ
أستكشف الفضاءَ والجناحَ
أسكن في باكورة الرِّياحِ ،
تنبتُ في ثيابي
رصاصةٌ ...
رصاصةٌ ...
وكَلَّمَا سَأَلْتُ
وانكسر السؤالُ في سريرتي ، وملتُ
كالغُصْنِ ، أو نَوَيْتُ أن أطوفَ
في طبقاتِ الشَّمْسِ والهواءِ
مُسْتَسْلِمًا كالماءِ ،
تطلعُ في النِّيَّةِ والحروفِ
رصاصةٌ ...
رصاصةٌ ...
والشَّجَرُ الأخضرُ في الطَّرِيقِ
مدائنُ حُبلى وحاضِناتُ
والشَّجَرُ المَيِّتُ في الطريقِ
نَارٌ بلا ضحيَّةٍ
تظلُّ من رمادها بقيَّة

في موقدِ الكلام
تحمل للطفل الذي ينام
حُلماً ،
وللطفل الذي يُفِيقُ
دفتر أحزانٍ وأغنياتٍ ...

... (ها هو بيتُ المقدس - المعراج
يُمَدُّ لي ، يَجِيشني جبريلُ
بأكؤسٍ ثلاثٍ ...
- خذ أيها تشاء
أخذتُ ، كان لبناً ، شربتُ
- إنَّ هذا
خمرٌ ، وذاك ماء ،
فلو أخذتَ الخمرَ
لَغَويتَ بعدك ، مثل وثنٍ ،
أَمَتَكَ الحَنيفَةَ
ولو أخذتَ الماءَ
لغرقت ...
ولفَنِي جبريلُ وأبتدأنا
نصعد في أدراجٍ

من ذهبٍ وفضةٍ ،
من لؤلؤ أحمر كالقطيفة ...)

كان الرغيفُ يصبحُ كالملكِ :

— اهتدينا

نارُ أنا

وضربتني جسدُ المدينة

ماسٌ ، دمسٌ ، أرجوانٌ

ما كان من ذهبٍ وياقوتٍ ، وكان ...

ماذا أرى؟

— هذي جموع الخارجين إليك يا تاج المدينة :

عن أحمد :

ورَّثت قطيَّ الأمينه

وارتحتُ من قانونهم ...

عن صالح :

تاجرتُ بين المقعدين

فرشت أيامي وساده ...

عن أخته :

نفقَ هوايَ

وفي دمي ذئبٌ يدورُ

وأنا الضحية والبخور .
عن أختها :
وطني يشبُّ ،
يشيخُ
يطعمني رمادة .
عن زوجها :
وجهي ينام كطَوَظَمٍ ...
عن حامد :

لم يبدأ التاريخُ
أفتح ساعدي
للشمس ...

وانشَقَّ الرِّغيفُ كأنَّه أَفَقُ النَّبِيِّ
وأنا العِرافَةُ
ودخلتُ في لَهَبِ المِساوَةِ
أَتزَوِّجُ النَّارَ البَعِيدَةَ فيَّ ، أَقتلَعُ الزَّمَنَ
كالعِشْبِ ،
أَغْتَسِلُ - اغتسلتُ ، غرقت في أَلْقِ الدَّمُوعِ
وحنوت فوق دمٍ يثَنُ ، دمٍ يَجُوعُ .

(... - ماذا ترى ؟)

— ملاكاً :

نصفين من ثلجٍ ومن شرارٍ

بألف ألف لغةٍ

تسجّ الجامعَ بين الثلج والشرارِ ...

— هذا ملكٌ يساوي

بين جميع الناس ، وهو أنصح الملائكة ...

وهذه سماءُ غبراء من حديدٍ ...

— هذي اسمها الماعونُ

يسكنها ملائكُ

أكتافهم حِرابٌ لنصرة الإسلام ...

هتأوني :

ألخبرني في شعبك ، أنت الأصل والعلامة

من أول الزمان حتى موعد القيامة .

قدمني جبريلُ

صلّيت ركعتينُ

بهم ، على مِلّةِ إبراهيمٍ ...)

وهبطتُ في أغوارِ نجمتي الصّغيرة

بين المَشيمةِ والكفنِ

في لَيْلِ جُمُجمةٍ ضريرة

فقرأتُ تاريخَ الفضاءِ ، قرأتُ تاريخَ القمرِ
من قبل أن أرد الفضاءَ وقبل أن أظأ القمرَ -
الأرض بيتي
والزمنُ

لغتني وصوتي ...
وسمعتُ عرّاف الرصيف يقولُ : مفتاحُ المدينة
تَختُ ومغزلُ غازل ...
عرّافُ ، قُلْ لي ، فسّر الرويا ، نسيتُ؟ أعيدها -
... ودخلتُ دائرةَ الرّغيفِ ، رأيتُ قطعةَ فضةٍ ،
سوداء ، تحملُ خنجراً . تَدْنُو وتطعنني ، وتهربُ في الرّفاق ،
ومتّ ، لكن قمتُ فجأةً
ووجدتُني في حضنِ مرأةٍ ...

(... ثم رأيتُ ملكاً لم يَيتسم ...
- من هو يا جبريلُ؟
- عزرائيلُ ، اقتربْ وسلّم ...
سلّمْتُ هبّ واقفاً متّاني ،
سألتُ : كيف تقبض الأرواح؟ قال : سهلاً .
حين يتمّ أجلُ الإنسانِ
أرسل أربعين من ملائكتي

ينتزعون روحه من العروق ...
حينما تصير في حلقومه
أسلها كشعرة تُسَلُّ من عجين
فإن تكن طيبة
قبضتها بحرية من نور
وإن تكن خبيثة
قبضتها بحرية من سخط ...
وبدت الدنيا
في يده ،
كدرهم ...)

عراف ، قُل ...
- لا شيء ،
هذا مخبَرُ اللّغة العجينة
لا شيء ،
تاريخُ النّساءِ مخدّة
وحنانُ طينة .

- ودهنها المعدني ؟
- والدّهن كالوسام أو إشارة
علامةُ السّيد : كل شيء

نهدان في يديه أو ستاره
للزمن اليابس كالعرجون
للزمن المخزون
في امرأة...
والذهن معدني
مملك،

ينزل مثل البحر في كتاب
يستوطن الأغوار أو يستوطن الصواري
يصير فوق أرضك البغي
شعائراً للذبح، أو فحاحاً، أو خرزاً ملوناً...
والذهن معدني
طيف جنائزي
يدخل كالمنشار
في جسد العالم
كالملاءة
يطرحها المأفون والعيار
على جفون أرضك المضاءة

(... وهذه سماء خضراء من ياقوتة خضراء فيها

رجلٌ طويل

تلفه مِدرعةٌ

وشعره يكاد أن يغطي

سَاقِيهِ . . .

— يا جبريلُ

مَنْ هُوَ؟

— هذا صِنُوكَ المفضلُ الكليمُ

موسى بنُ عُمرانَ — اقترِبْ وسلِّمْ .

سلِّمْتُ ، قال موسى : يزعمُ إسرائيلُ

أني أنا المفضلُ الكريمُ .

ثم دعا لأمّتي بالخيرِ ، ثم اصْطَفَتِ الملائكةُ

أَمَمَتْهُمْ ، صَلَّيْتُ ركعتينِ

بهم ، على مِلَّةِ إبراهيمَ . . .)

والدَّهْنُ معدنيّ

بحرٌ من السَّوَادِ —

الْقَاعُ نافورةٌ

مِنْ ذهبٍ ، والسَّطْحُ قاذورةٌ

والأَرْضُ كالمرايا ،

مكسورةٌ ، والشمسُ هَسَّهَسَاتٌ

تنأى ، وأبَارَّ من الرَّمَاذُ ...
هل قلتُ كل شيء؟

(... رأيتُ باباً كتبت عليه

كتابة قرائتها

فأنفَتَحَ البابُ ، رأيتُ خلفه

جهنماً ،

رأيت غاباتٍ من الحياتِ

رأيتُ باكياتِ

يغرَقْنَ في القِطْرَانِ عالقَاتِ

يغلين كالقُدُورِ موثقاتِ

يُطرحن للأفاعي ...

— هذا جزاء نسوةٍ

يظهرون للغريب ... هذي امرأة

صورتها كصورة الخنزير ، جسمها حمارٌ

لأنها لم تغتسل من حيضها ...

— هذا عقابُ امرأةٍ تعشقُ غير زوجها .

— هذا جزاء امرأةٍ

لا تُحسِنُ العشرةَ أو لا تحسنُ الوضوءَ ، لا

تصلِّي ...)

رسمتُ ظلَّ القمر الطَّالعِ في طريقي
بلهفتي ،

ربطتُ كل جرح
في وجهه بثوبي العتيق .
... وسرتُ في بُحيرة الأغاني

نيلوفرًا ، أغاني
ترشَّحُ من قرارة التاريخ ، من سريرة المكانِ
والتفتُ الأشجارَ حول وجهي
والتفتُ الطريقَ

كان النهارُ حجرًا يسيرُ ، كلُّ حجرٍ إشاره
وكان كلُّ حجرٍ فلاحُ
يغسل وجهَ الحقلِ أو يطاردُ الرياحَ .
يسافرُ الترابُ في خطاهُ
ينام يستفيقُ ،
وكان كلُّ حجرٍ شرارةً .

(... وما أرى رجالاً

تمشي على ظهورهم
حجارةً ...)

وسرتُ محمولاً على شرارة

أحلم كي أسقطَ في الظلام

شمساً

وكي تدور

حولي

أرضُ الحلم الخفية

أحلم كي أكتبَ عن صداقة العصفور

عن وطنٍ أحنُّ من قنديل

ينسجُ كلَّ لحظةٍ

من دمه ، منديل

أغنيةً للحب ، أو تحية ...

(... طوّقتُ في زيرجد

أخضر ، في مدارجِ الياقوت ، ثم جاءني الملائكة

يرقرق

فسارَ بي كسهم .

وحطَّ بي في بحرٍ من نور

أبيضَ خلفَ بحرٍ من نور

أصفرَ خلفَ بحرٍ من نور

أسود ، فاستوحشتُ واستغثتُ ...)

ورأيتُ أتِيَ في الأَزَقَةِ والزَّوَايا
أمشي كزَيْنِ العَابِدِينَ -
عَبَّأتُ بالخَبِزِ الجِرَابُ
ورَكَضْتُ من بَابِ لِبَابِ
أُزْكِي لَهَيْبِ الثَّائِرِينَ ، أَسَدَ جُوعِ الْجَائِعِينَ ...

(...) وانطلقَ الرَّفْرَفُ ، صار يعلو
وحطَّني في حضرةِ الإلهِ - ما رأيتهُ
لم تَرَهُ عَيْنٌ ، وما سمعتهُ
لم تَسْمِعْهُ أُذُنٌ ...
تُودِيْتُ : لا تَخَفْ .
خطوتُ خطوةً كأنني خطوتُ ألفَ عامٍ
أَحْسَسْتُ حَوْلَ كَتْفِي
يداً ، ولم تكن محسوسةً ،
فأورثتُ قلبي كلَّ علمٍ ...)

- مولاي ، زين العابدين ...
- أنا لستُ مولى ،
لستُ كهفأً للأنين

أنا جمر ثورتك . . . انفجر
غير نداءك ، وانفجر . . .

. . . ورأيتُ أني صيحةُ تَرثُ الضحايا
ورأيتُ أن الجوع يرفعني تحية
لدم الضحايا
للبنائين الطالعين من الأزقة والزوايا
موجاً يُضيء العالمين . . .
— مولاي زين العابدين
لغتي تنوء كأن فوق حروفها حجراً وطين
فبأي جائحة أطوف ، بأي موج أستعين؟

. . . — وانطفأ المصباح
في آخر الشارع ،
واستدارت
غمامة ، وذابت
في أول الشارع واشرابت
حمامة ، وماتت
في لفطة الشارع —
— من هناك؟

وارتجفنا
كالخيطِ
— من هناك؟
وانكسرنا
كالغصن
— من هناك؟
وانجحرننا
في حائطٍ
دخلنا
في حفرةٍ
وغبنا ...
— هل قلت؟
— لا
— خذوه ...
— هل كنت؟
— لا
— تبغنا خطاه ...
— قيّدوه ...
ونامت المدينة
وغلّقت أبوابها
ونمنا

من أين؟ لا مفتاح
يفتحُ أيَّ بابٍ
فيها ،
ولا مصباح
يُضيئُها ،
وليس في مداها مُهاجرٌ شهيدٌ
يرفع في ساحاتها جبينه ...
وهذه بلادِي
مع رجلٍ آخرٍ من سُرداقِ الغزالي
تنام - ليس وجهي
حرقاً ، ولا ذراعي
تكيّةً
وهذه بلادِي
فخذان من صلاةٍ
مسافةً من شرِّ وتيهٍ
أبحث في رمادها
عن دمي الآخر ، عن شبيهي ...

(... وكان سيف النعمة المَجْبُولُ بالدماءِ

معلقاً بالعرش ، قلت : سيّدي

إزفعه عن بلادي ...
فقال : تمّ الحكم والقضاء
وسوفَ يفنى شعبك الحنيفُ مثل زبدٍ بالطعنِ
والطاعونِ
لكنك المفضل الحبيب - آدم
خلقته من طين
وكان إبراهيمُ لي خليلاً
وأنت لي حبيب
وموسى ،
كلمته وبيننا حجاب
وأنت تلقاني بلا حجاب
وإن أكن خلقتُ من كلامي
عيسى ، فقد شققتُ من أسمائي
إسماً لك ، اقترنت بي ،
أعطيتك الكون
والحوض والشفاعة الكبرى ...)

أسمعُ صوت صخرة قديمة
تضربُ وجه الشرق
يرتسم الخالق في شقوقها والخلق

أسمع صوتَ الزّمن : البغايا
والقبرُ والمعاد
وحائطٌ يضحك أو يصلي
للليل شهرزاد ...
... - والتّيلُ والفراتُ
عينان مملوءتانُ
بالشمس والأشعة
وتبردى يبكي
تبيس في صوته
الأشجارُ والأغنياتُ
والغُوطَة المرضعة ،
رمى على وجهه
ملاءةً ...
ينامُ أو يقرأُ في بستانٍ ...

(... - دُهِشت؟ هذي قَبّة ،
سريرُ
من عَنبرٍ ، عليه
حوريّة
تُضيء من خنصرها الحقولُ والفصولُ

هذي لمن يموت شاهداً
بأنك الرسولُ ...)

سمعتُ صوتَ الزمن - الجريمة :
رائحةُ النّسرينُ
أغنيةُ الشمس على الأسوار
فراشةٌ تهرب من تشرين
إلى غدٍ يحرقه نواز
في أرضه الكريمة .
من أين هذا الزمنُ المشقُّقُ المدهونُ
بالطّاعونُ؟

من أين؟ كيف تصبح الرّياضة
قرنين ، أو ذبابه؟
سمعتُ صوتَ الزمن : السَّقوطُ
لو لم يك البستانُ
جاريةً ، لكانَ
جرادةً ...
أعيدي

صوتك ، واستعيدي
سماءً - ملائكة
يأتي ، وهذا سلم الهبوط . . .

سمعتُ صوتَ الزمن . . . السقوطُ
نحوي في الولاده
والنهر الممدود كالوساده
من شفتي سقراط حتى جثة الحسين .

(. . . ولم نزل نزل . . . ها وصلنا
ودعني جبريل ، قال : حدث
بما رأيت واختفى البراق . . .)

حدثت ،
تم الحكم والفراق
حدثت ، كانت هامة الغزالي
جالسة كالسيف ، صيرت حجراً مبرأ كطفل
يطارد الغزالي .
وبعد أن يرسم حول وجهه

إشارة الرضوء والطَّهارة
 وبعد أن يكرّر الصَّلَاة حَتَّى تُصْبِحَ العبارة
 تَكِيَّةً ومَسْجِداً ،
 وبعد أن يُغَالِي
 في مدحه - يُجَلِّه كَاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ ،
 يَرِجُ كُلَّ ذَرَّةٍ
 فِي كَوْكَبِ الْغَزَالِي ...
 بِالرَّفْضِ بِالسَّوَالِ
 بِالْغَرَقِ الْحَاضِنِ كُلِّ رَأْسٍ
 بِشَاطِئِ الْغَيْبَةِ وَالرَّجْعَةِ ، بِالْإِمَامَةِ
 تَأْتِي ، وَكُلَّ نَجْمَةٍ عِمَامَةٍ ،
 بِالرَّعْدِ ، بِالْأَيَّامِ سَابِحَاتٍ فِي مُخْمَلِ الْأُبْدِ
 كَأَنَّهَا الْأَعْرَاسُ أَوْ كَأَنَّهَا الْجَرَاحُ فِي مَدِينَةِ الْجَسَدِ
 بِالْعَشْبِ وَالْبَقُولِ
 بِوَطْنٍ يَعِيشُ فَوْقَ الْأَرْضِ ، لَكِنْ خَارِجَ الْفُصُولِ ،
 بِالرَّفْضِ بِالسَّوَالِ
 بِالْمَسْجِدِ الْمَهْدُومِ ، بِالْحِجَّاجِ وَهُوَ يَصْلُبُ الْمَدِينَةَ
 بِعَابِدٍ تَجْتَرُّهُ التَّكِيَّةُ
 بِالْخَوْفِ ، بِالتَّقِيَّةِ
 بِقَبَّةٍ تَجْتُمُّ كَالْوُطُوطِ أَوْ تَهْتَزُّ كَالسَّفِينَةِ
 حَامِلَةً بَقَايَا

من ورق الجنة أو من نعمة الإله ، بانحساف
 يغسل لون الأرض ، بالنفسج المقلوغ
 من أول الزمان ، بالينبوغ
 مُرتطماً بالوقت مُستضيئاً
 كأنه الحصاد أو كأنه المصباح ، —
 بالقبول والسؤال
 بكل هذا العالم اليابس كالنبات
 الأخضر كالنبات
 رججت كل ذرة
 في كوكب الغزالي ،
 رفضت وانفصلت
 لأنني أريد وصلاً آخر ، قبولاً
 آخر مثل الماء والهواء
 يبتكر الإنسان والسماء
 يُغير اللحمَة والسداة والتلوين
 كأنه يدخل من جديد
 في سفر النشأة والتكوين .

لكوكب الغزالي
 لهذه المقابر المبتوثة الأشباح والطقوس

في نَفَقِ الهواءِ والتَّاريخِ ، في الأقدامِ والرُّؤوسِ ،
لهذه الجدرانُ
للكتبِ المدهونةِ الأوراقِ والرفوفِ
بالْبَطْنِ والشَّهوةِ والأسنانِ

لهذه الأنصابِ والأعلامِ والسِّيوفِ
لهذه المساجدِ الكنائسِ الدانيةِ القُطوفِ
لهذه الدُّروبِ
مرصوفةً بالليلِ ،
للتكايا
علامةِ الأسرارِ والغيوبِ
لكلِّ هذا الزَّمنِ المكذَّبِ المشحونِ
بالرَّمْلِ والشُّعارِ والطاعونِ
أعرفُ ما تقولُ لي
يا كوكباً يسكنُ وجهَ الشَّرْقِ
أعرفُ ما تودُّ أن تقولَهُ
للشَّرْقِ ،
هذا السَّيِّدِ المصلوبِ
هذا الشَّاعِرِ المجنونِ ،
وها أنا أغنِّي
أتي كما تقولُ لي

يا كوكباً يسكن وجه الشرق
 من يّس الغابات من دُجّة الأبار والزّوايا
 من جوف عنكبوت
 من قمر يسود من حضارة تموت
 آتي كما تقول لي
 يا كوكباً يسكن وجه الشرق
 في الشمس في حناجر الأطفال في النّوارس المليئة
 بالبحر ، بالشواطئ المضيفة
 أفتح كل باب
 أشق كل رمس
 بغضبة الخالق - بالرجاء أو باليأس
 بثورة النبي
 مسكونة بالشمس
 مسكونة بالفرح الكوني .

(بيروت ، 1967)

تعويضات لمدائن الفزالي

١- جسد الحصاة

هذا الذي سمّيته التّاريخَ والبدايةَ
 أملتُ مسدوداً بلا حياةٍ
 كجسد الحصاة ،
 هذا الذي يمنحنا الرّعايةَ
 سريراً عنكبوتٍ
 والماء في العاصي وفي القراتِ
 حَبْرٌ ، وصحراءُ الخُطى كلامٌ
 أو ورقٌ ، لا فرق ، والقلاعُ
 جاريةٌ مربوطةٌ ، وليلاً
 أجردٌ : لا حلمٌ ، ولا شعاعٌ .
 لا ، لستِ أقحوانٌ
 أو باقةٌ من زهر الأخواةِ
 ولستِ إحياءٌ ولا نبوةٌ
 أو نجمةٌ تسهرُ عند الجسرِ
 تقرأ ماءَ النّهر ...

وليس فيك سائلٌ
وليس فيك قارئٌ
فأنتِ مرزبانُ
يَصْنَعُ من جنازةِ الضحيةِ
خبزاً ، ولستِ ناهدَ الصبيةِ
حينَ يكون الحبُّ مهرجاناً .

... — جلدةٌ أنتِ ، لستِ أكثر من جلدةٍ مغزى وإن تناسلتِ
واستأجرتِ زوجاً وجئتِ للناس في ثوبٍ دمقسٍ ، وسحنةٍ آدميةٍ .
وأنا الدهرُ والطريقُ ،
أخضُ البحرَ — موتي سفينةٌ ، وبقايايَ
انفجارٌ يَجِيءُ ، أو أبجديةٌ . . .

٢- لو سكنت

... لو سكنتِ ، كما قلتُ ، صوتي
لكنكِ اهتديتِ
للطريقِ ومعراجها واكتسبتِ
حلّة السالكينِ
يشربون الشموسَ وأبعادها
ولكنكِ ارتويتِ
لو سكنتِ ، كما قلتُ ، صوتي
كنتِ العرافةَ
ومناراتها القُزحيّةُ
بين أيامنا الورقيّةِ
وثلوج المسافة ،
ولكنكِ اهتديتِ ...

٣ - القاعدة

— كي تستوي ، كي تكون
خُذْ يَدَهَا مِنْ هُنَا
خُذْ وَجْهَهَا ، وَابْتِكِرْ
شِرَارَةً وَاسْتَبِجْ
زُنْأَرَهَا ، وَالْكُتِفَ الْجَامِدَةَ
وَاشْدُدْ إِلَى الْيَسَارِ
مِخْوَرَهَا الْحَرُونَ
وَحَرِّكَ الزَّأْوِيَةَ الْقَاعِدَةَ
وغير الأساس والحِجَارِ
وغير القاعدة ...

(بيروت ، 1967)

مرآة الطريق وتاريخ الفصول

1

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحُ :
كلُّ شيءٍ جناحُ
طالعٌ في دمي ، في الحقولِ
سابعٌ في مدار الفصولِ
حيثُ أخيتُ وجهي مع العشبِ واستسلمتُ خطايا
لحنينِ المرايا
ورأيتُ العناصرَ تبكي وتفتحُ جرحَ الأخوةِ
بيننا ، وعرفتُ الإشارةَ
أنني أولُ البشارةِ
أنني نبتةٌ من الشرقِ في روضةِ النبوةِ .

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرياحِ
كلُّ شيءٍ طريقُ
ألحدودُ ورأياتها والحريقُ
والسدودُ ، اللقاءُ ومعالجةُ

الصُّوتُ ، صوتيَ في راحتيْ ،
العصافيرُ تنأى وتتركُ أسماءَها في الغصونِ
الغصونُ وتاريخُها -

- فتحنا
وطناً آخرأً وسرنا
في وداعِ العصافيرِ ، كنأ
لتباريحها فضاءً ،
رحلنا
مثلها . . .
كلَّ شيءٍ طريقُ ،

حضناً مراراتنا ، صعدنا
في بكوريةِ الأعالي
لابسينَ الرَّموزَ ، اصطبغنا ، صبغنا غلالاتِها بالأعالي
والحمائمُ الذي يتناسلُ في وجهنا طريقُ
والسَّرابُ ومزمأه طريقُ
كلَّ شيءٍ طريقُ
والوجوهُ التي تتناسخُ في عُبرةِ الطُّريقِ
والوداعُ المرابطُ في وحشةِ الطُّريقِ -
- يا زمانَ المطرِ

أَعْطِنَا ، وَابْتَكَرْ لِلشَّجَرِ
غَيْمَةً - حَلَّةً مِنْ هَوَانَا
وَاسْقِي مِنْ حَنٍّ ، مِنْ سَقَانَا
يَا زَمَانَ الْمَطَرِ . . .

بَغْتَةً ، صَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّبِيعَةِ
لُغَةً وَرَسَائِلُ ، صَارَ الْهَوَاءُ
دَرْجَةً ، صَبَرْتُ أَمْشِي
بَيْنَ عَيْنِي وَالْفَضَاءِ
سَائِحَةً فِي ثِيَابِ الطَّبِيعَةِ :

- إِنَّ تَكُنْ يَا بَرِيدَ الْمَسَافَةِ
فَارِسًا ، فَعَنِينِي
فَرَسٌ ، إِنَّ تَكُنْ صَحَارَى
فِيدَايِ الْقَوَافِلُ ، إِنَّ كُنْتَ نَارًا
فَأَنَا عَاشِقٌ غَرِيبٌ تَيْمُمْتُهَا ، وَالْعِرَاقَةُ
كَوْكَبِي ، يَا بَرِيدَ الْمَسَافَةِ . . .

2

رَافَقْتَنِي الرِّيحُ وَأَحْجَارُهَا النُّبُوءَةُ :
حَجَرٌ سَيِّدُ الْمَدِينَةِ

حَجَرٌ خَادِمُ المَدِينَةِ
حَجَرٌ وَاسِعٌ يَتَدَحْرَجُ فِي خَاتَمِ الخَلِيفَةِ
حَجَرٌ نَجْمَةٌ خَفِيفُهُ
عَلَّقَتْهُ الصَّبَايَا
بَيْنَ أَحْلَامِهِنَّ الأَلِيفَةِ
وَعِیُونَ المَرَايَا

— أَسْتودِعُ الحَجَرَ —
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرُ
فَلِلْحَجَرِ
خَيْطٌ مِنَ الرَّاحَةِ ، فِي نَسِيجِهِ
عَيْنَايَ وَالْغَابَاتُ وَالْمَطَرُ
وَلِلْحَجَرِ
مَدِينَةٌ تَوْلَدُ كُلَّ لَيْلَةٍ
أَبْحَثُ فِي شَقْوَقِهَا ، أُرْكَضُ — كُلَّ سَاحِرٍ
يَضِيعُ فِي مَدِينَةِ الحَجَرِ

لَكُنْنِي أَسْتودِعُ الحَجَرَ
مَا يَتْرُكُ النَّهَارُ مِنْ حُطَامِهِ
فِي سَفَرِي ، مَا يَتْرُكُ السَّفَرُ ...

رَافَقَتْنِي الرِّيَاحُ وَأَحْجَازُهَا النَّبَوِيَّةُ

والذين يسرون في النارِ ، يَسْتَنْبِتُونَ
شَجَرِ الحَلَمِ ، يفتحون
في رمادِ العصافيرِ بَوَابَهُ ...

— ... وسرنا

خطواتٍ من القمح ، سرنا ...

يرونَ الطريقَ أغاني
وخطاهم يَنَابِيعُهَا ...

— التقينا

بين عنقِ الطريقِ وأردافِها ...

الطَّالِعُونَ
من قِلاعِ الهجومِ
يَمْدُونُ سلطانهم في تخومِ الغرابَةِ في أَوَّلِ النَّبَاتِ ...

— انحنينا ...

للطريقِ وأعشاشِها

رأينا

سحرَ أبعادِها

سمعنا

صوتَها ..

العاصفونَ
الذين يجيئونَ كالوقتِ ...

— عينُ الغرابَةِ

مطرًا أو سحابة

تحت أهدابنا

عجينا

كيف لم يفتح الجنون

لخطانا شبابيكه ، عجينا ...

والذين يرجون ماء العصور ...

— انتشلنا

وطناً عائماً ...

يسمّون ما لا يُسمّى

يكسرون الحدودَ وأقفالها ، يُنشثون

طرقاً في الطريقِ ، يسيرون قدّامها . . .

... — استمعنا

لصدانا يسافر في العشب ،

يقبل من آخر البحر ...

يهوون في لجّة الحلم ،

... — كنّا

ذهبَ الليل والصُّحارى

فوق غرناطة ، في بخارى ...

والذين يسيرون بين التحوّل والنّارِ

— سرّنا ،

كلهم رافقوني ...

... حيثُ تقصُّ الشمسُ ، بعدَ النَّوْمِ

عليَّ كلَّ يومٍ :

... ونادرُ الأسودُ

يقرأُ باسمِ اللهِ والشَّقاءِ

أسطورةُ الخبزِ وشعرَ الماءِ

ونادرُ الأسودُ

تحمله الأشجارُ

وكلَّ غصنٍ قبضةً وسيفُ

ينضجُ قبلَ الصَّيفِ

ينضجُ بعدَ الصَّيفِ

ونادرُ الأسودِ

هاجرَ كي يرجعَ في تشرينِ

في أولِ الأمطارِ ...

... حيثُ رأى مهبِلاً

كيفَ تجيُّ الشمسُ كلَّ يومٍ

إليَّ ، بعدَ النَّوْمِ

حيثُ يصيرُ الماءُ

من لهفةٍ ، نافورةَ الحريقِ

حيثُ يكونُ الزَّهرُ الضَّائعُ في الطَّرِيقِ

أجراً من مدينته .

تَفْتَحُ الْأَرْضُ بَيْتَهَا

تَبْدَأُ الْأَرْضُ خَطَاها مَعِي ،

— مَعِي غَضَبُ الْأَرْضِ ، هَوَاهَا ، سَطَوَحُهَا الْوَحْشِيَّةُ

وَالدَّمُ السَّيِّدُ ، الدَّمُ الْأَمْرُ ، الطَّالِعُ مِنْ بُورَةِ

الزَّمانِ الْقَصِيَّةِ

تَفْتَحُ الْأَرْضُ بَيْتَهَا ،

— سِرَّةُ الْأَرْضِ سَرِيرٌ

كُلَّ التَّوَارِيخِ عَقْدٌ يَتَنَلَّى حَوْلِي ...

وَتَارِيخُنَا يَنْضَحُ :

... فِينَا الْجَمْرُ ، الضَّحَايَا

وَفِينَا

شَهْوَةُ الْمَلْحِ ، شَهْوَةُ الْكَوْكَبِ الْجَامِحِ فِينَا ،

وَصَحْوَةُ الْجَنْسِ فِي اللَّيْلِ ، وَقَرْبَانُهُ

وَتَسْبِيحَةُ الْمَرْأَةِ انْهَارَتْ عَلَى صَدْرِ فَاتِحِ يُغْلِقُ التَّارِيخَ ،

فِينَا الدَّمُ الْغَيُورُ الْغَرَابِيُّ الْغَرِيبُ الْمَقْدَسُ الْمَسْفُوكُ

وَالرَّقِيقُ : الْمَلِكُ وَالْمَمْلُوكُ

... — كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ وَالتَّائِثُونَ

أَصْدَقَاءُ الرِّيحِ

يَجْرَحُونَ النَّهَارَ يَسِيرُونَ بَيْنَ الْجَرَاحِ ...

غَيْرَ أَنْ أُسِيرَ ، أَسْمَى ، أَرَدَ إِلَى كَلِمَاتِي

سَحَرَ تَكْوِينَهَا ، أَسْمَى
بِالْجُذُورِ وَإِقَاعِهَا ، أَسْمَى
شَجَرَ الْخَلْجَةِ النَّبِيَّةِ فِي أَوَّلِ الْقُصُولِ
حَيْثُ لَا يَعْرِفُ الدَّخَانُ
أَنْ بَيْنَ الْحَقُولِ
وَبِنَابِيعِي الْخَفِيَّةِ
سَقَطَتْ جَنَّةُ الْمَكَانِ .

... وَأَسْمَى ، وَطَفَّحَتْ أَنْهَارِي الْبُشْرِيَّةِ
غَضَباً يَنْسُجُ الْخَيَوطُ
بَيْنَ صَوْتِي وَأَمْوَاجِهِ ، وَالشَّطُوطِ
قَوْسُ نَارٍ - حَضَنْتُ الْحَرِيقَ
وَقَشَرْتُ الْمَكَانَ ، جَعَلْتُ الْمَكَانَ
زَهْراً يَقْرَأُ الطَّرِيقَ
وَالنَّخْطَى تَرْجِماً .

وَرَأَيْتُ أَغَانِيَّ تَمْشِي وَتَنْسُجُ أَقْدَامُهَا الشَّبَابُ
لَطِيبُورَ الْكَابَةِ
وَرَأَيْتُ أَغَانِيَّ تَلْهُو ، تَعْدُ التَّرَابُ
حَبَّةَ حَبَّةً ، وَالْعَذَابُ
نَائِثٌ فِي السَّوَادِ عَلَى ضَفَّةِ الْغَرَابَةِ .

كانت الريحُ عَيْنَيْنِ مسنونتينُ
تخرقان الظَّلَامَ وعاداته ، تجرحانُ
جسدَ اللَّيْلِ ، تشربانُ
دمَه الأسودَ ، المصْفَى
حينما تصعد المقابرُ أو يسقطُ المَلَأُ
كانت الريحُ جَنِيَّةً والأغاني
وجهها واليدينِ . . .

. . . . - وناذِرُ الأسودِ
كان الصُّدى ، وكان
يجلس بين القَمَرِ الجائعِ والبستانِ
يكشفُ الظَّلَّ ، يغطِّي جوعه وكانُ
كالذَّهرِ ،
فلاحاً من الفراتِ
يخيطُ جِرْحَ الماءِ
يمشي وتمشي خلفه السَّمَاءُ .

حيث تجيء الشمس بعد النّومِ
إليّ ، كلُّ يومٍ
حيث يصير الماءُ
من لهفة نافورة الحريقِ
حيثُ يكونُ الزَّهْرُ الضائع في الطَّرِيقِ

أَجْراً مِنْ مَدِينَةٍ .

4

— مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟

— مِنْ أَرْضِ الْمَوْتَى ، مِنْ أَجْرَانِ الدَّمْعِ أَتَيْتُ

لَمْ أُسْكَنْ بَيْتَ . . .

وَحِينَما نَزَلْتُ فِي مَقْبَرِهِ

وَالشَّمْسُ تَلْتَفُّ عَلَى كَاحِلِي

كَالْعَشْبَةِ الْمُسْكِرَةِ

حَمَلْتُ لِلْجُوعِ قَرَابِيئَهُ

كَانَ دَمِي أَضْحِيَّةً هَاجَرَتْ

إِلَى غَدِي أَخْرَجَ

كَانَتْ يَدِي مَجْمَرَهُ . . .

وَلَمْ أَجِدْ فِي أَوَّلِ الْمَقْبَرَةِ

وَلَمْ أَجِدْ فِي آخِرِ الْمَقْبَرَةِ

غَيْرَ الْأَطْفَالِ

كَانُوا وَعَدَ الْأَرْضِ الْحُبْلَى

كَانُوا الْمَدَى الْعَالِيَّ وَالْأَمْوَاجَ الْحُبْلَى وَالشَّلَالَ . . .

— مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟

— كُنْتُ أَغَامِرُ فِي الْغَابَاتِ

أَرْكُضُ خَلْفَ الْجَنِّيَّاتِ

أحلم أن الجنّياتُ

خبزٌ ...

... ومرّ عصفورٌ بلا هويّة

من فُلواتِ الطّيْرِ

والتمّت الأرضُ كمْزهريةٍ

للّيل ، للبقيةِ

من زهرِ الصّبيرِ .

— من أين أتيت؟

— كنتُ حطّاباً عبّدتُ الشّجرةَ

وغرّزتُ الفأسَ في أهدابها ...

— كيف أتيت؟

— جئتُ في قافلةِ الرّعبِ وراياتِ الجنونِ

في بقايا فأسِي المنكسرةِ

مرهقاً يحمل تاريخَ الغصونِ ...

5

مهيّأ

يهبطُ في محيطِ قاسيونِ

في بردي ، في فجوةِ السّقيفةِ

في الغُوطَةِ المفكوكَةِ الأزرا

في اللّيلِ — محمولاً على قطيفه :

— شقائق النعمان

والحجر الماسي والقنب والرمان

حشد من الفرسان في إيوان قاسيون .

حيث تصير الناز

بحيرة ، ويولد العصفور

في ورق اللوتس ، حيث الماء

سفينة تقل للأبناء من مقابر الآباء

مجامر البخور :

... — تحت وجه الفسيفساء ترعنا ...

وغلغلت في ضباب الأريكة

في دوار ، في حضن غيبوبة خضراء

في طعم جنة

وسمعت البحر يكي أمواجه المنهكة ...

ساطع

لهبي التحول هذا الزقاق — الحجار مرايا :

حجر سيد المدينة

حجر فارس المدينة

قاطع يتقدم يجتاح يدخل في مقتل المدينة ...

عجلات النهار ارتخت ، والمدينة

أسلمت وجهها المدينة
حيثُ تقصُّ الشمسُ بعدَ النُّومِ
عليّ، كلَّ يومٍ :

... - ونادرُ الأسودِ
كالذهِرِ، فلاحُ من الفراتِ
ينخيطُ جرحُ الماءِ
يمشي وتمشي خلفه السَّماءُ ...

مهيارُ
جِسْرٌ إلى الهُبوطِ حتَّى السَّحرِ والشِّقاءِ
في الجسدِ الأرضيِّ أو في جسدِ السَّماءِ -
... - جسدي هنا، جسدي هنالك ساجِرُ
صوتُ يثْنُ بلا صدَى
يرتادُ يفتتحُ المدَى
هو والمدى ...

فصلته جارحةُ البروقِ عن الدِّمِ اللّزجِ الهزيلِ
جسدي قِبابُ الأرزِ، والنَّهرُ المسافرُ، والنَّخيلُ ...

كلُّ شيءٍ كما كان ، والثائرون
أصدقاءُ الرِّياحِ

فقراء الزوايا وأطفالها والنساء البقايا
يجرحون النهار يسرون بين الجراح
كل شيء كما كان : كفاي مثقوبتان
والصدى يشرب التزيف
كل شيء كما كان : عيناى معصوبتان
والطريق الرغيف ،

... - سقطت حرية ، فلملمت أيامي
وأسلمتها إلى كلماتي
في جذور التفتحات
ودفع الموت ، في موتى الصديق المؤاتي
في الغد النافر المهاجر ،
في البرق الصديق ، البوق البعيد الآتي
لست إلا إيقاعها : لست إلا
نَسْماً طائفاً
يفتت روح الماء بين الانقاض والأشتات ...

مهيار
وجهك برج الليل في سفينة البخور
والحلم في أجنحة اليمام واليمام في التنور
والكناري الذي غنى وغنى :

— لم يعد حولي مكانٌ غير ظلي
لم يعد حولي طريقٌ غير ظلي ...

والذي غنّى وغنّى :

— كان لي أرضٌ منحتُ الأرضَ ، كان
شجرٌ مات ،

الكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

— أنتَ يا وجهَ المكانِ
نصفك الأول مات
نصفك الآخر لم يُولَدْ ...

وغنّى :

— كان لي ظلٌ منحتُ الظلَّ . كان
شجرٌ مات ...

الكناريُّ الذي غنّى وصلّى للحياة
طار من شوقٍ إلى الموتِ ومات ...
مهيّأ

وجهك برجُ الضوءِ في سفينةِ الظلامِ
والحلمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامِ

جسدٌ هنا جسدٌ هنالكَ ساحِرٌ
يرتادُ يفتتحُ المدى
هو والمدى . . .
حيثُ تقصُّ الشمسُ ، بعدَ النَّومِ
عليّ ، كلُّ يومٍ :
... - وسمعتُ أساطيرَهم ، وخبزنا ، أكلنا
وقفنا أمامَ المرايا
ورأيتُ الوجوهَ الطَّريئةَ
وتجاعيدها ، ورأيتُ الجنونَ
وهو يستنفرُ العصورَ يسوقُ العصورَ
نحوها . ورأيتُ الرِّماحَ
تنحني فوقنا كالغصون ، رأيتُ الغصونَ
في تقاطيعنا . . .
رأيتُ المراكبَ في فجوةِ الخليجِ
تحملُ النَّارَ والرِّياحَ
وغسلتُ المرايا وحرَّرتُ إعصارها ، مزَّجتُ المرايا
والطَّريقَ وتاريخها ، وجعلتُ المزيجَ
كيمياءَ العصورِ الجديده . . .
ويجيءُ الصِّباحُ
من تخومِ خفيَّةِ

لابساً حُمْرَةَ القُطَيْفِ
 لهبياً ودَيْعاً يَطْهَرُ ، يَزْرَعُ جَنْدَرَ الرِّياحِ
 فِي بِلادِ الخَلِيفِ
 وَأَقَالِيْمِها الوَرْقِيَّةِ . . .
 حَيْثُ رَأَى مَهْيَازَ
 وَنَادِرُ الْأَسْوَدِ
 كَيْفَ تَجِيءُ الشَّمْسُ بَعْدَ النَّوْمِ
 إِلَيَّ كُلِّ يَوْمٍ
 حَيْثُ يَصِيرُ الْمَاءُ
 مِنْ لَهْفَةٍ نَافُورَةٍ الْحَرِيقِ
 حَيْثُ يَكُونُ الْوَرَقُ الضَّائِعُ فِي الطَّرِيقِ
 أَجْزَأُ مِنْ مَدِينَةٍ .

6

سَقَطَتْ مَنَادِيلُ الْفَضَاءِ بَشَارَةً تَلْدُ الْبَشَارَةَ :
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَابِرٌ شَرِبَتْ مَلَامِحَتَهُ الْجَسُورُ
 هُوَ مَرَّةً ، نَجْمٌ يَشْفُ ، وَمَرَّةً ، نَجْمٌ يَغُورُ —
 لَمْ يَبْقَ مِنْ تِيهِ الطَّرِيقُ سِوَى الشَّرَارَةِ
 وَالْمَاءُ نَجَّارٌ يَدُورُ
 يُعْطِي ، يُشِيرُ ، يَمُدُّ رَاحَتَهُ ، وَيُؤْذِنُ بِالْعُبُورِ .

(بيروت ، 1967)

هذا هو اسمي

ماحياً كل حكمة هذه ناري
لم تبقى آية ، دمي آية
هذا بذني

دخلتُ إلى حوضك أرض تدور حولي أعضاؤك
نيل يجري طَفُونَا ترسبنا تقاطعت في دمي قطعت
صدرك أمواجي أنصهرت لنبدأ : نسي الحب شفرة الليل ، هل
أصرخ أن الطوفان يأتي ؟ لنبدأ : صرخة تعرج المدينة
والناس مرايا تمشي إذا عبر الملح التقينا هل أنتِ ؟
- حبي جرح

جسدي وردة على الجرح لا يُقَطَفُ إلا موتاً . دمي غصن
أسلم أوراقه استقر ...

هل الصخر جواب ؟ هل موتك السيد النائم يُغوي ؟ عندي
لثديك هالات ولوع لوجهك الطفل وجه مثله ... أنتِ ؟ لم
أجذك .

وهذا لهبي ماحياً
دخلتُ إلى حوضك عندي مدينة تحت أحزاني

عندي ما يجعل الغُصن الأخضر ليلاً والشمس عاشقة سوداء
عندي ...

تقدّموا فقراء الأرض غطّوا هذا الزّمان بأسمالٍ ودفع
غطّوه بالجسد الباحث عن دِفْئه ... المدينة أقواسُ جُنُونٍ
رأيتُ أن تلدّ الثورة أبناءها ، قبرت ملايين الأغاني وجثتُ ،
هل أنت في قبري؟ هاتي ألمسْ يديك اتبعيني .
زَمَني لم يجرى ومقبرة العالم جاءت عندي لكل
السلاطين رماداً هاتي يديك اتبعيني ...
قادرٌ أن أُغيّر : لُغْمُ الحضارة - هذا هو اسمي
(لافتة)

... وقفتُ خطوة الحياة على باب كتابٍ محوته بسؤالاتي
ماذا أرى؟ أرى ورقاً قيل استراحت فيه الحضارات ، هل
تعرف ناراً تبكي؟ أرى المثة اثنتين أرى المسجد الكنيسة
سيافين والأرض وردة .
طار في وجهي نَسْرٌ قدّستُ رائحة الفوضى
ليأتِ الوقتُ الحزين لتستيقظ شعوب اللهب والرفض
صحرائي تنمو أحببتُ صفصافةً تحنّارُ بُرجاً يتيه مِثْذنةً
تهرمُ أحببتُ شاعراً صَفَّ لبناناً عليه أمعاءٌ في رسومٍ ومرايا
وفي تماثمٍ
قلتُ الآن أعطي نفسي لهاوية الجنس وأعطي للنار فاتحةً

العالم قلتُ استَقَرُّ كالرمح يا نيرون في جبهة الخليفةِ روما كلُّ
بيتِ روما التخيُّلُ والواقع روما مدينةُ الله والتاريخ قلتُ استَقَرُّ
كالرمح يا نيرون ...

لم أكل العشيَّة غير الرَّمْلِ ، جوعي يدورُ كالأرضِ أحجارُ
قصورٍ هياكلُ أتَهَجَّأها كخبزٍ رأيت في دميِ الثالثِ عيني
مُسافرٍ مزج الناسَ بأَمواج حلمه الأبدِي
حاملاً شعلَةَ المسافات في عَقْلِ نبيٍّ وفي دمٍ وَخشي .

... وعليَّ رَمَوْهُ في الجبِّ غَطَّوهُ بقشٍ والشمس تحمل
قتلاها وتمضي هل يعرف الضوءُ في أرض عليٍّ
طريقه؟ هل يُلاقينا؟ سمعنا دماً رأينا أنينا .

سنقول الحقيقة : هذي بلادٌ

رفعت فخذَها

رايةً ...

سنقول الحقيقة : ليست بلاداً

هي إصطبلنا القمريّ

هي عُكَّازة السَّلاطين سَجَّادَةُ النبيِّ

سنقول البساطة : في الكون شيءٌ يسمَّى الحضور وشيءٌ

يُسمَّى

الغيابُ نقول الحقيقة :

نحن الغيابُ
لم تلدنا سماءٌ لم يلدنا ترابُ
إننا زَبَدٌ يتخبَّرُ من نَهَرِ الكلماتِ
صدأٌ في السماءِ وأفلاكِها
صدأٌ في الحياةِ!
(منشور سري)

وطني فياً لاجئاً

وليكن وجهي فياً
دَهْرٌ من الحجر العاشق يمشي حولي أنا العاشق الأول
للنار
تجبلُ النار أيامي ناراً أنثى دَمٌ تحت نهديها صليلُ
والإبطُ أبارُ دمع نَهَرٌ تائهٌ وتلتصق الشمس عليها كالثوبِ
تزلقُ جرحُ فرْعته وشعشعته بباهٍ وبهارةٍ، هذا جنينك؟
أحزاني وَرْدٌ.
دخلتُ مدرسة العشب جيني مُشَقَّقٌ ودمي يخلع سلطانه :
تساءلتُ ما أفعلُ؟ هل أحزم المدينة بالخبز؟ تناثرتُ في
رواقٍ من النار اقتسمنا دَمَ الملوك وجعنا
نحمل الأزمه

مازجين الحصى بالنجوم
سائقين الغيوم
كقطيعٍ من الأحصنه .

قادات أغير: لغم الحصار - هذا هو اسمي

الأمّة استراحت
في غسل الرباب والمحراب
حصنها الخالق مثل خندق
وسده .

لا أحد يعرف أين الباب
لا أحد يسأل أين الباب .

(منشور سري) .

... وعلي رموه في الجب كان الجمر ثوباً له اشتعلنا
تمسكنا بأشلائه اشتعلت مساء الخير يا وردة الرماد
علي وطن ليس لاسمه لغة ينزف نفياً ويثبت العشب والماء
علي مهاجر

أين يغفو سيد الحزن كيف يحمل عينيه؟ سمائي منخوقة
كتفي تهبط والأرض خوذة ملئت رملاً وقشاً هلعت أركض
غطتني سنونوة نهضت لهيباً ناهداها نهضت أفتح شباكاً :

حقولٌ خضرٌ أنا الفاتح الآخر والأرض لعبة فرسٌ تدخل في

الغيم

يخرج الشجرُ العاشقُ غصنٌ يهزني أنبجس الماء انتهى
 زمن الناس القديمُ ابتدأت وجهي مداراتٌ وفي الضوء ثورة .

أيقظتني قريةٌ في مهبةٍ أنكسر الصمتُ

احتضنني يا خالقَ التعبِ امنحني أراجيحك امتحنني أنا

الصخرة والبحث والسؤال ولا عيدٌ ولا موقدٌ أنا الشبحُ الراصدُ

في فجوة المدينة والناس نيامٌ دخلتُ في شركِ الضوء

نقيًا كالعنف أسطع كالتيه خفيفاً أطرافِي البرق أطرافِي رياحُ

منحوتةٌ ليس عظمي طعمَ تاجٍ أو فضةٍ لستُ مُلكاً ودمي هجرةُ

السماء وعيناَي طيورٌ يُقال جلدك شوكٌ لثمتُ ولتكن

سمائي من جلدك صفراء قيل جلدك دهرٌ راسبٌ في قرارة

الحلم

ولتولد حِرابُ الوقعة الأبدية

بيننا حفرة انهدامٍ وصوتي

هذيانُ المغيرِ يكسر عكاز الأغاني ويقلع الأبعدية

... والنساء ارتخنَ في مقصورةٍ

يستجرن الكتبَ المستنزلة

ويحولن السماء

دميةً

أو مقصلة
وعليُّ فاتحُ أحزانه
لبهاليل الشقاء
للذين استنسروا وانكسروا ...
وعليُّ لهبُ
ساحرٌ مشتعلٌ في كلِّ ماءٍ
عاصفاً يجتاحُ - لم يترك تراباً أو كتاباً
كنس التاريخ غطى
بجناحيه النهار
سرّه أنَّ النهار
جُنُ
هذا زمنُ الموتِ ، ولكن
كلُّ موتٍ فيه موتٌ عربيّ
تسقط الأيام في ساحاته
كجدوع الأرزة المكتهلة
إنه آخرُ ما غني بهِ
طائرٌ في غابةٍ مشتعلة .

وطني راكضٌ ورائي كنهرٍ من دم
جبهة الحضارة
قاعٌ طحليبيُّ لملمت تاجاً تقمّصتُ سراجاً هامت
دمشق حنت بغدادُ سيفُ التاريخ يُكسرُ في وجهه بلادي

مَنْ الحريقُ مَنْ الطوفانُ؟

كنتِ الصحراء حين أسرتُ الثلج فيكِ انشطرتُ مثلك رملًا
وضباباً صرختُ أنتِ إلهٌ لأرى وجهه لأمحو ما يجمع بيني
وبينه قلتُ جاسدتكِ أنتِ الشوقُ المليء بأمواجي أنا الليلُ
حافياً حين أدخلتكِ في سرّتي تناسلتِ في خطوي طريقاً
دخلتِ في مائي الطُفْل استضيئي تأصلي في متاهي
خدرٍ شمّر يعرّش حول الرأس حلمٌ تحت الوسادة أيامي
نقبٌ في جيبِي اهترأ العالمُ حواء حاملٌ في سراويلي
أمشي على جليدٍ

ملذّاتي أمشي بين المحير والمعجز أمشي في وردةٍ
زهراتُ اليأس تذوي والحزن يصدأ جيشٌ من وجوهٍ
مسحوقةٍ يعبر التاريخ جيشٌ كالخيط أسلم واستسلم ، جيشٌ
كالظّل أركض في صوت الضحايا وحدي على شفة
الموت كقبرٍ يسيرُ في كرة الضوء -

انصهرنا دَمُ الأحباء كالأهداب يحمي سمعتُ نبضك في
جلدي ، هل أنتِ غابةٌ؟ سقط الحاجزُ ، هل كنتِ حاجزاً؟
سأل النورس خيطاً في البحر يغزله الرُبانُ غنى ثلج المسافر
شمساً لا يراها ، هل أنتِ شمسي؟ شمسي ريشة تشرب
المدى سمع الضائع صوتاً ، هل أنتِ صوتي؟ صوتي زمني
نبضك الشهي ونهداك سوادي وكل ليلٍ بياضي
زحفت غيمةً فأسلمتُ للطوفان وجهي وتهتُ في أنقاضِي ...

هكذا أُحِبُّتُ خيمه
 وجعلت الرَّمْلَ في أهدابها
 شجراً يُمطر والصحراء غيمَةً
 قلتُ : هذي الجرّة المنكسره
 أمة مهزومة ، هذا الفضاء
 رَمَدٌ ، هذي العيون
 حُفَرٌ ، قلت الجنون
 كوكبٌ مختبئٌ في شجره .
 سأرى وجه الغراب
 في تقاطيع بلادِي ، وأسمي
 كَفَنًا هذا الكتابُ
 وأسمي جيفةً هذي المدينة
 وأسمي شجرَ الشام عصافير حزينه
 ربما تولدُ بعد التَّسمية
 زهرة أو أغنية ،
 وأسمي قمرَ الصحراء نخلة
 ربما استيقظت الأرض وعادت
 طفلةً أو حلم طفلة
 لم يعد شيءٌ يغني أغنياتِي :
 سيجيء الرافضون
 ويجيء الضوء في ميعاده ...

لم يعد غيرُ الجنونِ
هل لتاريخيَ في ليلِكَ طفلٌ
يا رمادَ المدفأه
غضبُ الثورة جمرٌ عاشقٌ
وأغانيَ امرأةٍ :
هل لتاريخيَ في ليلِكَ طفلٌ؟

الغبَّارُ التراثيُّ في العظم الجأ؟ هل يُلجئُ الغبارُ؟
لا مكانٌ ولا ينفع الموتُ . . . هذا دُوارٌ
من يرى جثَّةَ العصور على وجهه ويكبو لا حراكُ
يحسُّ الكهولةَ
حُلْمَةً للطفولة .

قادرُ أنا أغنيو: لغمُ الحضارة - هذا هو اسمي

عُدُّ إلى كهفِكَ التواريخُ أسرابُ جرادٍ ، هذا التاريخُ
يسكن في حُصنٍ بغيٍّ يجترُّ يشهق في جوفِ أتانٍ ويشتهي عَفَنَ
الأرض ويمشي في دُودةٍ عُدُّ إلى كهفِكَ واخفض عينيكَ

المحِ كَلِمَةً

كلنا حولها سرابٌ وطِينٌ لا امرؤُ القيس هزُّها والمعري
 طفلُها وانحنى تحتها الجُنَيْدُ انحنى الحلاج والنُّفري
 روى المتنبي أنها الصُّوت والصُّدى أنتَ مملوكُ
 هيَ المالكُ الملاكُ غدُ الأمة فيها كبذرةٍ
 غدُ إلى كهفك

ماذا؟ نفوه أو قتلوه؟

قتلوه... لا لن أحدث عن موتي صديقي: ريفٌ من الزَّهر
 الأصفر حولي لكن سأكتب عن آخر غصنٍ في أرزةٍ
 البيت عن رفٍ يمامٍ يجزّ سَجَادَةَ الليل عن الحلمِ عالياً
 كبروج

قتلوه لا لن أفوه بأسماء شهودٍ أو قاتلين ولن أبكي
 سأبكي لأمةٍ وُلدت خرساء للتمّ حاضناً زرقه الشيطان يبكي :
 لِمَ البكاء على طفلٍ على شاعرٍ؟ سأكتب عن آخر فيءٍ
 لأرزة البيت عن رفٍ حمامٍ يجزّ سَجَادَةَ الليل عن الحلمِ عالياً
 كجبال .

وضع السيّد الخليفة قانوناً من الماءِ شعبه المرقّ الطينُ
 سيوفٌ مصهورةٌ وضع السيّد تاجاً مُرصعاً بعيون الناس
 هل هذه المدينة آي؟ هل ثياب النساء من ورق المصحفِ
 أدخلت معجري

في مضيقٍ حفرته الساعاتُ ساءلتُ هل شعبي نهرٌ بلا مصبٍ؟
 أغني

لُغَةُ النَصْلِ أَصْرُخُ أَنْثَقِبُ الدَّهْرَ وَطَاحَتْ جَدْرَانُهُ
 بَيْنَ أَحْشَائِي تَقَيَّاتُ لَمْ يَعدْ لِي تَارِيخٌ وَلَا حَاضِرٌ
 أَنَا الْأَرَقُّ الشَّمْسِيُّ وَالْقُوَّةُ الْخَطِيئَةُ وَالْفِعْلُ أَنْتَظِرُنِي
 يَا رَاكِبَ الْغَيْمِ أَشْيَائِي تَغْوَى وَالشَّمْسُ تَخْبِطُ أَطْرَافِي أَنَا
 السَّاكِنُ الْمَدَى وَالْمَزَامِيرُ أَنَا الْغَصْنُ لَا جَنَّا: أَصْخُ هَلْ تَسْمَعُ هَذَا
 النِّوَاحَ فِي كَبَدِ الْعَالَمِ؟ أَصْغِي لِلْمَوْتِ بَيْنَ
 تَجَاعِيدي هَذَيْنَا

هَذَيْتُ كَيْ أَحْسَنَ الْمَوْتِ اصْطَفَيْتُ النَّهْدِينَ بَيْنَ تَقَالِيدِي
 هَلْ جَلْدُكَ السَّقُوطُ هَلْ الْفَخْذَانُ جَرِيحٌ مَلَأَتْهُ التَّأَمُّ
 الْعَالَمُ هَلْ أَنْتِ مَقْلَعُ اللَّيْلِ فِي جِلْدِي؟ فَأَسِي مَسْنُونَةٌ
 صَرْتُ نَبْعًا آخَرًا ضِيفْتِي تَفِيضُ ذِرَاعَاكَ اغْتِرَافٌ قَوْسٌ حَمَلْتِكِ
 وَجْهِي صَحَبَ طَائِرٌ تَقَاسَمَهُ الصَّوْتُ اسْأَلِينِي أَجِبْ . . .
 تَكَلَّمْ جَفَرُ رَصْدَتْنِي خَيُولُهُ انْطَفَأَ الْهَمْسُ، أَعْنَدِي أَعْنَدُكَ الْآنَ
 مَا يُهْمَسُ؟ نَارٌ مَلْجُومَةٌ سَفُنٌ تَجَنَّحُ بِحَرٍّ مَرُوضٌ
 فَتَحَ النُّورُ عَيْنِيهِ أَغْلَقِي نَسِي الْفَتْحَةَ فِي
 رِيَشِهِ الْمَشْعَثِ مَاءٌ وَشِرَارٌ لَوْ كَانَ لَوْ عَرَفَ الرُّعْدُ لَوْ
 الرُّعْدُ فِي يَدِي

هُدُوءٌ هَذِهِ قُبَّةٌ وَسُكْنَايَ فِي قُوَّةٍ نَهْدٍ أَظِلُّ أَحْفَرُ لَوْ
 غَيَّرْتُ لَوْ غَيَّرَ الْغَبَارُ عَذَارَاهُ لَوْ النَّارُ هَمَزَةٌ . . .
 ذُبْتُ فِي جَنْسِي جَنْسِي بِلَا حُدُودٍ وَلَا سَيْفٍ تَلَاشِي لَأَشْيِي
 تَلَاشَيْتُ وَجْهَ وَاحِدٍ نَحْنُ لَا قَمِيصِي تَفَاحٌ وَلَا أَنْتِ جَنَّةٌ نَحْنُ

حقلٌ وحصادٌ والشمس تحرسُ أنضجَتْكِ جيثي من ذلك
الطرف الأخضر هذا قطافنا جسدانا زارعٌ حاصِدٌ
وحيدةٌ أعضائيَ جيثي من ذلك الطَّرَفِ استحضرتُ
موتي وسلسليني ملكنا جَمْرَةَ الوقتِ والحنينِ ملكنا رَغْدَ الكونِ
وهو يلتحف الناسَ اهتدينا . . .

قرأتُ في ورقٍ أصفرَ أُنِّي أموتُ نفيًا تنوَّرتُ الصُّحارى
شعبي يشطُّ . . . نبشنا كلماتٍ دفينَةً طعمها طَعْمُ
العذارى دمشق تدخل في ثوبيَ خوفًا حبًّا تخالط
أحشائيَ تلغو . . .

لفظتِ جلدكِ خَلِّي شفتيكِ اصبريهما بين أسناني أنا الليل
والنهارُ أنا الوقتُ انصهرنا تأصلي في متاهي . . .

هكذا أحببتُ خيمه
وجعلتُ الرَّمْلَ في أهدابها
شجرًا يُمطرُ والصحراءُ غيمَةً
ورأيتُ الله كالشَّحاذِ في أرضِ عليٍّ
وأكلتُ الشمسَ في أرضِ عليٍّ
ونخبزتُ المثلثَ
ورأيتُ البحرَ يأتي في ضبابِ المدخنه
هائجاً يهمسُ :
مَنْ كُوننا

لم يكن تكوينه إلا سقيفة

رجّها الإعصار فانهارت وصارت

خشباً يُحرقُ في دار خليفة .

نادرٌ أن ينطقَ البحرُ ولكن

نطقَ البحرُ : يبسنا

يبس التاريخ من تكراره

في طواحين الهواء

سقطَ الخالق في تابوته

سقطَ المخلوقُ في تابوته . .

والنساء ارتخن في مقصورة

ينتشلن الليلَ من أبارِه

ويُخيطن السماء

ويغنين : عليُّ لهب

ساحرٌ مشتعلٌ في كل ماء

ويسائلن السماء :

نجمةٌ أو مومياء

هذه الأرضُ؟

ويفتقن السماء

ويرقعن السماء

قَبَر الدجَالُ في عينيه شعباً

نَبَشَ الدجَال من عينيه شعباً

وسمعناه يصلي فوقه
ورأيناه يحييه ويجثو
ورأينا
كيف صار الشعب في كفيه ماء
ورأينا
كيف صار الماء طاحوناً هواءً .

جزرٌ للهب تبعدُ فيها آسيا يصعدُ الغدُ انطفأت
شمسٌ حلمنا بغير ما هجسَ الليلُ نهاري يقاسُ
باللهبِ استصرختُ صوتُ الشعوب يفتحُ الكونُ
ويُغوي

لستُ الرمادُ ولا الريحُ

سريري أشهى وأبعدُ أقفاصُ دروبٍ مهجورةٌ
فرسُ الماضي رمادٌ وصبغةُ الله لونٌ آخرُ
لا يدُّ عليّ
عليّ أبدأ النارَ والطفولةَ هل تسمع برق العصور
تسمع آهاتِ خطاها؟ هل الطريقُ كتابٌ أو يدٌ؟ إصبعُ
الغبار كدرويش يغني ملكَ الأساطير هاتوا وطناً قريباً

المدائن هزّوا شجر الحلم غيّروا شجر النوم كلام السماء
للأرضِ
طفلٌ تائهٌ تحت سرّة امرأةٍ سوداءٍ بحثاً
طفل يشبُّ
وللأرضِ إلهٌ أعمى يموت ...

سلامٌ

لوجوهٍ تسير في وحدة الصحراء للشرق يلبس العشب
والنارَ سلامٌ للأرض يغسلها البحر سلامٌ لحبّها ...
عزّيك الصاعقُ أعطى أمطاره يتعاطاني رعدٌ في نهديّ
اختتمَ الوقت تقدّم هذا دمي ألّق الشرق اغترفني وغبّ
أضيعني لفخذيك الدويّ البرق اغترفني تبطن جسدِي
ناريّ التوجّه والكوكب جرحي هدايةً أنهجّي ...
أنهجّي نجمةً أرسمها
هارباً من وطني في وطني
أنهجّي نجمةً يرسمها
في خطى أيامه المنهزمه
يا رماد الكلمة
هل لتاريخي في ليلك طفلٌ؟

لم يَعدُ غيرُ الجنون

إنني ألمحهُ الآنَ على شبَّاك بيتي
ساهرًا بين الحجار الساهره
مثل طفلٍ علَّمته الساحره
أنْ في البحر امرأة
حملتُ تاريخه في خاتمٍ
وستأتي
حينما تتمد نارُ المدفأه
ويذوب الليل من أحزانه
في رماد المدفأه ...

... ورأيت التاريخ في رايةٍ سوداء يمشي كغابةٍ لم
أُورِخْ
عائشٌ في الحنين في النار في الثورة في سحر سُمَّها
الخلاقي
وطني هذه الشرارة ، هذا البرق في ظلمة الزمان الباقي ...

(أوائل كانون الثاني ، 1969)

مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابل يزهو؟ هل تدخل
الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجّ الشرق؟
جاء العصف الجميل ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ ...

(كان رأسٌ يهذي يهرجُ محمولاً ينادي أنا الخليفةُ) ،
هاموا حفروا حفرةً لوجهِ عليٍّ كان طفلاً وكان أبيض
أو أسودَ ، يافا أشجاره وأغانيه ويافا ...
تكذّسوا ، مزّقوا وجهَ عليٍّ

دمُ الذبيحة في الأقداحِ ، قولوا : جبّانةُ ،
لا تقولوا : كان شعري ورداً وصار دماءً ،

ليس بين الدماء
والورد إلا خيط شمس ، قولوا : رمادي بيتُ
وابنُ عبّاد يشحذ السيفَ بين الرأس والرأس
وابنُ جهورٍ ميتٌ .

لم يكن في البداية

غير جذرٍ من الدمع أعني بلادي
والمدى خيطي - انقطعتُ وفي الخُضرةِ العربيّةُ
غرقتُ شمسي الحَصارةُ نَقالةً ، والمدينةُ

وردةٌ وثنيةٌ

خيمةٌ

هكذا تبدأ الحكايةُ أو تنتهي الحكايةُ .
والمدى خيطي - اتصلتُ أنا الفوهةُ الكوكبيةُ
وكتبتُ المدينةُ
(حينما كانت المدينةُ مقطورةً والنواخُ
سورها البابلي) ، كتبتُ المدينةُ

مثلما تنضحُ الأبديةُ
لا لِكَيِّ الأمِّ الجراحُ
لا لِكَيِّ أبعتُ المومياءُ
بل لِكَيِّ أبعتُ الفروقَ ... الدِّماءُ
تجمعُ الورْدَ والغرابَ لِكَيِّ أقطَعَ الجسورَ
ولِكَيِّ أغسل الوجوهَ الحزينه
بنزيفِ العصورِ .
وكتبتُ المدينةُ

مثلما يذهب النبيُّ إلى الموت أعني بلادي

وبلادي الصُّدى

والصّدى والصّدى . . .

كشفت رأسها الباء ، والجيمُ خصلةُ شعرٍ ، إنقرضُ إنقرضُ
 ألفُ أولُ الحروف أنقرضُ أنقرضُ
 أسمعُ الهاءَ تنشجُ ، والراءُ مثلُ الهلالِ
 غارقاً ذائباً في الرمالِ
 إنقرضُ إنقرضُ
 يا دمأً يتخثرُ يجري صحارى كلامِ
 يا دمأً ينسجُ الفجيجة أو ينسجُ الظلامِ
 إنقرضُ إنقرضُ
 سحرُ تاريخك انتهى ،
 واغذري واغفري
 يا قرونَ الغزالاتِ ، يا أعينَ المها . . .

أحارُ ، كلُّ لحظةٍ أراكِ يا بلادي
 في صورةٍ ،
 أحملكِ الآنَ على جبيني ، بين دمي وموتي : أأنتِ مقبرةُ
 أم وردةٍ ؟

أراكِ أطفالاً يُجرّجرونُ
 أحشاءهم ، يُصغونُ يسجدونُ
 للقيد ، يلبسونُ
 لكلِّ سَوطٍ جلدهُ . . . أمقبرةُ

أم وردة؟

قتلتني قتل أغنياتي

أأنت مجزرة

أم ثورة؟

أحار، كل لحظة أراك يا بلادي في صورة...

وعلي يسأل الضوء، ويمضي

حاملاً تاريخه المقتول من كوخ لكوخ:

«علموني أن لي بيتاً كَبَيْتِي في أريحا

أن لي في القاهرة

إخوة، أن حدود الناصره

مكة.

كيف استحال العلم قيدا

والمدى ناز حصار، أو ضحية؟

ألهذا يرفض التاريخ وجهي؟

ألهذا لا أرى في الأفق شمساً عربيّة؟»

أه لو تعرف المهرلة

(سمّها خطبة الخليفة أو سمّها المهرجان)

ولها قائدان

واحد يشحذ المقصلة

واحدٌ يَتمرُّغُ . . . لو تعرف المَهزَلَة
 كيف ، أينَ أنسللتُ
 بين عُتْقِ الذَّبِيحِ ومِقْصَلَةِ الذَّابِحِينَ؟
 كيف ماذا ، قُتلتُ؟
 كُنْتُ كالأَخْرَيْنَ ، انتهيتَ
 ولم تَنْتَهِ المَهزَلَة
 كنتَ كالأَخْرَيْنَ - أَرْفضِ الأَخْرَيْنَ
 بدأوا من هناكِ ابْتَدِئْ من هُنا
 حولَ طفلٍ يَموتُ
 حولَ بيتٍ تَهْدُمُ فاستَعمرته البيوتُ
 وابتدِئْ من هُنا
 من أنينِ الشوارعِ من ريحها الخانقة
 من بلادٍ يصير اسمها مقبره
 وابتدِئْ من هُنا
 مثلما تبدأ الفَجِيعَةُ أو تُولَدُ الصَّاعِقَةُ
 مُتٌ؟ ها صرْتَ كالوعدِ في رَحِمِ الصَّاعِقِ
 بارئاً مثلما تَبْرَأُ الصَّاعِقِ
 أنظر الآن كيف أنصهرتَ وكيف انبعثتَ ، انتهيتَ ولم تَنْتَهِ
 الصَّاعِقَةُ .

أعرفُ ، كان ملكك الوحيدَ ظِلُّ خيمةٍ ، وكان فيها حِرْقُ ،

ومرّة يكون ماءً ، مرّةً رغيّفً ، وكان أطفالك يكبرون
في بُرْكةٍ ،

لم تَبْأَسِ انتفضتِ صرّتِ الحلمَ والعيونُ
تظهرُ في كوخٍ على الأزدنْ أو في غَزّةٍ والقدسُ
تقتحمُ الشارعَ وهو مأتمٌ تتركه كالعرسِ
وصوتك الغامرُ مثلُ بحرٍ
ودمكُ النافرُ مثلُ جبلٍ
وحينما تحملك الأرضُ إلى سريرها
تتركُ للعاشقِ للأحقِ جدولينِ
من دمكِ المسفوحِ مرّتينِ .

وجه يافا طفلٌ هل الشجرُ الذابلُ يزهو؟ هل تدخل
الأرضُ في صورةٍ عذراءَ مَنْ هناك يرجُ الشرقُ
جاء العصفُ الجميلُ ولم يأتِ الخرابُ الجميلُ صوتُ
شريدٌ . . .

سقطَ الماضي ولم يسقطَ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقط؟)
دالٌ قامةٌ يكسرُها الحزنُ (لماذا يسقط الماضي ولا يسقط؟)
قافٌ قابٌ قوسينِ وأذني
أطلبُ الماءَ ويعطيني رملاً
أطلبُ الشمسَ ويعطيني كهفاً

سَيِّدُ أَنْتَ؟ سَتَبْقَى

سَيِّدًا . عَبْدٌ؟ سَتَبْقَى

هكذا يُوَثَّرُ ، يعطيني كهفًا وأنا أطلبُ شمساً ، فلماذا سقط
الماضي ولم يسقط؟ لماذا هذه الأرضُ التي تنسلُ أياماً كثييةً
هذه الأرضُ الرتيبة .

سَيِّدُ أَنْتَ؟ سَتَبْقَى

سَيِّدًا عَبْدٌ؟ سَتَبْقَى

غيرُ الصورةِ لكن سوف تبقى غيرُ الرايةِ لكن سوف تبقى

... في خريطةٍ تمتدّ ... إلخ ، حيث يدخلُ السَيِّدُ المقيمُ

في الصفحة ١ راكباً حيواناً بحجم المشنقة ، يتحوّلُ إلى تمثالٍ

ملء الساحات العامة . و(كانت) الحاكمة تغسل عجيزتها

وحولها نساءٌ يدخلن في الرَّمح ويمضغن بخورَ القصر والرجال

يسجلون دقات قلوبهنّ على زمنٍ يتكوّم كالخرقة بين الأصابع

حيث

ك ترتجف تحت نواة رفضيةٍ بعمق الضوء

ت تاريخٌ مسقوف بالجثث وبخار الصلاة

أ عمود مشنقة مبلّل بضوءٍ موحل

ب سكين تكشط الجلد الأدمي ، وتصنعه نعلًا لقدمين سماويتين

في خريطةٍ تمتدّ ... إلخ .

شجرٌ يثمرُ التحولَ والهجرةَ في الضوءِ جالسٌ في فلسطين
وأغصانهُ نوافذُ أصغينا لأبعادهِ قرأنا معه نجمةَ الأساطير
جندٌ وقضاةٌ يدرجون عظاماً ورؤوساً ، وأمنونٌ كما يرقد حلمٌ
يُهجرون ، يُجزون إلى التيه . . .

كيف نبداً؟

(- يكفيني رغيثٌ ، كوخٌ وفي الشمس ما يمنح فيثاً ، لا
لستُ خودةً سيّافٍ ولا ترسَ سيّدٍ ، أنا نهرُ الأردنِ استفرّدُ
الزهورَ وأغويها دمٌ نازفٌ تبطنّتُ أرضي ودمي
ماؤها دمي وسبقني ذلك الساهرُ النحيلُ : غبارٌ يمزجُ العاشقَ
المشرّدَ بالريح ، ويبقى نسجٌ) .

يتمتم طفلٌ ، وجهٌ يافا
طفلٌ هنا سقط الثائرُ حيفا تنثُ في حجرٍ أسودَ
والنخلةُ التي فيأت مريمَ تبكي همستُ في قدمي جوعٌ
وفي راحتي تضطرب الأرضُ كشفنا أسرارنا (يقع الدمع
طريقاً) أجسُ خاصرة الضوء يجثُ الصحراءُ والكونُ مربوطاً
بحبلٍ من الملائكِ هل تشهدُ آثارُ كوكبٍ ، يسمع
الكوكبُ صوتي رويتُ عنه سأروي . . .
في زمن الرّماد ، شخّصُ رمي تاريخه ليجمر أيا منا ، وماتَ
(لن تعرفَ حرّيةً ما دامت الدولة موجودةً) .

تذكرُ؟ (والقاعدةُ

وسلطةُ العمال . . .) ما الفائدةُ

تنحدرُ الثورة بعد اسمه

في لفظةٍ ، تمتدّ في مائدهُ

هل تقرأ المائدهُ؟

كان فدائيٌ يخطّ اسمه ناراً وفي الحناجر الباردة
يموتُ

والقدسُ تخطّ اسمها :

لم تزل الدولة موجودةً

لم تزل الدولة موجودةً

غيرَ أنَّ النهرَ المذبوحَ يجري :

كلّ ماءٍ وجهِ يافا

كل جرح وجهِ يافا

والملايين التي تصرخُ : كلاً ، وجهِ يافا

والأحباء على الشرفة ، أو في القيد ، أو في القبرِ يافا

والدّمُ النازِفُ من خاصرةِ العالمِ يافا

سمّني قيساً وسمّ الأرض ليلي

باسمِ يافا

باسمِ شعبٍ يرفع الشمسَ تحيةً

سمّني قنبلةً أو بندقيّةً . . .

هذا أنا : لا ، لستُ من عصرِ الأفول

أنا ساعةُ الهتكِ العظيمِ أتت وخلخلتُ العقولَ

هذا أنا - عبرتُ سحابه

حبلى بزوبعة الجنون
والتيه يمرق تحت نافذتي ، يقول الآخرون :
ماذا يقول الآخرون؟

(- يرعى قطع جفونه
يصل الغرابة بالغرابة) .

هذا أنا أصل الغرابة بالغرابة
أرختُ : فوق المثذنة
قمر يسوس الأحصنة
وينام بين يدي تميمه
وذكرتُ : بقعت الهزيمه
جسد العصور
وهراؤ مثل الكاظمية
ودمشق بيروت العجوز
صحراء تزدرد الفصول ، دم تعقن - لم تعد نار الرموز
تلد المدائن والفضاء ، ذكرتُ لم تكن البقية
إلا دماً هراً يموتُ يموتُ بقعت الهزيمة
جسد العصور .

... في خريطة تمتد إلخ ، حيث تتحول الكلمة إلى نسيج
تعبّر في مسامه رؤوس كالقطن المنفوش ، أيام تحمل أفضاء
مثقوبة تدخل في تاريخ فارغ إلا من الأظافر ، مثلثات

بأشكال النساء تضطجع بين الورقة والورقة ؛ كل شيء يدخل
إلى الأرض من سَم الكلمة ، الحشرة الله الشاعر

بالوخز والأرق وحرارة الصوت ، بالرصاص والضوء ،
بالقمر ونملة سليمان ، بحقول ثمر لافتات كتب عليها «البحث
عن رغيف» أو «البحث عن عجيذة لكن استتروا» أو «هل
الحركة في الخطوة أم في الطريق؟» .
والطريق رمل يتقوس فوقه الهواء والخطوة زمن أملس
كالحصاة ...

وكان الوقت يشرف أن يصبح خارج الوقت وما يسمونه
الوطن يجلس على حافة الزمن يكاد أن يسقط ، «كيف يمكن
إمساكه؟» سأل رجل مقيد وشبه ملجوم ،
لم يعجته الجواب لكن جاءه قيد آخر وأخذ حشد كمسحوق
الرمال يفرز مسافة بحجم لام ميم ألف أو بحجم ص ع ي هـ
ك ويسير فيها ينسج رايات وُسْطاً وقباًباً ويبني جسراً يعبر عليه
من الأخيرة إلى الأولى ...

حيث عبرت ذبابة وجلست على الكلمة ، لم يتحرك حرف ،
طارق وقد استطال جناحها عبر طفل وسأل عن
الكلمة طلع في حنجرتة شوك وأخذ الخرس يدب إلى
لسانه ...

في خريطة تمتد ... إلخ ، حيث

«العدو يطغى وهم يخسرون ، ويمدّ وهم يجزؤون ،
 ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى علم ناكسٍ
 وصوتٍ خافت ، وأنشغل كلّ ملكٍ بسدّ فتوقه ،
 ... وعندما يجذّ الجذّ ويطلب الأندلس عوّن الملك
 الصالح لاستخلاص إقليم الجزيرة ، وقد سقط في أيدي
 الأسباب ، يكتفي بالأسف والتعزية ويقول بأنّ الحرب سجالٌ
 وفي سلامتكم الكفاية ، ... ولم يزل العدو يوائهم
 ويكافحهم ويُغادِيهم القتالَ ويراوحهم حتّى أجهضهم عن
 أماكنتهم وجفّلهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق
 واستأصلهم بالقتل والأسر كيما اتفق ... » .
 في خريطة تمتد ... إلخ ،

رفضَ التاريخُ المعروفُ الذي يُطبخ فوق نار السلطان أن
 يذكر شاعراً ... والبقية آتية ،
 في خريطة تمتدّ ... إلخ .
 يأتي وقتٌ بين الرّماد والورد
 ينطفئُ فيه كلّ شيء
 يبدأ فيه كلّ شيء .

... وأغثي فجيعتي ، لم أعد ألمح نفسي إلا على طرف

التاريخ في شفرةٍ سابدأ ، لكن أين؟ من أين؟ كيف
أوضح نفسي وبأي اللغات؟ هذي التي أرفع منها تخونني
سأزكيها وأحيا على شفير زمانٍ مات ، أمشي على شفير زمانٍ لم
يجئ

غير أنني لست وحدي

... ها غزالُ التاريخ يفتحُ أحشائيَ نهرُ العبيد
يهدرُ ، يحتاجُ اكتشافنا ضوءاً يقود إلى الأرض ، اكتشافنا شمساً
تجبيء من القبضة ، هاتوا فؤوسكم نحملُ الماضي كشيخٍ
يموت ، نستشرفُ الآتي ، هياماً ورغبةً .

لستُ وحدي
... وجه يافا طفلٌ هل الشجر الذابل يزهو؟ هل
تدخل الأرض في صورة عذراء؟ من هناك يرجُ
الشرق؟ جاء العصفُ الجميل ولم يأت الخراب الجميلُ
صوتٌ شريدٌ ...

خرجوا من الكتب العتيقة حيث تهترئُ الأصول
وأثوا كما تأتي الفصول

حَضَنَ الرُّمَادُ نَقِيضَهُ
مَشَتْ الْحَقُولُ إِلَى الْحَقُولِ :
لا ، ليس من عصر الأفول
هو ساعة الهتكِ العظيمِ أتتْ ، وخلخلتْ العقولُ .

(بيروت ، خريف 1970)

تصنيفة نمود

وانقشوا صخرة النهر، عززاله
والبياض المنخباً في لوح أيامه - انقشوها
بالحنين، وبالشمس تخلع في وردة
ثوبها كي تفيق، وتلبس رمانة كي تنام.

حقيق البيت، نغناعه
شرفتان لكل يد تومثان
لم أكن بعد أعرف كيف يُضاء المكان
بالصدقة. نجمي
لم يكن دار في فلك الأصدقاء
لم يكن بعد يكتبو، وتشحط رجلاه في مهمه من جراح.
غير أن الصباح
كان يلقي دفاتره، كل يوم
في فراشي، بين يدي، ويُعطي رسائله للفضاء، -
تننشي تلة،
يزدهي ساحل
الينابيع تقرأ للعشب أسفارها
والغصون تسوس الهواء.
- ما له تؤزك الجافل؟
وجهه ناحل، لونه حائل،
هل تنشق خمارة؟

I

... رجّع القول إلى أحوال ثمود /

II

خرجت من أصداف الماء وجاءت

في ليل

بردَى زوج ، والأشجار ثياب /

لم أعرفها .

الورد يدلّ عليها

والفجر الصّاعد في درجات الشمس يدلّ عليها

وشفافية الحزن المرسوم على قسّمات الناس ، تدلّ عليها /

لم أعرفها .

وأنا الطالع من أغوار لا أذكرها ، أذكر : في خطواتي

كرز وحشي ، في خطواتي

كوكب جمر /

والكرزُ الوحشيُّ يدلّ عليها
والجمرُ يدلّ عليها /
لم أعرفها .

ما أعمقَ جهليّ - لم أعرفُ
كيفَ أعمّرُ من أشلاء الآخر بيتاً
كيفَ أجاهرُ أنّ الدمية حُبلى بالأطفالِ ،
وأنّ الدفلى تمرّ
لم أعرفُ

كيفَ أعاشرُ أوراقاً تُسقى
لبناً تحتَ خيام قُرَيْشٍ
وتوزّعُ بين قصور أميّة
عسلاً ،
وتقول : الصحراءُ الماءُ
بدءاً من هذي الصحراءُ
والأشياء المراثية ليست مراثية ، -
لم أعرفُ

كيف أَدافعُ ، فيما كنتُ أموتُ /
استسلمتُ كأنّي طفلٌ .

هل يُسعفني هذا الجهل؟ ولكن
من أين أجيء، وكيف أجدد للكلمات الجنس، ولِلُّغة الأحشاء
لأقول الأشياء؟
... أحوال ثمود /

تعب الماء،
القول التائه مثل ضباب
والعمل التائه مثل ضباب،
وأقول المقهورين - البؤس الرابض في أعينهم،
والفرح الجامح في أيديهم .
وأقول الولة الإعصار، الشرق
اللابس وجه البحر /
أقول تفجر أيامي -

جرحاً
يكبر بين العالم والكلمات، وأمحو
ما قرأته أحلامي،
وأقول تباريحي -
يأس العصفور،
ولكن،
من أين أجيء، وكيف أجدد للكلمات الجنس، ولِلُّغة الأحشاء

لتقولَ الأشياءَ؟

III

مهيار يقولُ: «الذكرى لا تجدي» .

ويقولُ: «الريح تواتي سُفُنِي ،

حين يكون البحر بعيداً» /

أشهد أن الذكرى لا تجدي

لكن ،

أشعلتُ مصابيحَ الذكرى

لتكونَ لكِ الصَّوتَ المرثيَّ ،

وزهرأ

أجنيه ، باسمك ، من بستان الجُرْحِ ، ونجماً

يحنو كجبين امرأةٍ

تبكي في شُبَّاكِ /

ورأيتُكَ تنأى . . .

سميتَ الأفقَ ، رسمتَ الدربَ ، وسرتَ حيناً نحو الأقصى ،

أحبائك ، مثلك ، ساروا

أعداؤك ، مثلك ، ساروا

يفتتحون سهوباً أخرى ببريقٍ آخر ، لكن

في الجهة الأكثر ظلاً من غاباتك ساروا ،

لكن
في ضوئكَ ساروا /
سأقول لضوئكَ أن يلقاني
في كل مدارٍ
سأقولُ له : استظهري حركاتي واستبطنِ أغوارِي
... في أحوالِ ثمودِ /

IV

... أحوالِ ثمودِ /
١ - «هل هذا الكوكب أنثى ، أم ذكر؟
أم تلك قبائل ترشق في الصحراء سهاماً فتعود ذراعاً أو
رأساً؟» .

٢ - «إن كان صديقك يقرأ أفلاطون ، تنبّه واحذر
قل : كلا : لا أعرفه ،
فغداً ، أو بعد غدٍ ،
سيُقاد إلى سيفٍ ،
أو جبٍّ ...»
٣ - «أعطوني .
- ماذا يفعل؟

– يقتل ، كل مساء ، فجراً

٤ – «ما أطوع هذا الأفاك ،

الطالع من تاريخ القتل ،

الضارب في أحوال ثمود» .

٥ – «جاء الناقد يسأل : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون

النثر؟ ويحيا

من بيع الألقاب إلى شعراء ،

يسأل كل منهم : كيف يكون الوزن ، وكيف يكون

النثر ، ويحيا في تابوت . . . ٩»

٦ – «أحوال ثمود ،

تتأسس في دكان :

«تاجر ، واستعصم بالله ، ولا تتيسس . . .» .

V

هوذا الدفتر دارٌ يجيء / حشودٌ

والأبواق ارتجلت لحناً /

... شهدوا أن التاريخ امرأة

صلعاءً بعينٍ واحدةٍ
وبرأسٍ مفتوقٍ .
شهدوا أنَّ التاريخَ تقمَّصَ ضبًّا .
شهدوا أنه القنَّبُ في الشرفات خيولٌ
والغيمَ وراء السدَّة نخلٌ .

شهدوا أنَّ الناس رفوفٌ من كتَّانٍ
والرَّمْل سَحَابٌ /

مَنْ يسألُ : كيف ؟ لماذا ؟

يا هذي الجدران المنهارةُ من أسوارٍ تسترشدُها أسوارٌ ،
كوني أكثرَ صمتاً
من أجل معاولٍ أخرى ،
جرَّافاتٍ أخرى .

يا هذي الحمم المقدوفة من أحشاءٍ تتقاسمُها أحشاءٌ ،
كوني أكثرَ صمتاً ،
يا هذا اللَّجَبُ النازفُ من أصواتٍ تتخطَّفُها أصواتٌ ،
كن أكثرَ صمتاً ،
أكثرَ صمتاً –

من أجل لغاتٍ أخرى

أزمنة أخرى ...
هي ذي أيام قصب والجوف هواء /
ماذا يفعل هذا الرائي
لجميع
سواهم
مثل هباء
ساوهم بالآلات وبالآدوات شعائر
واستتبعهم ظل؟
- من يتقدم؟
- متهمون ، الصمت لهم زهر ونوافذ
لكن الوقت كجمر ،
ويمر بطيئاً ،
والألوان هي الألوان /
شقاء

أن تتجدد أو تتغير أو أن ترغب ... / أعطيني زندك ، يا هذي
الأرض المسببة ، وأزميني في موج الأسرار ، ولكن
دون حجاب ،
كي يرقمنا
ويصورنا
ويؤشينا

وَيْشِي بِمَدَانَا
وَيْشِي بِخَطَانَا
نَسَاجٌ أَوْ نَمَامٌ
كِي نَسْتَوْشِي جَرْيَ الرِّيحِ /
اسْتَوْصِينَا
خَيْرًا ، بِنَبَاتٍ يَنْمُو /

— مَن هَذَا السَّائِرُ ، مَطْرُودًا
وَيَطَارِدُهُ شَبَحٌ تَنْبِيئِيٌّ ، وَتَطَارِدُهُ تَعْوِذَاتٌ ؟

— تَلْمِيزٌ
يَجْهَلُ كَيْفَ تَصِيرُ اللَّفْظَةُ تَمَثَالًا
يَجْهَلُ كَيْفَ يُرَبِّي الْفَاطَا
كَأَرَانِبٍ أَوْ كَدَجَاجٍ ... /
هَوْلٌ
أَنْ تَتَجَلَّدَ أَوْ تَتَغَيَّرَ أَوْ أَنْ تَرْغَبَ / هَذَا
وَجْهِي فِي لُجِّي
مِثْلَ عُقَابٍ
يَتَطَوَّحُ
فِي
مَهْوَاةٍ ... / لَا قِيْنِي ، وَأَعِيدْنِي

يا هذي الأرض ... /
أغيرُ هذا الزرعَ ، وأرقدُ هذي اللَّيلةَ
في أحضانٍ لا أعرفُها
وأسافرُ في مجهولٍ
يتكشفُ عن جنسٍ سرِّي
يتكشفُ عن لغةٍ سرِّيهِ
تعرف كيف تترجم هذي الضموضاء الكونية /
أحوالٌ ثمود .

VI

لكن ،
هوذا الشاعر - كان ينامُ غريباً
والفجرُ غزالٌ
جسد الأرض يداعبهُ
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قمحياً /

- ماذا يفعلُ؟
- يُلقِي عن كتفيه النَّومَ ، ويمضي ...
هوذا يمضي
- ماذا؟ خانت عينيه الأشياء؟ رأى

قدمَ النّورسِ ضِفْدَعَةً؟
ورأى الزهرةَ وجهَ عجوزٍ؟

— ماذا يفعل؟

— يرجو

وجهَ غزالٍ آخرَ ،
وجهَ الأرضِ يرافقهُ
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قمّحياً /

هوذا الآنَ يسافرُ في قنديلٍ مكسورٍ / يسمع همساً :
« لا تأملْ »

ليس النجم الطالع إلا رسماً
يتكرر ، والألوان هي الألوانُ »

الآنَ يقارنُ بين الأشياءِ

ويقول : الأشياءُ هي الأشياءُ
بدءاً من هذي الصحراء .

— ماذا يفعل؟

— يرجو

وجه غزالٍ آخرَ ،
وجهُ الأرضِ يرافقه
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قمحياً ... /

... والأرضُ تعيدُ عيدَ الرملِ ، وماذا
يُجدي هذا الرأسُ النافرُ من أنبوبٍ
في نقالةِ أفيونٍ ،
في عُرْسٍ للآلاتِ ؟ وماذا
يجدي هذا الطوقُ ، وهذا الجسرُ ، وماذا
يعرف هذا السائرُ
من أبعادِ المجهولِ ؟ /
سلاماً ، يا أحزاني

— (أحزاني ليست أحزاني
هي جرحُ ينزفُ من تاريخِ الإنسانِ
هي أرضُ تُرفعُ قُرْباناً
للظلماتِ وللطغيانِ)

والأرضُ تعيدُ عيدَ الرملِ ، وماذا
يجدي هذا الرأسُ الساكنُ في أنبوبٍ ؟

ألهذا ، تسألني كلماتي :
ما هذا التاريخ ، أخرج أم سكين ؟
وهل الكلمات سلاسل أم يقطين ؟
ألهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني ... /
تسكن في أعضائي - نامي
لك ملكي : هذا الدفتر ، هذا الحبر ،
وهذا الثوب العنابي ،
ونامي

حتى يأذن وقت
أعني
حتى يأتي فجر آخر
أعني
ماتت -

ماتت أزمدة الكلمات / الوحي ، وماتت
نبرة هذا العصر ، وماتت
أحلام الرّيف ، وماتت
شهوات المُدن

ولهذا ، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني ،

ولهذا ،
أحمل بين يدي ، وبين خطاي ، بذوراً
والكلمات هي الكلمات : حمائم ، حيناً
وصقور ، حيناً
وخمائر ، حيناً

ولهذا ،
يتغير شعري كالأشياء
ولهذا ،
أسكن زوبعة الأشياء .

VII

يحدث أن أستسلم للطرق
فأهبط في قيعان
وأجاور أغصاناً ، أو أتعب مثل رماد
بحثاً عن أشباهي -
مصباح
يتحدث مثل فضاء ،

عصفورٍ

يمزج بين أنينِ السَّهمِ وصمتِ القوسِ ،

كتابٍ

يُعلن أنه الحلمَ يقينٌ ، والنَّارَ سماءَ ممطرةً ،

رَعْدٍ

لا يقصف إلا من أفقٍ يتبجَّسُ رفضاً ،

تيَّارٍ

يروِي هذيانِي

للسَّطَّانِ ، للبحرِ ،

فضاءٍ

ينخلط شمسُ الشعرِ بشمسِ الله ،

طريقٍ

تبقى حلماً ... /

أشباهي -

تصعد بين المعنى وحروف الظلِّمة في ممحاةٍ

وتغني للمحاة وتمحو

تمحو /

أشباهي -

لا أعرف ، إن كنت أحبَّ دمشقَ ، وأسأل : هل

أكرهها ، حقاً ؟

شجرُ الصِّفِّصافِ كساني

ببياض الحزن ، وسوى

جسدي بجعاً /

ماذا يفعلُ هذا العُنُقُ الجامح ، كيف يميلُ؟

وبحيراتُ الحبِّ اضطربتُ ،

أو كادت تنضبُ ، ماذا

يفعل هذا العُنُقُ الذَّابلُ ، أين يميلُ

والماء شحيحٌ ، والغيمُ قليلُ؟

في قسَماتِ شوارعٍ ترقد تحت غبارِ السيَّافينَ ، أسائل عن أشباهي

في رائحة الحزن الشَّاردِ خلفَ زقاقٍ

في صمت عجزٍ تومئ أنَّ الموت قريبُ

في جرحٍ / جسرٍ بين سواعدٍ ، بين قلوبٍ

في رؤيا

تبقى نوراً وفريسةً نورٍ ،

أبحثُ

عن

أشباهي -

فلماذا تسأل عني ، يا هذا الباحثُ ، بين حروفٍ

أو خلفَ شعارٍ؟

أشباهي ، -

لتكن كلمات الشاعرِ ضوءاً ،

ضوءَ الحاملِ عبء الأرضِ ، ويبقى
 في الجذرِ الأعْمَقِ في أقصَى موجِ
 لتكن سَفْراً
 يترصدُ كلَّ مهبٍّ ،
 ويخالط نبضَ الكونِ ، ويبقى
 في الجذرِ الأعْمَقِ ، في أقصَى موجِ

لتكن جسداً
 لمحيطِ الهَجْسِ بوجهِ آخرِ
 للإنسانِ - بوجهِ آخرِ
 للتكوينِ /

شقاءُ
 أن تفتَحَ ، أو أن تكبرَ ، أو أن تهجمِ نحو الضوء ، وموتُ
 أن تبدعَ أو أن تحيا
 في أحوالِ ثمودِ /
 ولهذا ،
 أعذر وجهِ ثمودِ
 أعني المجذوبينَ إليهِ
 الطَّافينَ عليهِ ،
 وأقول لهم ، باسمِ الملعونينِ الخلاقينَ من الشعراءِ :

ما أقسى أن نعرف أو أن نفهم كل الأشياء .

ولهذا ،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى ، لا تتركني .

VIII

أشجارُ ترسمها أقواسُ ربيعٍ يحلمُ ،

واكتبناها

أيدي تمنحُ للعطشانِ الماءَ ، وأخرى

تهدمُ ،

واكتبناها

وكأنَّ بيارقَ تخرجُ من أشلاءٍ ،

واكتبناها

وكأنَّ غيوماً تتلوى مثلَ ثمارٍ ،

واكتبناها /

هل يصدقُ هذا الرملُ؟ أيكفي

أن يأتي فجرٌ يسألُ عنّا ،

حتى نخرجَ من أسوارِ الظلماتِ ، أيكفي

أن نزرعَ حتى نجني؟

ولهذا ،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى لا تتركني

ولهذا ،

يحدث أن أستسلم للطرقِ

فأهبطُ في قيعانٍ

وأجاورُ أغصاناً

أو أتعبُ مثلَ رمادٍ ،

يحدث أن أعطيَ أشكالي

لكتابٍ أو مفتاحٍ ،

وأقولُ لبَيْتِ المجهولِ :

«سلاماً

سنُجاسدُ هذا الزمنَ الآتي ،

ونخالطُ قلبَهُ

وسنكشفُ معدنَ كلِّ شرارٍ

ونشقُّ ، غداً ، والآن ، طريقَ الرغبةِ .

يحدث أن ألقى في الشارعِ وجهاً

مملوءاً جثثاً

من أحلامٍ أو أعمالٍ أو كلماتٍ

يدنو

ويناديني

ويحرّضني :

«نحن التياز

إن كان مدانا من ورقٍ

فخطانا فاتحةً للنار» .

يحدث أن أتقاطع مع ميدانٍ

كالعرشِ ،

ومع خلفاءٍ

مع عمالٍ للخلفاء وأنصار ،

وأرى كيف يكون التاريخ جليداً

أو زرينخاً ،

يحدث أن أتحوّل / أحيا

نسغاً برياً

أمشي في حشدٍ

يتحرك ، يقطع ما وصلته الريحُ ، يغذي دمه

ودم التاريخ الجنسي

ويعيد لحنجرة الأيام الدهشة ، والصوت الوحشي .

... ودمشق الأخرى لا تتركني
أخذتها الرغبة في شفتي ، وفي فخذتي ، وفي حنجرتي
أخذتها لغتي ،

سيروا معها -
باسم الأشياء
لبست ورداً أحمر في ساحاتٍ مُهدت
في ساحاتٍ لم تمهّد /
أتحسّن بموجٍ يطغى؟
بدم
يغزو يَبْس الأرض ،
ويقرأ فاتحة الأَنْواء؟

سيروا معها -
ما أجمل هذا الكونَ الناشئ في الخطواتِ :
الأرضُ سريرٌ
والأشياءُ نقيضُ الأشياء .

IX

أَصْغُوا
ها هي تقترب الخطوات ، وَأَصْغُوا
لتويجاتِ جذوع
سَمَّوْها زَهْرَ الْأَلَامِ ، وقولوا
هذا وعد الأرض ، وَأَصْغُوا -
هي ذي الأصواتُ تعانقُ صوتي :

«يا وجه الإنسان الطالع كالزلازل ، سلاماً
أَلْهَمْنَا
وَأَبِخْ لِلزَّلْزَالِ مَدَانَا
خُذْنَا
نحن الوجه الآخر من هذا الوقت المرفوض ، وَأَقْنِعْنَا
أن جمال الأرض الإفراطُ
وأن الحكمة ربُّ من ورقٍ
أَقْنِعْنَا
أنَّ النجمة ماتت ، والعالم يهذي
وتخطفُ
هذا الشاعر ، واخْلِبُهُ
يا هذا الوعد المرسوم كجبهة طفل يولد باسم فضاءٍ
أَبْهَى ،

واصبحتهُ
في كشفٍ
كشفٍ ،
كشفٍ ... » .

X

إن كنتُ أَرَجُ التاريخَ ، وأُخرجُ من ملكوت الآباءِ
فلأنِّي طفلٌ أُمِّي
يمشي في قافلة الأشياءِ
يتعلَّم سحرَ الأشياءِ

طفلٌ يتهجَّى سيماءَ الأرض ، ويصرخ : خذني
يا لُجَّ البَشَرِ ، الولَهِ ، اغسُلْني
في بَرَقِ فضائك ، وامنحني
أسماءً ،
وامحُ ، وجدِّ
أسمائي .

هوذا جسدي
مكسواً بالأنقاضِ وكلِّ غريبٍ ، يمضي
وتواكبهُ أسماكُ

وبحيراتُ
وتواكبهُ أنهارُ ، كالصَّيفِ تهرول نحو خريفٍ / يمضي
وتواكبهُ
أعراسُ ،
ويواكبهُ

أحمدُ حنا يوسف مريمُ -
قل للضَّاربِ جذر العَوسج : أهلاً
قل للمأخوذ بقبضة هذا المعول : أهلاً
قل للفتان والمفتون ، وكل جمالٍ : أهلاً /

ويواكبهُ سحر الأشياءِ
ويقولُ للَّجِّ البشَر - الولَهِ ، اغسِّلني
في بَرَقِ فضائك ، وامنحني
أسماءً ،
وامحُ ،
وجدِّد
أسمائي .

(25 تشرين الأول 1976)

تصيدة البملول

I

(موجز أخبار) :

تدخل الشمس إلى بيتي فراشات وتمضي

كلمات

ولأيامي في مفترق الماء حنين :

كيف أخيي زهراً

يجتاحه الرمل؟ وهذا

جسدي يختلج الآن كراع بدوي ،

لابساً وجه الحقول

يكتب الشعر على العشب ، ويلقي

يأسه الطيب في ماء الفصول ، -

لا يريد الشعر الساقط من رأس خريف

أن تراه امرأة الصيف ، ويهوى

قمرأ يولد من تلقائه

بين ساقين . . . ويهوى

أن يرى في عُتْقِ العصفورِ نَهْراً
ويرى العالم في وجه الحسين ،
ويرى ناراً على النهر ، وملاحاً ، وتلويحَ ذراعٍ
ما على البهلول لو سَمَى يديه شاطئتين
ما على البهلول ، لو يلبسه النهر ، ولو كان الشراع ؟

II

(تفاصيل) :

خرج البهلول يستقرئ موت الظلمات
هوذا يرجع والنشوة تمحو الخطوات
يُجلس الموت على شُرفته
ويزيه
كيف يستعرض جيش الرغبات ، —

إنها أحلامه تكتبه :

أدخل الآن إلى السوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الريح ، وأصغي
للخطى تسترق الشمس ، لأصحابي : ماذا
تكشف النحلة من أسرارها
حينما تدخل في الزهر ، وتلقي
رأسها فوق ثوبٍ ؟

وهل الزهرة ماء أو شرار؟
ولماذا تلد الشمس الغبار؟

إنها أيامه تقرأه :

أخرج الآن إلى الشارع حلماً -
أن يكون الشعراء
هالة حول جبين الفقراء .
أخرج الآن إلى الشارع جرحاً -
الدم الغامر تعويذ وتيه
وعلى الجدران تاريخ ينام

ما الذي يقدر أن يفعله الشعر ، ورجلاه قيود
وعلى عينيه أسوار الظلام؟

أترأه يهدم السور بغصن من أراك؟
ما الذي يقدر أن يفعله الشعر لتاريخ ينام؟
إنها أشلاؤه تسأله :

ليس من ينطق إلا
شرط الحجاج / هل أعطيك حلماً؟

.....
(بين أن يرتفع الحجاج سيفاً)

ليشيدَ الدّولة العظمى ، وتبني
لغة الحلاج كوخاً ،
أطرح السّيفَ وأختارُ . . . لماذا

كلّما حاولَ أن ينبض صدقاً
كذبته الكلمات ؟
ولماذا
يَحْرِفُ الينبوع مجراه لكي يبقى وفيّاً ؟

إنها الأمة ترتاحُ إلى أشلائها
وعلى الجدران تاريحُ ينأم
ليس هذا وطناً / هذا رُكام .

ما على البهلول ، لو يصرخ في هذا الظلام :
أيها العالم ، كفّاي عصافيرُ وكفّاك مَصيدةَ
إنني أخرج من وجهك ، كي أدخلَ في وجه قصيدة .
ما على البهلول ، لو غنّى وحيداً :
هوذا وجهي بين السّابلهُ
يتوارى

حينما تنفتحُ الدّربُ وتمضي القافلة
لا لما قلتَ وقالوا

بل لشيءٍ آخرٍ أكتمه ،

كلّ ما أعلن أنّي أتوارى
في زحام السّابله
حينما تنفتح الدّرب وتمضي القافلة .

III

(استطرادات) :

ها هنا يروي تواريخ مَحْتَهَا
جثثُ الأطفال ، يسقي
شجراً مات . وهذا
نهرُ الأردنّ يستسلم للطّمي . بماذا
يعدّ الطّمي؟ الينابيع جِراحُ
والفصولُ انكسرت ...
سكرَ التّاريخ في حاناتنا
هوذا يخرج محمولاً . شيوخُ
وتماثيل نساء .

إنها جائحةُ الرمل ، اقتلاعُ :
أترى نضحك أم نبكي ، ولكن أيّ فرق؟
آه ، ما أضيق بغداد وما أنأى دمشق!

ها هنا يرقدُ : تأتي جُثثُ
ترتمي قُدَّامه عاريةً ،
وإذا استيقظ جاءت جثثُ
وارتمت قُدَّامه عاريةً /
زَمَنٌ يكتبه القتلُ — اسألوهُ
اسألوا البهلُولَ عن أَيْامِهِ
كيف تَسْتَأْصِلُ جَذَرَ الذَّاكِرهِ
واسألوهُ :
قدَّرَ هذا المدى ، أم رُقِعَ
من ضبابٍ ، أم غيومٌ عابِرةٌ؟

يخرج الآن إلى السوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الريحُ ويُصْغِي :
يجلس الهدهدُ في حضن سليمان / سليمان ابتهاجاً
يتقرَّى جسدَ الغيبِ / وبلقيس عراةً
وقناديلُ ، وسِحْرٌ عربيٌّ
يتقرَّى جسدَ الشَّهْوَةِ ، والهدهد عينٌ حائرة
لا أرى غيرَ وجوهٍ من زجاج
لا أرى إلا الدَّم — التَّيَّةَ ، وإلَّا
قفصاً يملأ سطحَ الدَّائِرهِ ،

آه لو يُقلب هذا السطح ، لو تُكسر هذي الدائرة .

ما على البهلول لو غنى وحيداً :

لهبٌ يقسو على حزني / حزني

حطبٌ رطبٌ ،

تقاطيعي تذلّت

صوراً ملء الدخان

لم يعد يشغلها وجه المكان

يغرق الآخر فيه ، وأنا

عابرٌ يشغله وجه الزمان .

IV

(مقدمات لأجوبة) :

ما الذي يرتكب البهلول إن طالع تاريخاً ونادى :

أيها الفتك؟ وهل يَأثم إن سمى سماءً

باسم شخص؟

ولماذا ، حينما يرتحل البهلول في أوجاعه

ويقول : الخاصرة

شُرُفات ...

ويرى أحزانه منشورة

كالمناديل ، — لماذا

حينما تتكى الشمس على جبهته
ويرى ما ظنه التكوين مأوى عنكبوت ، — ولماذا
حينما ينقص الماضي كغصن في يديه ،
يجفل الناس ويجرون كريح ،
وفيثون إلى سلطانهم؟

ما الذي يرتكب البهلول إن شاهد جندياً ونادى
أيها القيد؟ وهل يائم إن سمى الكتاب
باسم جلاد؟ وماذا
لو سقى أحزانه ماء علي؟
وروى للماء تاريخ التراب؟
ولماذا يخرج الناس إلى سلطانهم
ويغيبون ، إذا ما
دخل البهلول في طقس أغانيه ، وغاب؟

V

(الموت) :

سقط البهلول في ثفاحة
جذبتها الكلمات

كان عشبٌ يرسم اللون ، وماءٌ
 يقرأ الخط ، وكانت
 شفةُ الأرض التي تجذبهُ
 تتهجّى الحركات ، -
 كيف هيأتَ لأيامك بيتاً
 ولففتَ الأعمدة
 بالمصابيح؟ سلاماً
 أيها البيت الذي يُرفع بين الأوردة
 وسلاماً ،
 أيها البيت الذي يُهدم بين الأوردة .

VI

(شاهدة على قبر البهلول) :
 لغة البهلول في محرابها
 وعلى سرّتها قفطانٌ ليل -
 لجأت حيث تكون الأبيديّة
 غابةً تسكنها ريحٌ خفيّة .

(شاهدة ثانية) :
 دخل البهلول في فصل النّباتات ، فأحيا
 ولّة الأرض ،

وكان المهرجان :

ورقُ الصِّفِّصاف منديلٌ وللريحِ يدانُ -

إنه البهلؤلُ في أعراسه

ملكٌ -

كرسيُّ الأرضُ وتعطيه الرياحُ الصولجانُ .

(21 كانون الأول ، 1977)

قصيدة بابل

I

في رأس امرأةٍ من قحطانٍ يطير حصانٌ
في رأس حصانٍ طُرّواديٍّ ، عربيٌّ يهذي :
«سترى أحشاءك فوق رغيفٍ
سترى زمناً يتقدّم قبراً قبراً . . .»

II

دار المجنون يُسائل : أين الشمس ، وأين الأفقُ ، وماذا يحملُ
هذا الآتي :
عُنُقاً أو سِكِّيناً؟
يسألُ : كيف أظلّ شرارةَ خرقٍ؟
من أين أتيتَ؟ وكيف؟ وماذا؟
أرضك مملكة التّدجين ، وأنت عصيٌّ
أتظلّ عصياً؟
يبدو أن الأشياءَ قطعٌ
والأفكارَ ذئابٌ فضيَّة

قَابِيلُ هُنَا ، هَابِيلُ هُنَاكَ لَمْ يُدْفَنَ
وَالْمَوْتَى شَرَكُ
وَالْأَحْيَاءُ سَدِيمٌ ...

هَلْ تَبْقَى تَخْبِزُ هَذَا الرَّمْلَ وَتَحْيَا
فِي طُحْلَبِ هَذَا الْبُرْجِ ؟
مَزِيداً
مَنْ جَمْرٍ آخَرَ ،
مَنْ شَهَوَاتٍ أُخْرَى ...
صَدَّقْنِي - أَقْدِرُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي مَنَاشِرِ
يَا هَذَا الْجَذَعِ الْيَابِسُ ، لَكِنْ
أَعْمَلُ كَيْ أَتَقَدَّمَ فِي طُوفَانٍ ...

مَنْ يَتَقَدَّمُ ؟ صَاحَتُ
أَجْرَاسُ عُصُورٍ
تَتَلَاطَمُ فِي حَنْجَرَةٍ بَحْرِيَّةٍ -

حَسَناً ، يَا هَذَا الْبَحْرَ ، وَرَفَقاً
يَا أَدَوَاتِ اللُّغَةِ الْقُرْشِيَّةِ

يَبْدُو أَنَّ الْأَشْيَاءَ قَطِيعٌ

والأفكار ذئابٌ فضيَّة ،
من أين أتيت ، وكيف ، وماذا؟

مُتَّهَمٌ ،
حتى حين تقول الليلُ فراشٌ
والشمس امرأةٌ

والحوض يحنّ لماءٍ لا يعرفه
والماءُ يحنّ لحوضٍ لا يعرفه

مُتَّهَمٌ
حين تقول الفاتح ليلٌ حيناً
والخاتم فجرٌ ، حيناً ،

حين تقول الحزنُ ربيعٌ
والصفصاف دموعٌ ،

مُتَّهَمٌ

حين تجاهرُ : بابلُ جرحٌ
يتدفَّقُ من دمه الفقراءُ
وبابلُ فقرٌ
يتناسلُ في دمه الشعراءُ

وبابلُ سلطانٌ
والتَّاجُ نبيُّ أو تَتِينُ ...
مُتَّهَمٌ

من أين أتيتَ ، وكيف ، وماذا؟
أتموت وأنتَ جَنِينُ؟

هوذا التَّارِيخُ - بقايا جُثَّتْ
والأيامُ تهرولُ في كُثبانِ الرَّمْلِ : «تَفِيئُ»
حُلُمًا ،

وانسِجْ
لِمداك ، عباءةَ حَبٍّ ، واجنِجْ ...
أفاقُ جانحةٌ ، وصحارى
تهلدي
ونساءُ في العَتَبَاتِ يَلْدن الحسرة : «أَهْلًا» ،
لكن ، ماذا نَفْعَلُ ،
أَيدينا
ليست
أَيدينا
نحنُ المقتولاتِ ، وكلُّ جنوحٍ يحيينا .

III

قال عليّ: «هذي بابلُ ...»

بابلُ قَفْرٌ

حيث الكون فراغٌ -

مجروراتٌ ومفاعيلٌ

شَحَّاذُونَ عَلَى الطَّرَفَاتِ وَشَحَّاذُونَ عَلَى الشَّرَفَاتِ

يَفْتَرِشُونَ الْعَسَقَ الطَّالِعَ فِي الْأَهْدَابِ وَفِي اللَّهَوَاتِ

عَرَّشاً يَتَأَرَّجِحُ فِي لَبْلَابِ

وَنَخِيلَ دِمَاءٍ،

أَلْفُوا رِيحَ الْمَوْتِ ، وَسَلُّوا

فِي نَهْرِ الْعَالَمِ جَرْحاً ...

بَابِلُ أَنْتِ الشَّرُّ وَأَنْتِ الْخَيْرُ

وَأَنْتِ مَدَارٌ

وَدَمِي وَهَوَاؤُكِ طِفْلَانِ

يَمْحُو الثَّانِي دَرْبَ الْأَوَّلِ

يَمْحُو الْأَوَّلُ دَرْبَ الثَّانِي .

IV

يَبْدُو أَنَّ الْأَشْيَاءَ قَطِيعٌ

والأفكار ذئابٌ فضيَّة
من أين أتيت ، وكيف ، وماذا؟

قُمْ يا قيسُ ، ترصد ليلى
قل للنخلة أن تؤويك ، وأسلم
عينيك لوسوسة الأحلام :
ليلى صورٌ تفتتح في أشكالٍ مخروطة
ليلى أقواسٌ ودوائر جنسية
قصبٌ عال للأحزان ،
ويحرّ أبيضٌ للأوهام ...

قُمْ يا قيس - التاريخ ركامٌ
والحاضر وحشٌ
تتلبسه خرقٌ وعظام .

مُتهمٌ
حتى حين تقول الأرض امرأة
وسواء قلت العالم عرسٌ
أو قلت العالم قسٌ
مُتهمٌ
وسواء جئت إلينا شرعاً أو جئت سفاحاً

مُتَّهَمٌ -

(تُهَمِّي أَنِّي وَجْهٌ ،
تُهَمِّي أَنِّي أَكْشَفَ عَنْ جُرْحِي ،

تُهَمِّي أَنِّي أَرْفُضُ هَذَا الْعَصْرَ ، وَأَكْتُبُ
لَعْنَتَهُ الْكَبِيرَى ...)

مُتَّهَمٌ

فِي أَحْلَامِكَ ، فِي خُلُجَاتِكَ ، حِينَ تَرُوحُ وَحِينَ تَجِيءُ -
قُمْ ، يَا قَيْسَ ، تَرَصَّدْ لَيْلَى ...
مَنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ، وَكَيْفَ نَسِيتَ غَزَالَ الزَّمَنِ :

الْجِنْسَ

الْحُبَّ /

الْمَوْتَ /

الصُّوفِيَّ / وَحِيدَ الْقَرْنِ ،

أَذْكُرْنِي

يَا هَذَا النَّيْزُكُ ، وَامْنَحْنِي

ضَوْءاً

وَاسْهَرْ ، وَتَأَلَّقْ فِي أَنْحَاثِي

هوذا : أغمضتُ جفوني باسمك واستسلمتُ إلى أعضائي
 حيث نعانقُ ما لا نعرف كيف نراه
 حيث المعنى زيتُ والصَّورةُ نارٌ
 حيث التَّاريخُ كلامُ الهازمِ ، صوتُ المهزومينَ ،
 وحيث مشينا
 في أيلولَ
 وفي كانونَ
 وفي أيارَ
 مشينا
 نتلمَّسُ أفنعةَ التَّكوينِ ، ونحضنُ أزمنةً مكسورةً
 تذكرُ؟ لم نسمعُ
 لم نلمحُ
 إلَّا جسدَ اللِّغةِ المجدوَّةِ .

قم ، يا قيسَ ترصدُ ليلِي
 عيدُ العيدِ اللُّهبِ الوحشيِّ ، اللِّغةُ الوحشيَّةُ
 واقطعْ كلماتك من خيلاء الزَّانِ وأبْهة المَرَّانِ ،

استنفرْ أضرحةَ العُشَّاقِ ، وقَدِّمِ
 للموتِ حياتك ، وأبدأ - لا تنتظرِ العتقاء ،
 تكونُ خطأكِ لقاحاً :

ستكون الماءِ مراراً
ومراراً ، سوف تكون الصَّخَرِ
مراراً سوف تكون الرِّيحَ ،
وتغدو
مَلِكَ الأفاقِ ، وتغدو
مَلِكَ العرباتِ الضَّوئيةِ .
خُذني ، يا هذا التَّيارُ ، امنحني
مدّاً أقصى
هوذا : تغدو فلَکاً
وتدور كواكبُ في قَدَميکَا ،
هوذا : أغمضتُ جفوني
واستسلمتُ لَیْکَا .

V

أعلو وأفکر في التَّشبيهِ وأنأى
لا أحتاجُ إلى دُرُواتٍ
شَغَفِي أن أتواطأ مع أمواجٍ مع کلماتٍ
لا أملكُ إلا أن أقتلها
... في عادة وجهي ،

عادةً وجهي :

لا أعطي لغتي إلا للجذر ، وعادةً صوتي
 أن يتبطّن شمسَ الرّغبة - بابل ، عادةً صوتي
 أن يخلقَ بابلَ كي يتغيّر هذا الزّمنُ
 أن يخلقَ بابلَ كي يتبرأَ هذا الوطنُ /

أخلقُ بابلَ في الأجناس وفي الأنواع وأخلق بابلَ في
 الصلوات وفي الشّهوات وأخلق بابل في الأرحام
 وفي الأكفانِ وأخلق بابلَ بين الخالق والمخلوقِ
 وأخلق بابل في الأصوات وفي الأسماء وفي الأشياءِ
 وأظللّ اللّهبَ الضّاربَ في الأشياءِ
 خارجَ هذا الورق الرّملي ، أدشنّ أنحائي
 بالضوء ، برغبةٍ أن أبقى
 خارجَ هذا الملكِ ، عصياً
 لا تعرفني غير النّار كأني جنسُ شمسيٍّ آخرُ ،
 يمحو نصّ الرّمّل ، يفتّت كلّ مثالٍ
 ويقيم الرّغبة نهجاً
 وتكون الصّبوة عيداً
 ... في عادة وجهي .

عادةً وجهي أن يتقصّى
 سَفَرَ التكوين ، طريقَ البدء ، يُراهنُ :

أين يكون الملهء فراغاً ، والآخر أول؟ أين يكون
الشعر طريقاً تتقمص كل طريق؟

عادةً وجهي أن يبقى
أفقاً ، ويُضلل حتى الريح . . . ،
لهذا

أحياناً ،
يطفو وجه الشمس ضباباً
ويكون الضوء استسلم للكلمات

أحياناً ،
تولد في الكلمات جراح
ويصير الجسر تراباً
ويكون الجسد استسلم للكلمات

أحياناً ،
تهجم بابل في طاووس أو جلاد
ويكون التاريخ هشياً
والغيم قياناً
وتكون الأشجار سبايا

أحياناً ،
بابلُ قبلُ
وبابلُ بعدُ
وبابلُ وجهٌ للأحياءِ وللأمواتِ . . . لهذا
يُولدُ في أسمائي
بَشَرُ
يزدحمونَ ويقتتلونَ / خُذِيهِمْ
دُلِّيهِمْ واحتضنِيهِمْ

كوني طرُقاً لهم وفتوحاتٍ ، يا أسمائي
فأنا الأبدُ المتشردُ خارجَ أسمائي

أبدياً
أعلنُ شرعَ اللَّهَبِ ، الوَلَكِ ، الحَلَمِ ، الأشياءِ .

VI

صَارَتْ كَفَّايَ زَنَابِقُ ، صَارَتْ عَيْنَايَ صَلَاةُ
أَسَّسْتُ خَرِيفاً وَاسْتَصْلَحْتُ رِبْعاً
وَجَلَسْتُ مَعَ الشَّجَرَاتِ الْقَدَائِسَاتِ
مَنْتَظِراً بِابِلَ /

(بابل لا يعرفها أحدٌ / لا يجهلها أحدٌ)
خلع التاريخ قميص النوم وسار وحيداً
في غابات الذكرى
(بابل لا يذكرها أحدٌ / لا ينساها أحدٌ)
بابل هذي أنتِ ، وهذا خطوكِ ، والطَّرقاتُ هي الطَّرقاتُ
أَلرَّقْمُ يقول ونُبْضُ المعدن قالَ
وقالت لغةٌ والشعر يقولُ :

أين يكونُ ، الآن ، الملكُ الضَّليلُ ، الحسنُ الضَّليلُ؟
أين يكونُ أبو تَمَامٍ والمنتنبى؟
ولأيِّ طريقٍ قادهمُ المجهولُ؟

سأراهم يوماً
وأَسَائِلُ رَمَلاً مَرَّ عليهم :
أَدِمَاءُ مَسَالِخَ هذي الأنهار؟
أَمَشَانِقُ هذي الأشجار؟

وأقولُ لرملٍ مَرَّ عليهم :
أنتَ رسمتَ خُطَاهُم
واليومَ ، أجيءُ لأرسمُ فيك خطايَ ، ولستُ الأحسنُ
حالاً ،

لكنني صرت الأعمق ضوءاً
مُذْ صرتُ الأعمقُ يأساً .

بابل ، هذي أنتِ وهذا عصركِ والكلماتُ هي الكلماتُ
«حَيِّ» ، لكنك ميتٌ ، يا أحمد» قال عليّ
«ستنالُ الخبزَ ، ولكن
كيف ستحيا والرَّمْلُ محيطٌ؟»

«سيقالُ : الثورة أنتِ ، ولكن
أنظِّلينَ وراءَ حجابٍ ، يا مريمُ؟» قالَ عليّ -
بابل ، هذي أنتِ ، هذا خطوكِ ، والطرقَاتُ هي
الطرقَاتُ
بابلُ ، هذي أنتِ ، هذا عصركِ ، والكلماتُ هي
الكلماتُ

لن يدفقَ ماءٌ يغسلُ وُخْلَ دروبكِ ، حتّى ...
لن يطلعَ فجرٌ يمحو ليلكِ ، حتّى ...
حتّى ...
(مات الكوفيون ، ومات البصريُّونُ
وفي أنفسهم شيءٌ من حتّى ...)
... وعليّ عاشقكِ المجنون يؤصِّلُ في ظلماتكِ دربةً

ولهذا ، يرسمكِ امرأةً
ويحيطك جنساً
ويزاوج بين الحب ، وهذا العصر ، ويعلن : صار
الحبُ قضاءً ،
واجتاحته رياح الرّغبة .

قم ، يا قيس ترصد ليلى
قم ، يا قيس ، التاريخ ركّامُ
والحاضر وحشُ
تتلبّسه خرقٌ وعظامُ .

VII

بابل جنسُ
للموتِ ، وبابل حبُ
تهبط نحوي

ضيقْتُ عليها / ضاقت
عرفتُ أنّ حنيني تعبُ / تعبْتُ
عرفتُ أنّي عرقُ أتبخر فوق سريري / تعبْتُ
عرفتُ أنّ الليلَ فراشةُ جنسٍ / تعبْتُ
بابل تصعد نحوي

قولوا : هذا زمن الرؤيا ، زمن الأنقاضِ ، وقولوا :
أهلاً بالأطرافِ ، بكلِّ عصيٍّ
أهلاً بالتيه ، بكلِّ قصيٍّ

بابل تهبط نحوي
بابل تصعد نحوي ...
بابل ، أنتِ الطُفْلُ وأنتِ الأمُ ، وأشهدُ
كيف يصير تراثُكِ حلماً
ويصير أباً
ويصير جنيناً .

VIII

اليومَ ، يحاول وجه الصخرة أن يتزّيا
اليومَ ، سمعت الشمسَ تخاطب طفلاً
اليومَ ، رأيت طريقي في خطواتٍ شريدٍ :
هل أدخل في؟
هل أخرج من؟
واليومَ ، أهْيء ذاكرتي
للذّبح ،
أحسنَ كأنّي طفلٌ ...

بابل ، يكفي
أن تجتاحي مُدُنُ الضوء بغير عيونٍ
يكفي زحفك نحو الرّغبة في جمجمةٍ أو في سيفٍ
يكفي أن يُقطعَ رأسٌ
كي يُلَامَ جرحٌ /

بابل تنهضُ - جثنا
نمنح فيك العاقلَ ذاكرةَ المجنونِ
ونقودك ، دون ملوكٍ أو حراسٍ
لغةً للبدء ، هباءً للتكوين .

بابلُ جثنا
نبني ملكاً آخرَ ، جثنا
نُعلن أن الشّعْر يقينٌ
والخرقَ نظامٌ .

هوذا نجمٌ
يتوهج بين كواحلنا
ثقةً بجحيمِ خطانا
ثقةً بفضاء
يتناسلَ ملءُ حناجرنا -

غَنَيْتُ / أَغْنِي
جَسَدَ التَّارِيخِ ، طَيَّورَ الْأَزْمَنَةِ الْمَكْنُونَةِ
وَأَبْخَتُ لِكُلِّ صَعُودٍ لَغْتِي
وَأَبْخَتُ لِكُلِّ صَبَاحٍ
أَنْ يَتَقَمَّصَ وَجْهِي ، أَنْ يُنْكَرَنِي -

هل للتاريخ طريقٌ
خارج نَزَفِ الرَّثَةِ الْمَلْعُونَةِ؟
هل للأرض كتابٌ
لا تكتبهُ اللُّغَةُ الْمَجْنُونَةُ؟

(بيروت ، أوائل آب ، 1977)

الوقت

حاضِناً سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ :
ما الدَّمُ الضَّارِبُ في الرَّمْلِ ، وما هذا الأَفُولُ ؟
قُلْ لَنَا ، يا لَهَبَ الحَاضِرِ ، ماذا سنقولُ ؟

مِرْقُ التَّارِيخِ في حنجرتي
وعلى وجهي أماراتُ الصُّبْحِ
ما أَمْرُ اللُّغَةِ الآنَ وما أَصْبَقَ بابَ الأَبْجَدِيَّةِ .

حاضِناً سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ :
... / أَصْدِيقُ صَارَ جَلَاداً؟ أَجَارُ
قالَ : ما أَبْطَأَ هولاكو؟ مَنِ الطَّارِقُ؟ جابٍ ؟
أَعْطِهِ الْجِزْيَةَ . . أَشْكَالُ نِساءٍ
ورجالٍ . . . صوَرُ تَمْشِي / أَشْرَنا
وَتَسارَرَنا ، - خُطانا
خِيطُ قَتْلِ /

أَتَرَى قَتْلَكَ مِنْ رَبِّكَ أَتٍ
أَمْ تَرَى رَبُّكَ مِنْ قَتْلِكَ أَتٍ؟
— ضَيَّعَتْهُ الْأَحْجِيَّةُ

فَانْحَنِي قَوْسًا مِنَ الرُّعْبِ عَلَى أَيَّامِهِ الْمُتَحَنِّيهِ .

— لِي أَخْ ضَاعَ ، أَبْ جُنْ ، وَأَطْفَالِي مَاتُوا
مَنْ أَرْجِي؟ هَلْ أَضْمُ الْبَابَ؟ هَلْ أَشْكُو إِلَى سَجَادَةٍ؟
— دَاخَ ، هَاتِ الْحَقَّ وَامْتَحِ الشُّفَاءَ
مِنْ عَطُوسِ الْفَقْهَاءِ .

جُثَّتْ يَقْرَؤُهَا الْقَاتِلُ كَالطَّرْفَةِ / أَهْرَاءُ عِظَامِ ،
رَأْسُ طِفْلٍ هَذِهِ الْكُتْلَةُ ، أَمْ قِطْعَةٌ فَخْمٍ؟
جَسَدٌ هَذَا الَّذِي أَشْهَدُ أَمْ هَيْكَلُ طِينٍ؟
أُنْحَنِي ، أَرْتَقُ عَيْنَيْنِ ، وَأَرْفُو خَاصِرِهِ
رَبِّمَا يُسَعْفَنِي الظَّنَّ وَيَهْدِينِي ضِيَاءَ الذَّاكِرِهِ
غَيْرَ أَنِّي عَبَثًا أَسْتَقْرِئُ الْخَيْطَ النَّحِيلِ
عَبَثًا أَجْمَعُ رَأْسًا وَذِرَاعَيْنِ وَسَاقَيْنِ ، لَكِنِّي
أَكْتَشَفُ الشَّخْصَ الْقَتِيلُ

— لِمَنِ النَّمْلَةُ تُعْطِي دَرَسَهَا؟
وَلَمْ الدَّهْشَةُ؟ شِعْرٌ

مَزَجَ هذا الشرَّ الفاجع بالعين ، أنْخِطَافٌ
أن تَرى بيتَكَ مرفوعاً إلى الله شظايا ، -

صَرَخْتَ بُومة عَرَّافٍ على مثذنةٍ
نَسَجْتَ مِنْ صَوْتِهَا قَوْسَ قَرْخٍ
وَبَكَتْ مَخْنُوقَةٌ حَتَّى الْفَرَحِ .

حَاضِئاً سَنِبِلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرْجٍ نَارٍ :
... / كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
أَنَّ هَذَا الزَّمَنَ الثَّائِرَ دُكَانُ حِلْيٍ ،
أَنَّهُ مُسْتَنْقَعٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ .

كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
سَيَكُونُ الصَّدَقُ مَوْتاً
وَيَكُونُ الْمَوْتُ خُبْرَ الشُّعْرَاءِ
وَالَّذِي سُمِّيَ أَوْ صَارَ الْوَطَنُ
لَيْسَ إِلَّا زَمَناً يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الزَّمَنِ .

كَشَفَ الْبَهْلُولُ عَنْ أَسْرَارِهِ
أَيْنَ مِفْتَاحِكَ يَا أَبْهَةَ الطُّوفَانِ؟ لُطْفاً أَغْرِقْنِي
وَاخْذِي آخَرَ شُطْأَنِي خُذْنِي

سَحَرْتَنِي لُجَّةٌ لَاهِبَةٌ
سَحَرْتَنِي قَشَّةٌ تَحْتَرِقُ
سَحَرْتَنِي طَرَقٌ تَجْفَلُ مِنْهَا الطُّرُقُ

حَاضِبًا سَنِبَلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بَرَجُ نَارٍ:
نَسِيتُ نَفْسِي أَشْيَاءَ هَوَاهَا
نَسِيتُ مِيرَاثَهَا الْمَكْنُونِ فِي بَيْتِ الصُّوَرِ
لَمْ تَعُدْ تَذَكُرْ مَا تَلْفِظُهُ الْأَمْطَارُ، مَا يَكْتُبُهُ حَبِرُ
الشَّجَرِ،

لَمْ تَعُدْ تَرَسُمُ إِلَّا
نُورَسًا يَقْلُذُهُ الْمَوْجُ إِلَى حَبْلِ سَفِينَةٍ
لَمْ تَعُدْ تَسْمَعُ إِلَّا
مَعْدِنًا يَصْرُخُ: هَا صَدْرُ الْمَدِينَةِ
قَمَرٌ يَنْشَقُّ مَرْبُوطًا إِلَى سُرَّةِ
غُولٍ مِنْ شَرَرِ
لَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ وَالشَّاعِرَ طِفْلَانِ يَنَامَانِ عَلَى خَدِّ
الْحَجَرِ.

نَسِيتُ نَفْسِي أَشْيَاءَ هَوَاهَا
وَلِذَا يُرْعَبُنِي الظِّلُّ - الْغَدُ الْمُرْتَسِمُ
وَلِذَا يَمْلُونِي الرَّيْبُ وَيَسْتَعْصِي عَلَيَّ الْحَلَمُ

مُوثِقاً أركضُ من نارٍ لنارٍ
غصتُ تحت العرقِ الدافقِ من جسمي ، وقاسمتُ
الجدارَ

أَرَقَ اللَّيْلِ / (خَطَى اللَّيْلِ وَحُوشٌ . . .)
ومِراراً قلتُ للشعر الذي يرسب في ذاكرتي :
أيُّ منشأٍ على عُنُقِي ، يُملِي
آيةَ الصَّمتِ ؟ لمن أروي رمادي ؟
وأنا أجهل أن أنتزعَ النَّبضَ وأرميه على طاولة
وأنا أرفض أن أجعلَ من حزنِي طبلاً للسماءِ ،
فَلأقلُ : كانت حياتي
بيتَ أشباحٍ وطاحونَ هواءٍ .

حاضياً سنبلةَ الوقتِ ورأسي برجُ نارٍ :
شَجَرُ الحبِّ بقصَّابينَ أخى
شَجَرُ الموتِ ببيروتٍ ، وهذي
غابةُ الأسِ ثُوَّاسِي
غابةُ الثُّغَي ، - كما تدخلُ قَصَّابينَ في خارطةِ
العشبِ ، وتَسْتَقْطِرُ أحشاءَ السَّهُونِ
دخلتِ بيروتُ في خارطةِ الموتِ / قبورُ
كالبسَّاتينِ وأشلاءَ - حقولُ

ما الذي يسكب قصَّابينَ في صيدا ، وفي صورٍ ،
وبيروتُ التي تنسكبُ؟

ما الذي ، في بعده ، يقتربُ؟
ما الذي يمزجُ في خارطتي هذي الدِّماءُ؟

... ييسَ الصَّيْفُ ولم يأتِ الخريفُ
والربيعُ اسودَّ في ذاكرة الأرض / الشتاءُ
مثلما يرسمه الموت : احتضارُ أو نزيفُ
زمنٌ يخرج من قارورة الجَبْرِ ومن كفِّ القضاءِ
زمنُ التَّيه الذي يوتجل الوقتَ ويجترُّ الهواءَ ،
كيفَ ، من أينَ لكم أن تعرفوه؟
قاتلٌ ليس له وجهٌ / له كلُّ الوجوه ...

حاضناً سنبلَةَ الوقتِ ، ورأسِي برجُ نارٍ :
منْهكَ أَلْتَفْتُ الآنَ وأُسْتُشْرِفُ - ما تلك الخِرْقُ؟
أتوارِيخُ؟ أبلدانُ؟ أراياتٌ على جُرْفِ الغسقِ؟

هوذا أقرأ في اللَّحظةِ أجيالاً وفي الجُئَةِ آلاف الجُئَتِ
هوذا يغمرني لُجُ العَبَثِ ،

جسدي يُفَلِّتُ من سَيِّطرتي

لم يعد وجهي في مِرَاتِهِ

ودمي يَنْقُرُ من شَرِيَانِهِ ..

الْآنِي لا أرى الضَّوءَ الذي يَنْقُلُ أحلامي إليه؟

الْآنِي طَرَفَ أَفْصَى من الكون الذي بَارَكَهُ غيـري وجَدْتُ

عليه؟

ما الذي يَجْتَثُّ أعماقي ويمضي

بين أدغالٍ من الرَّغْبَةِ ، بلدانٍ - محيطاتٍ دموعٍ

وسلالاتٍ رموزٍ؟

بين أغراقٍ وأجناسٍ - عصورٍ وشعوبٍ؟

ما الذي يفصلُ عن نفسي نَفْسي؟

ما الذي يَنْقُضُنِي؟

أَنَا مُفْتَرَقٌ

وطريقي لم تعدْ ، في لحظةِ الكَشْفِ طريقي؟

أَنَا أَكْثَرُ من شَخْصٍ ، وتاريخي مَهْوَايَ ، وميعادي

حريقي؟

ما الذي يصعدُ في قَهْقَهَةٍ تصعدُ من أعضائي المختنقه؟

أَنَا أَكْثَرُ من شَخْصٍ وكلِّ

يسأل الآخرَ : مَنْ أَنْتَ؟ وَمِنْ أَيْنَ؟

أعضائي غابات قتالٍ

... في دمٍ ريحٍ وجسمٍ وَرَقَةٍ؟

أَجْنُونُ؟ مَنْ أَنَا فِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ؟ عَلِّمْنِي وَأَرْشِدْنِي
يَا هَذَا الْجَنُونُ

مَنْ أَنَا يَا أَصْدِقَائِي؟ أَيُّهَا الرَّاوُونُ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ
لِيَتَنِي أَقْدِرْ أَنْ أَخْرَجَ مِنْ جِلْدِي لَا أَعْرِفُ مَنْ كُنْتُ ،
وَلَا مَنْ سَأَكُونُ ،

إِنِّي أَبْحَثُ عَنْ إِسْمٍ وَعَنْ شَيْءٍ أَسْمِيهِ ،
وَلَا شَيْءٍ يُسَمَّى

زَمَنٌ أَعْمَى وَتَارِيخٌ مُعَمَّى
زَمَنٌ طَمِيٌّ وَتَارِيخٌ حَطَامٌ
وَالَّذِي يَمْلِكُ مَمْلُوكٌ ، فَسَبْحَانَكَ يَا هَذَا الظَّلَامَ .

حَاضِبًا سَنِبَلَةَ الْوَقْتِ وَرَأْسِي بِرُجٍّ نَارٍ :
جَدِّي السَّامِيُّ مَاخُوذٌ بِمَا يَنْسِلُهُ الدَّهْرُ الْعَمَاءُ
بَبَغَاءٍ؟ أَمْ نَبِيٌّ مُفْرَغٌ فِي مَوْمِيَاءٍ؟
أَيُّهَا الْجَدُّ الَّذِي أَعْتَزَلُ الْآنَ طَرِيقَهُ
حَسَنًا ، أَنْتَ الَّذِي يَسْكُنُ فِي جَرَثُومَةِ الْمَاءِ وَأَطْبَاقِ السَّمَاءِ
وَمِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ تَمْشِيَ ، كَمَا تَمْشِي ، شَمُوخًا لِلْوَرَاءِ
وَلَأَنْتَ السَّرُّ وَالْمَمْلَكَةُ الْمَكْتَنِزَةُ
بِالنَّبَوَاتِ - أَنَا الْعَاجِزُ عَنْ فَهْمِكَ ، وَالسَّادِرُ فِي
الْغِيِّ ، وَأَنْتَ الْمَعْجِزَةُ .

أيتها الجدّ الذي أرفضه الآن وأحببتُ الخليقة
باسمِهِ الخالقِ ، لن تعرفني بعدُ ، ولن ينسبني شيءٌ إليك
غيرُ ذاك الطَّلَلِ الراسِبِ في نَفْسِي - يَبْكِينِي ، ويُبْكِينِي
عليك .

حاضِباً سنبلةَ الوقتِ ورأسي بُرْجُ نارٍ :
آخرُ العهدِ الذي أمطرَ سَجِيلاً يَلْأَقِي
أولَ العهدِ الذي يُمطرُ نَفْطاً
واله النُّخلُ ، يجثو
لإلهٍ من حديدٍ ،
وأنا بين الإلهينِ الدَّمِ المسفوحِ والقافلةِ المنكفئةِ
أَتَقَرَّى ناريَ المنطفئةِ
وأرى كيف أداري
موتيَ الجامحَ في صحرائِهِ ،
وأقول الكونُ ما ينسجهُ خُلْمي .. / تنحلّ الخيوطُ
وأرى نفسيَ في مَهْوًى وأسترسِلُ في ليلِ الهبوطِ
وأرى الأشياءَ دولابَ دخانٍ
وأرى العالمَ صَيِّداً
مُدَّتِ المائدةُ ، - الأجسادُ بَقْلُ
والمواعينُ رؤوسُ .

يجلسُ الله إلى مائدة الصَّيِّدِ ، غزالٌ

كان خبَّازاً ، وضَبُّ

كان جندياً / إلهٌ

يأكل الصَّيِّدَ ، أم الصَّيِّدُ الإلهُ؟

طُرقَ تكذبُ ، شُطَّانُ تنحونُ

كيف لا يصعقك الآنَ الجنونُ؟

هكذا أَنتَبِدُ الأَكِلَ والأَكْلَ وأرتاحُ إلى كلِّ مَناءَ

وعزائي أَنتي أُوغِلُ في حلميَ ، - أَشْتَطُ ، أموجُ

وأغني شهوة الرقص ، وأهذي

فَلَكُ الزَّهرة خلخالُ لأياميَ ، والجذْيُ سِوارُ

وأقول الزَّهر في تيجانهِ

شُرُفاتُ ...

وعزائي أَنتي أخرجُ - أَسْتَنْفِرُ أفعالَ الخروجِ .

أَسْرِجوا هذي الرِّياحَ الجامحةَ

إنَّه التاريخ مذبوحٌ وليس الذَّبْحُ إلا الفاتحة

واتركوا الذَّبائحَ والمذبوحَ والذَّبْحَ شُهوداً

واغمروني ببقاياهُ أرسُموني

طَلَّاءَ بين الطَّلُولِ

هكذا أغترف الحكمة من معدنها
صارخاً أهلاً بأنقاضِي أهلاً بالأفون .

هكذا أبتدئُ
حاضِناً أرضِي وأسرارَ هواها ، -
جَسَدُ البحر لها حبٌّ له الشمسُ يدانُ
جَسَدُ مُستودِعِ الرُّعدِ ومُرْساةِ الحنانِ
جَسَدُ وَعْدٍ أنا الغائبُ فيه
وأنا الطَّالعُ من هذا الرِّهانِ
جَسَدُ / غَطَّوا بضوءِ المطرِ العاشِقِ وَجَهَ الأقحوانُ ،

ولَيْكُنْ ...
أحتضنُ العصرَ الذي يأتي وأمشي
جامِحاً ، مِشْيَةً رُبَّانٍ ، وأختطُّ بِلادي ، -
إصعدوا فيها إلى أعلى ذراها
أهبطوا فيها إلى أغوارها
لن تروا خوفاً ولا قيداً - كأنَّ الطَّيْرَ عُصْنُ
وكأنَّ الأرضَ طِفْلٌ ، والأساطيرَ نِساءً
خُلِّمَ؟

أُعْطِي لِمَنْ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَفْتَحُوا هَذَا
الْفَضَاءَ .

ليس جلدي كوخ أفكارٍ ، ولا
شَغَفِي حَطَّابَ ذِكْرِي ، -
نَسْبِي رَفَضْتُ وَأَعْرَاسِي لِقَاحُ
بَيْنَ قُطْبَيْنِ ، وَهَذَا الْعَصْرُ عَصْرِي
الْإِلَهُ الْمَيِّتُ ، وَالْآلَةُ عَمِيَاءُ ، وَعَصْرِي
أَنْتِي أَسْكَنْ حَوْضَ الرِّغْبَاتِ
أَنْ أَشْلَاثِي أَزْهَارِي ، وَأَنْتِي
أَلْفُ الْمَاءِ وَبَاءُ النَّارِ - مَجْنُونُ الْحَيَاةِ .

كَاشِفًا لِلْوَقْتِ أَسْرَارَ هَوَاهُ :
هَكَذَا يَعْتَرِفُ
إِنَّهُ الضُّلَيْلُ ، وَالْخَارِجُ ، وَالْمُخْتَلِفُ .

(بيروت ، 4 حزيران - 25 تشرين الأول 1982)

اسماعیل

اسماعيل

مُتَدَثِّرًا بدمي ، أسيرٌ - تقودني
 حمَمٌ ، ويهديني رُكَّامٌ ، -
 بشرٌ تموج حشودهم
 طوفانَ ألسنة : لكلِّ عبارةٍ
 مَلِكٌ ، وكلُّ فَمٍ قَبِيلَةٌ .
 ... وأنا الذي نبذته كلُّ قبيلة^(١) .

وخرجتُ تحضنني الجراحُ ، وأحضن الأرضَ القتيلةَ ،
 أبني خيامي في دمي
 وأقول لاسمي أن يلمَّ دفاتري
 من بيت اسماعيل^(٢) /

(١) يمشي وحيداً
 يمشي أمام زمانه .
 (٢) لو كان اسماعيلُ حقلاً ، لسكبتُ غيمي فوقه ،
 لو كان إعصاراً لكنتُ لعصفه أفقاً ، وكنتُ خليله ...

— اسماعيل يطفو

صحراء^(٣) من كتب تموت ، وفوقه

قمرٌ تقلّد سيفه

ومضى يجرّ نياقه ...

/ ... وأنا الذي نبذته كلّ قبيلة^(٤)

أَتَسَقَطُ الشرّ الدليل / بنات نعش

يرقدن في زغب الظلام / رأيت وجهي شامة

في ضوئهن ، رأيت موتي

طيراً على كتف الظلام ،

والرملَ يرتجلُ الكلام .

في الجانب الشرقي من نهر الفرات لِقَالِقْ

حَمَلْتُ مفاتيحَ الرّحيل ، وقوّضت

أعشاشها ،

(٣) صحراء — عقْد من رمال ، والقوافلُ خيطه ...

(٤) عبثاً تُسائلُ عن صديقك / مات ،

والبَيْتُ الذي آواه مات / اخفّر طريقاً

لللقاء ، في قلبك الباقي — ولكن

أَتظنّ أنّ القلبَ يبقى؟

في الجانب الغربي ، ينهض هيكلاً -
ثديان ينتفخان قشاً .

/ ... وأنا الذي نبذته كل قبيلة
هوذا تُفرّقني يداي / دمي يُحاربهُ دمي
جسداً يُمزّق في جسداً
والحب لا أحد ، وموتي لا أحد^(٥) .

من أنت؟^(٦) يصرخُ بي حطامي
ويكاد ينكرني كلامي .
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ ، تنامُ تحت وسادهِ

نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ على رؤوسِ
خُشيت بالسنة - خليفة خالقٍ يُملئ الدماءَ
كتباً ، ويثبت ما يشاءُ لها ، ويمحو ما يشاءُ
نارٌ تجيءُ إليه من أرضٍ تعومُ - يكاد يأخذهُ الشرارُ
من أين يخرج - كيف يخترق الحصار؟^(٧)

(٥) لا ماء يعرف أين صحرائي ، وكيف أذوقها .
(٦) ألقى بأسئلتي ولا ألقى جواباً ..
(٧) يُعطيني الشجرُ الكريمُ رداءه
ويمدّ لي نجمٌ يديه ...

ودّعتُ / أذكرُ قاعدًا
 في بيت اسماعيل^(٨) ، - يربطُ صخرةً
 بسحابةٍ
 ويشجُّ بالحجرِ النجومَ ، - يعيشُ بين سلاحفٍ
 شطحت ، ونامتُ .
 ودّعتُ / أذكرُ هودجاً
 يهذي^(٩) بسيدتي ، وأذكرُ أمةً
 تهذي بأخرٍ ما تبقى :

وحشٌ بلا رأسٍ ، يُتَوَجُّ نفسهُ
 ربّاً ، ويبسطُ ظلهُ
 وَطناً كقبةِ المهرجِ .. / ظِلَّةُ^(١٠) .
 أرضٌ تمدّ حقولها سروراً ، وتُهدى ...

(٨) أحلام اسماعيل جائية ، وجبهتهُ ترابٌ /
 ما كان اسماعيلُ إلّا
 صوتاً يقاتلُ بعضُهُ بعضاً ، وليس له فضاء .
 (٩) طَهِمَا زَبَاي - لم يَزَلْ يهذي بلديح شقيقه
 ويقتل كل منخالفٍ .
 (١٠) ... وَلِظَلِّهِ
 عَسَسَ ، وَيُنْكَجِرِيَّةً ..

وَدَعْتُ ، وَارْتَسَمَ الْافُولُ عَلَى جَبِينِي
وَمَنْحَتُ لِلزَّمَنِ الْمَفْتَتِ نَبْرَتِي
وَمَنْحَتُ نَبْرَتُهُ يَقِينِي .

/ ... وَالْأَرْضُ^(١١) تَدْخُلُ فِي السَّعَالِ الْمَعْدِنِيِّ / شَوَارِعُ
رُصِفَتْ بِأَطْفَالٍ - ذَبَائِحَ^(١٢) / أُمَّةٌ
تَزْهُو بِعَرْشٍ مِنْ عِظَامٍ^(١٣) .

إِذْهَبْ وَطُفْ /
فَكَّرْ كَأَسْمَاكِ مُعَقَّتَةٍ ، مَدِينَةُ أَلْسِنٍ
قُطِعَتْ وَدَيْسَتْ .
إِذْهَبْ وَطُفْ ، وَسَلِّ الْجَذُورَ
كَيْفَ ارْتَدَّى جَسَدُ الْمَكَانِ وَحُوشُهُ
أَوْسَلْ غُرَابَ الْأَبْجَدِيَّةِ - جِسْمَ إِسْمَاعِيلَ ، إِسْمَاعِيلُ
خَارِطَةُ الْعُصُورِ .
إِذْهَبْ وَطُفْ /
إِفْتَحْ هُنَا رَأْسًا ، هُنَاكَ فِكْرَةً

(١١) أَرْضٌ مِنَ الْأَنْقَاضِ / غَابَ قِبَائِلِي وَمَذَابِجِي
أَرْضٌ تَتَوَجَّعُ عَصْرُنَا
مَلِكًا عَلَى عَرْشِ الْخِرَافَةِ
أَرْضٌ تَوْسَعُ بَيْنَ خُطُوتِنَا وَهَوْلِ جَحِيمِنَا ، هَوْلِ الْمَسَافَةِ .
(١٢) ذَبِيحٌ ، وَجِلَادُونَ يَقْتَسِمُونَ جِلْدَ ذَبِيحِهِمْ .
(١٣) أَهْدَى قَرْقَمَاسَ لَزَوْجَتِهِ سَوَارًا
مِنْ عِظَمِ طِفْلٍ .

سترى لوجهك صورةً مجهولةً
وترى ثيابك فوق جسمٍ غيرِ جسمك . ربّما
صادتك أنيابٌ
لها لغة الملائك ، أو لها
شكلُ السماء
إذهب وطُفْ /
سترى خنازيراً يُحوّلها الكتابُ إلى ظبياء .

... / ونخافُ من جسِّ الرّغيفِ ، وما نقولُ لقاتلِ
نَسِجِ الدِّماءِ وسائداً؟^(١٤)

مَنْ أَنْتَ إِسماعيلُ؟^(١٥) نازفةٌ خطاك
كُتُباً يَلْمِلُهَا حِوَاءُ

(١٤) إجراءُ سلطانٍ / أَنْتَ مُغْفَلٌ
أَمْ جَاهِلٌ لَتَقُولَ : لا ؟

(١٥) هل كان اسماعيلُ قافلةً
تري الضدَّ الجميلَ ، وتصطفيه أَخاً لها؟
هل كان يرفعُ رأسه
قوساً لموكبِ قلبه
ويرى السماءَ طريدةً لخياله؟

في كلِّ حَرْفٍ حُفْرَةٌ
في كلِّ فاصلةٍ سَرَابٌ
حَشَوْهُ ، وَرَجَّمْ خَرَافَةً ، -

لم تُبْقِ عندكَ لي مكاناً ليخيطَ حَبْرِي ثوبَهُ
لِيُؤَاخِي اللَّهَبُ المحرَّرُ ما أَحْسُ وما أَقولُ / شَطَرْتَنِي
وفصلتَ بين دمي وبينِي ، -
مَنْ أَنْتَ إِسماعيلُ ، كيف أراكَ لَحْظَةً لا أراكَ؟

لكنَّ إِسماعيلَ جرحٌ
وأنا رفيقٌ عذابه ، ورؤايَ حانيةٌ عليه
وأنا رسالةٌ مُنْتَمٍ - لا مُنْتَمٍ ، كُتبتَ إليه .

/ ... والأرضُ تدخلُ في السُّعالِ المعدنيِّ /
نبيُّها هَيْ بُنْ بِي (١٦) .

هل قادهُ غيبٌ إلى أسرارِهِ ، حقاً ، وطُوفَ باسمِهِ
حبٌ لوجهِ الحبِّ - يقرأ في الشعائرِ حُلْمَةً؟
هل كانَ اسماعيلُ ظناً ، أم كانَ إثمًا؟
(١٦) هَيْ بُنْ بِي آلَةٌ
لا شيءٌ يقدرُ أن يترجمَ سِحْرَها .

والأمة انحسرت وذابت
في جدولٍ وحلٍ يسيلُ يذوبُ في هيِّ بنِ بَيٍّ .

يا شمسُ ، يا قدمَ النهار ، تركتِ ليلَكَ عندنا
ونسيتِه ..

— من أنت؟

— من تميم .

«وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ
يَكْرَهُ عَلَى جَمْعِي تَمِيمٍ ، لَوَلَّتِ» (١٧) .

— لا ، لستُ من تميم .

— من أنت؟ تغليبي؟

— لا ، لستُ تغليبيًّا (١٨) .

(١٧) كُجُكٌ — يَسَنُّ حَرَابَهُ

هَدَمَ الْبُيُوتَ لَكِي يُقِيمُ حَصُونَهُ .

(١٨) كَزَلَزَ آغَا — قَالَ : أَمْوَالُ الصَّنَاجِقِ لِلْأَمِيرِ

أَخَذَ السَّبَايَا وَاشْتَرَى

تَعْيِينَهُ بِالْمَالِ / فَرَاهُ خَلِيفَتَهُ الصَّغِيرَ .

... / والأرضُ تدخلُ في السَّعالِ المعدنيِّ / نبيُّها هيُّ بنُ بي (١٩) .

من أنتَ إسماعيلُ؟ مَسْرَحنا (٢٠) يواصلُ عَرَضَهُ
- «من أجلِ مجدك في العُلَى!»

عُنقُ القذيفةِ كاهنٌ
يصلُّ الزَّمانَ بخيطه
ويُخيطُ سِرِّوالاً لكلِّ دقيقةٍ
- «من أجلِ مجدك في العُلَى!»

من أنتَ إسماعيلُ؟ قيلَ الشَّمسُ عندك جَرَّةٌ ، والأرضُ
صَحْنٌ ...

هل أنتَ قلعةٌ ساحرٌ ، أم رأسُ غُولٍ؟
- «من أجلِ مجدك في العُلَى» (٢١) ، -

(١٩) جاؤوا بآخرٍ من تَبَقَى
- جاؤوا بأرجلهم ، و جاؤوا
بأنوفهم : حكَمَ بهِ طُومانُ أفتى .
(٢٠) حَفَلٌ /

وتشربُ كلُّ جمجمةٍ سُلَافَةً حَبَّها من جوفِ ميتٍ .
(٢١) زَيْدٌ ... / وإسماعيلُ يطفُو
جَبَانَةً تجترُّ موتاها وتسكبُ ريقها
مَرَقِيَّةً ، -

رثة العصور تمرقت
والأرض خرقه حائك .

متدثراً بدمي ، أسير - تقودني
حُمَمٌ ويهديني حُطَامٌ -
حَفَلٌ تنخص به الإبادة نسلها
حَفَلٌ لاسماعيل يختتم الزمان ، تراه يفتح الزمان؟
حَفَلٌ يضيق به المكان - وقيل إسماعيلُ جاء وقيل غاب -
ضيقه ملأوا المكان

ملل وآلهة يؤكل بعضها
بعضاً ، ويأكل بعضها
بعضاً ، - ويختلط الكلام

- حشد يوزع ورده
فرحاً بمقصلة تُقام .
- الأطلس العربي جلد نعامة غلبت نعامة
- لا غالب إلاه / سرج حصانه
ذهب ، وجهته غمامة .

والأرض تدخل في السعال المعدني / نبثها
هي بن نبي .

— من أنت؟ من أمية؟ (٢٢)

— لا ، لست من أمية .

— من أنت؟ هاشمي؟ (٢٣)

— لا ، لست هاشمياً .

حَقْلٌ لاسماعيلَ ، إسماعيلُ جاءَ وقيلَ وغابَ ، ضيوفُهُ
مِلَلٌ وآلهةٌ يَؤْكَلُ بعضُها
بَعْضاً ، ويأكلُ بعضُها
بعضاً ، — وتمتزجُ الآلهةُ بالرّصاصِ
أهو الخلاص؟ (٢٤)

(٢٢) «وهي من أمية بنيانها

وهان على الله فقدانها . . .»

(٢٣) «بني هاشم ، عودوا إلى نخلاتكم

فقد صار هذا التمر ، صاعاً بدرهم

إذا قلتُم : رهطُ النبي محمدٍ

فإن النصارى رهطُ عيسى بن مريم»

(٢٤) هل كنت تسأل عن نجوم قبيلتي؟

أقلتُ / أحبُّ الأفلينَ — صدّقتُ : أجنحة الدجاج ملائكتُ

والشمسُ قشرة برتقالة

صدّقتُ : جنسي طحلبُ ،

والله آله .

أَدْعُوكَ إِسْمَاعِيلُ ، خَمْرَةُ عَهْدِنَا
سُكِبَتْ ، وَمَائِدَةُ الْغَسَقِ
فِي زَهْوِهَا -

وَأَنَا وَأَنْتَ السَّاقِيَانِ ، وَحَوْلَنَا
حَشَرَاتُ أَسْلِحَةٍ تَطُوقُنَا وَتَفْقَسُ بَيْضَهَا ...

أَدْعُوكَ إِسْمَاعِيلُ ، أَفْتَتِحُ النِّهَايَةَ : لَسْتُ نَسْلُكَ (٢٥) .

أَعْطَيْتُ قَبْلَكَ جَنَّتِي حَوَاءَهَا
وَرَأَيْتُ وَجْهَ اللَّهِ قَبْلَكَ .

أَدْعُوكَ إِسْمَاعِيلُ ، أَنْهِي مَا بَدَأْتَ - أَقِيمُ فِي بَهْوِ الْعُصُورِ
وَلِيْمَتِي .

أَجْتَثُ نَفْسِي مِنْكَ / أَخِيرُ نَوْرَسٍ
قَرَأَ الشَّوَاطِيعَ جَالِسٌ
قُرْبِي ، وَأَوَّلُ نَوْرَسٍ

(٢٥) أَجْتَثُ نَفْسِي مِنْهُ ، - أَهْلِي :
قَتَالُ آلِهَةٍ ،
وِخَالِقُ غِبْطَةٍ ،
وَمَحْرَرٌ ...

كَتَبَ الشَّوَاطِئَ جَالِسٌ
قُرْبِي ، وَأَفْتَتَحُ الْبِدَايَةَ ، خَالِقًا
لَعِبًا كَوَجْهَ اللَّهِ يَسْبِغُ فِي مِيَاهِ الْأَبْجَدِيَّةِ :
فِي كُلِّ شَيْءٍ سِرُّهُ
يَجْرِي ، وَلَيْسَ لِمِثْلِهِ
أَنْ يَنْتَشِيَ بِجَذْوَرِهِ
أَوْ أَنْ تَحَاصِرَهُ هُوِيَّةٌ (٢٦) .

مِنْ أَوَّلٍ ، أَتَعَلَّمُ الْكَلِمَاتِ ، أَتَقِنُ سِرَّهَا
وَأَقُولُ : جَذْرِي
لَعِبٌ ، وَتِيهُ مِبَاهِجٌ ، —
كَشَفْتُ يَدِشْنُ كُلَّ ضَبْوٍ
شَغْفًا ، وَيَقْتَرِشُ التَّرَابَ كَمِثْلِ نَبْعٍ (٢٧) .

وَأَقُولُ : أَسْلَافِي هَوَى
عَشَقَ الْفَضَاءَ ، وَصَاغَ مِنْ جَسَدِ الْهَوَاءِ شِرَاعَهُ
وَالْفَجْرُ يُلْبَسُنِي مِبَاذِلُهُ ، وَكُلَّ سَحَابَةٍ

(٢٦) مَاذَا؟ كَأَنَّ الْمَاءَ ذَاكَرْتَنِي / أَلَا سَكُنَ قَلْبَ نَبْعٍ؟
(٢٧) أَعْطَيْتُ نَفْسِي صَبُوتِي ، وَنَسِيتُ نَفْسِي .

وَطَنٌ لِحَبِيبِي (٢٨) ،

وأقولُ : حَبِيبِي

من أولٍ ، يتعلَّمُ الكلماتِ ، يُتَقَنُّ سحرها
ويشاركُ العنبَ النبيلَ بمكرِهِ ؛ (٢٩)

أيامه الشَّجَرُ الملقَّحُ بالفصولِ - يَدَاهُ فَجَرٌ
لا فجرَ لإسماعيلَ ، بل هذا الدم المسكوب في كأسِ الكلامِ
لا الأَمْسَ ، بل هذا الحُطَامُ :

جُثَّتْ - أَخْ وَأَخْ ، حداثتُ عاشقينَ وأصدقاءَ
جُثَّتْ - مواعيدُ ، تلهَّفُ غائبَ
وحنينٌ منتظرٌ ، وصبوةٌ حالمٍ
جُثَّتْ - موائِدُ ، نُقِلْهَا كُتِبَ وخمرتها السماءُ .

(٢٨) خَبَأْتُ حزنِي في جدارٍ - في بيتنا المهْدومِ / نجمٌ
ساهرٌ يحنو عليه ، -

يأسي قناعَ
غضبي غزالَ نافرٍ يرعاه طفلٌ .
(٢٩) ماذا يقولُ مُقَيَّدٌ

يمحو النبيُّ كتابَهُ
يمحو الكتابُ لسانَهُ ؟

جُثْتُ - وتعجزُ أن تُميزَ : أيها

سيفُ يَجْزُ ، وأيها

عُنُقُ؟ يَجْزُ ، وأيها ...

جُثْتُ - وتخرج من بُخارِ سديمها

سَوَّرَ تقولُ : القتلُ مُبتدأٌ ، ويُخلطُ قاتِلُ بقتيله

ويصيحُ بيتٌ : إنني قبرٌ ويصرخُ شاعرٌ :

شعبي فضاءٌ دمٍ ، يلتبسُ الفضاءُ على الفضاءِ .

مُتدَثِّراً بدمي ، يسيرُ - تقوده

حُمَمٌ ، ويهديهِ حطامٌ :

أتقدَّمُ الكلمات نحو سَريرها

لأرى بحيرةً مؤنثها ، -

قالَ العَسَقُ

عُنُقُ الرَّمَادِ مَدْدَتُهُ (٣٠)

جسراً لكلِّ نبوءةٍ ، -

قالَ العَسَقُ

جَسَدُ المدينة قاحِلٌ

لَقَحْتُهُ ، وجلوتُ للنسغِ المحرَّرِ جنسُهُ ، -

(٣٠) مَرَجَ الرَّمَادُ ثِيَابَهُ

بالريحِ / نام : وسادَهُ

أَفَقَ وشَمَسَ .

قال الغسقُ

لو أنَّ لي بيتاً لكنتُ دعوتكم
ولقلتُ: فيه تؤمنون وتكفرون
ولكنتُ أرحبُ ساحةَ لجنونكم
ولكنتُ أصدقُ صاحبٍ، -
قال الغسقُ .

... / وأنا الذي نبذتهُ كلَّ قبيلةٍ (٣١)

ليكونَ لي أن أسمع الصوتَ الذي همستهُ حنجرةُ الغسقِ ،
أعطيتُ للحقلِ الصديقِ شقائقي
أعطيتُ أوراقِ الفصولِ محابري
أعطيتُ ذاكرتي لكل ثنيةٍ
في ذلك الجسدِ الذي سمَّيتهُ
وطناً ، وعاش بلا وطنٍ ،

ولبستُ شعري كالكفنِ (٣٢)

(٣١) قاومتُ ، - حتى الضوء مات / أَلستَ نبضاً؟
في كل شيءٍ نبضةٌ ماتتُ / أتنهضُ؟ كيف أعطي
لخطاي دربك؟ كيف أبدأ؟ أين أمضي؟
(٣٢) جلسَ النهارُ إلى خواني مرهقاً
وبكى / فرحتُ ، - رأيتَه يبكي معي .

أعطيتُ قَرميدَ الثلوجِ قصائدي
دفناً له ،

أعطيتُ شيخَ الريحِ عُكازاً توارثَهُ أبي عن جدِّه
أعطيتُ أهدابَ السَّماءِ نوافذي
أعطيتُ كلَّ مهيمٍ شغفي وناري
أعطيتُ هاجِرَ كلِّ ما يُعطيه إين
أعطيتُ إسماعيلَ أجملَ ما رأته طُفولتي ،
ليكونَ لي أن أسمعَ الصَّوتَ الذي هَمَّسَتْهُ حنجرَةُ
الغَسَقِ .

غَسَقٌ وإسماعيلُ يدخلُ في الغَسَقِ
إملاءَ صَحراءٍ ، ورأسكُ - طائحا ، إيقاعها (٣٣) .

غَسَقٌ وتبتهجُ الطبيعةُ بالغَسَقِ
ودمي نشيدٌ للغَسَقِ
صفصافةً فَرَشَتْ جدائلها لتحتضنَ الغَسَقِ
ماءٌ يفارقُ نبعه ليرى الغَسَقِ

(٣٣) مازال جِبْرِ الكهف يرسمُ فأسهُ
في قلبِ عصري : لست منه ، أنا نقيضُ :
حَفَّازُ أحلامٍ ، - غيومُ
وعدت ببرقٍ .

في كل شيء زهرة
تحنو على كتف الغسق؛ (٣٤)

غسق وترطم السماء بخطونا ، -
هوذا أصافح خالقاً
جمدت أصابعه ، وأعطي
لغتي لحبر الموت ، - أتبع هذه الكرة الخفيفة
من خيوط العنكبوت
وأقول : أرضي عاشق ميت وعاشقة تموت .
هوذا ، سأرسم كوكب الغسق المضيء على يدي ،
لكي أحيي وردة
دبّلت ، وكنت قطفتها
من شرفة الزمن الذي آخيته ،
ولكي ألامس طينها بكرة ، يرد إلى العناصر سحرها
ويقول للغة اتبعيني
هذا هو الغسق الجميل قتيلة يرث القتل
هذا هو الغسق الدليل (٣٥) .

(٣٤) أين اتجهت ، أرى قلباً
ثقت ، - أرى رأساً تدلّي ...
(٣٥) كتف النهار جريحة ، والليل يعرج / حيناً
قبر ، - سأقطف وردة وأضمها لرسائلي :

متدثراً بدمي ، أجيء - يقودني
 حُلْمٌ ويهديني بريقٌ ، -
 هَيَاتُ بَيْتِي لابنِ رُشدٍ
 وأبي نواسٍ ، والرّضي
 وكتبتُ للطائي أن يأتي ، وقلتُ لذي القروح : أبو العلاء أتى ،
 وأحمدُ ، وابنُ خُلدونٍ ، -
 سنعلنُ آيةَ الأحشاءِ ، وسوسةَ السّديمِ الأوّلِي
 ونفكُكُ اللّغةَ الدّفينه
 في غابةِ الأشياءِ ، - نقرأ صخرةً
 غَمَقَصَتْ ، ونسمع ما تُوشِوشُ يَاسمينه
 ويدورُ في خَلَدِ الحقولِ :
 الحبُّ زهرةٌ رغبةٍ
 والشعرُ فاتحةُ العُقُولِ (٣٦) .

بيروت ناقة هاربٍ ، والموت هودجها / رأيتُ جرائمًا
 ترعى ، رأيتُ خرافها
 ورأيتُ رقصَ معادنٍ ...
 وأرى : النخيامُ هي النخيامُ ، أرى : الطلُولُ هي الطلُولُ
 طرُقُ مَزْرَعَةٍ بعصفِ سديمها
 والنارُ تعرف ما أقولُ ...
 (٣٦) قَرَدٌ على حجر التنبؤ جالسٌ
 يرنو إليّ كأنني قديسه :

... / وأنا الذي نبذته كل قبيلة
أدعوك ، اسماعيلُ ، أكْمِلْ ما بدأتُ / أقيمُ في بهو العصور
وليمتي

لم يبقَ من جسد المكان سوى التراب / حضنته
طيناً ، وضربة خالقٍ -
لعِباً يذوب في دمي تزيّقه ، -

ببراءة اللَّعِبِ التَّبَسُّتُ ، - رأيتُ في الحجر الجناحَ ،
رأيتُ جسمي وردةً

تملي كتابَ رحيقها ، والكونُ حَبْرٌ
ببراءة اللَّعِبِ اتَّحدْتُ ، وعُثِرْتُ
صُورُ الطبيعة - قلتُ لِلْعِبِ استَبِخْ جسدي وخذني
يا شَيْخَ حَبِّي ، أيها البحرُ المنوّرُ ، أعطني

أقولُ اسماعيلُ ناري ، هاجرٌ
بَيْتِي ، وإبراهيمُ بردٌ؟
ماذا أقولُ له؟ أأزعمُ أنني
ربٌّ؟ وأعلنُ جنّتي :
حواءُ تفاحٌ ، وأدمُ شهوةٌ
والموتُ مفتاحُ السماء؟
أقولُ : لي قدمٌ هنا ، ويدٌ هناك ،
ولي خيولٌ في الهواء؟

حَضُنَا يَشَارِكُنِي جُمُوحِي
لَكَ صُورَةٌ - أَطْرَافِي ارْتَسَمَتْ عَلَى أَطْرَافِهَا
وَأَنَا وَأَنْتَ مُضَرَّجَانِ بَعْدِنَا (٣٧) .

وَأَنَا هَوَى بَطِرٍ يُحَصِّنُنِي - أَنَا حُلْمِي أَخْطُ غَيُوبَهُ
صُورًا تُكَاشِفُنِي
أَنَا جَسَدِي ، وَلِلْجَسَدِ ابْتِهَالِي
وَالْحَلْمُ زَهْرٌ مَوَائِدِي
وَالْحَلْمُ خَبِزِي وَاحْتِفَالِي ،
فَأَرَى كَأَنِّي طِينَةٌ
جُبِلَتْ بِغَيْرِ غُبَارِهَا
وَيَضْمُنِي جَسَدِي إِلَى جَسَدِي ، وَيَسْأَلُنِي سَوَالِي .

وَأَرَى كَأَنِّي
أَخِيْتُ بُهْلُولًا ، وَسَقْتُ إِلَى الْمِيَاهِ قَطِيعَ نَخْلٍ (٣٨)
(لَوْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ يُعْتَقُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ)
أَخِيْتُ بُهْلُولًا وَسَخْتُ ، صَحَبْتُ سَرَّخَسَ نَشْوَةٍ

(٣٧) عَهْدٌ يَنْوِّرُ صُورَةَ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ ، -
زَمَنٌ - هِيَامٌ خَالِقٌ ، وَبِهَاءٌ عَيْدٌ .
(٣٨) لِلنَّخْلِ أَقْوَامٌ وَلَيْسَ لَهُ سِهَامٌ .

ولبستُ صفصافاً ، وقلتُ الورْدُ خيمةُ عاشقٍ
 (لو أن اسماعيلَ يُعتِقُ نفسه من نفسه)
 آخيتُ بهلولاً وكنتُ الجسرَ بين غوايةٍ وغوايةٍ
 (لو أن اسماعيلَ يُعتِقُ نفسه من نفسه)
 آخيتُ بهلولاً وأسكنتُ الخليقةَ في رداي
 وجَهرتُ : أُولَى أن يكون الحقُّ معراجاً وراثي
 آخيتُ بهلولاً لأدخلَ في الأفولِ
 وأضُمُّ آخرَ زهرةٍ لتكونَ أولَ ما أقولُ (٣٩)

ما كان كانُ

حَصَرَ ويدَوّ - معجَمٌ لِخُرَافَةٍ
 (جَنَحَ الغرابُ إلى البياضِ / فلانةُ
 كتبتُ طفولتها رقيمَ هوىٍ وأرّخه فلانُ
 بيتاً لإسماعيلَ - حقلَ دمٍ) / أقولُ
 أعطيتُ عَصْبِي للغُبَارِ ، دخلتُ في رَحِمِ الأفولِ
 طيفاً لتاريخٍ يجيءُ ، - أكاد أسمع خطواتهُ :

(٣٩) سأقولُ إسماعيلَ وادٍ من حجرٍ
 سأقولُ إسماعيلَ فَنَارَ تَشَقُّقٍ وانكسَرِ
 سأقولُ إسماعيلَ صَنَعَةَ صانعٍ
 وأقولُ هاجِرٌ لم تهاجرَ .

يا صورةً ستجيءُ ، يا لغتي وحيي
إن كنتِ واحدةً ، فباسمكِ — باسم هاجسكِ الكثير ، أنا أنا ، —
وأنا سوايَ (كأنَّ اسماعيلَ يخلعُ نفسه من نفسه)

غَسَقُ وتَبْتَهجُ الطبيعةُ بالغسقِ
ودمي نشيدٌ للغسقِ ، —
بخرٌ يموجُ إليَّ مُشْتَعِلًا يكرّرُ موجهُ
هذا هو الغسقُ الجميلُ — قتيله يَرِثُ القَتِيلُ
هذا هو الغسقُ اللّيلُ .

(بيروت/ تموز — تشرين الأول 1983)

قبل أن ينتهي الفناء

1

عُنُقُ جَامِحْ ، عُنُقُ ، حَائِرُ -
 أَلْغِيَوْمُ تَحِيكُ عِبَاءِهَا ،
 وَالرِّيَّاحُ تَجِيءُ خِفَافاً عَلَى صَهَوَاتِ الْحَقُولِ .

لِسُهُولِ جِبَالِ
 تَتَدَلَّى الْقُرَى مِنْ دُؤَابَاتِهَا ،
 لِنِسَاءٍ يُزْتَرْنَ خَصِرَ الْهَاءِ
 بِمَنَادِيلِ أَحْزَانِهِنَّ ، وَلِلْحَزَنِ يَقْرَأُ مَا كَتَبَتْهُ الْفُصُولُ ،
 لِمَحَابِرَ جَفَّتْ ، لِحَبْرِ يُنْقِطُ وَجْهَ السَّمَاءِ ،
 يَنْحَنِي الشَّاعِرُ ،
 يَتَذَكَّرُ : لِلْفَقْرِ حِكْمَةُ شَمْسٍ ،
 وَالدَّرُوبُ عَلَى قَدَمَيْهِ
 عُنُقُ جَامِحْ ، عُنُقُ حَائِرُ .
 أَشْعِلُوا لِلْمُشْرِدِ فِي فَلَوَاتِ الْكَلَامِ
 نَارَ أَشْوَاقِهِ ،

وانقشوا صخرة النهر، عززأله
والبياض المختبأ في لوح أيامه - انقشوها
بالحنين، وبالشمس تخلع في ورده
ثوبها كي تفيق، وتلبس رمانة كي تنام.

حبب البيت، نعنأه
شرفتان لكل يد تومثان
لم أكن بعدأ أعرف كيف يضاء المكان
بالصدأقة . نجمي
لم يكن دار في فلك الأصدقاء
لم يكن بعدأ يكبو، وتشحط رجلاه في مهمه من جراح .
غير أن الصبأخ
كان يلقي دفأتره، كل يوم
في فراشي، بين يدي، ويملي رسائله للفضاء، -
تننشي نلأه،
يزدهي ساحل
الينابيع تقرأ للعشب أسفارها
والغصون تسوس الهواء .
- ما له تورك الجافل؟
وجهه ناحل، لونه حائل،
هل تنشق خمارة؟

— لم يُطَقْ ، مرَّةً ، نِيرةً .

— والرَّهَانُ؟

— خَسِرْتُ الرَّهَانَ .

2

ساحَةُ القريةِ اخْتِفَاءً —

يَجْلِسُ الْمُتَعَبُونَ : حِوَارٌ ، ذِكْرِيَاتٌ ، هُمُومٌ ،

مَجْلِسٌ

تَتَعَانَقُ فِيهِ الْجِرَاحُ ، وَيُنْسَى النَّهَارُ النَّهَارَ . طَيُورٌ

تَتَحَدَّثُ مَعَ رِيَشِهَا .

عَسَقٌ يَتَمَرَّأَى

بَيْنَ سَاقِي فَتَاةٍ ، وَالْمُصَلِّونَ تَحْتَ الشَّجَرِ

يَعْقِدُونَ مَعَ الْغَيْبِ أَخْلَافَهُمْ .

غَيْرَ أَنَّ الْحُقُولَ يَبَاسٌ ، وَالْعَزِيزُ الْمَطَرُ

لَمْ يَجِئْ مِنْذُ دَهْرٍ .

— تَحْتَ تِلْكَ الْعَرِيشَةِ كَنْزٌ .

يُنْبُشُونَ الْقُبُورَ ، وَلَكِنْ ...

— مرَّةً ، وَجَدُوا هَيْكَلًا

دُهشوا : رأسه مثلُ تَفَّاحَةٍ
ويداهُ رَقِيمٌ :
« بين رِذْفِي وَنَعْرِي »
فَلَكُ دَائِرٌ ، فَلَكُ قَاتِلٌ » .

المساء يَلُمُ المقاعدَ . ليلٌ
حَالِكٌ ، لِلنَّجُومِ
أَوْجَةٌ قِيلَ عنها : ملائِكُ ، منها
ما يدومُ ، ومنها
كَبَنِي آدَمَ ، لا يدومُ .
بعضُهُم يتذكَّرُ أسماءَها
بعضُهُم يتفقُّهَ فيها ، ويقولُ : إليها
يَنْتَهِي كلُّ عِلْمٍ .

بعضُهُم يدَّعي
أَنَّ نَجْمًا هُوَ
فَوْقَهُ ،
ورأه يُبدِّلُ قُمْصَانَهُ .

يَسْمَعُ الطِّفْلُ ، يَنْهَضُ ، يَمْضِي
سَاعَةُ الدَّرْسِ حَانَتْ ، والقناديلُ لا زَيْتَ فيها .

شَمْعَةٌ حَامِلٌ
وَضَعَتْ نُورَهَا
بين أهْدَابِهِ ،
نُورُهَا عَاشِقٌ نَاحِلٌ
لَنْ يَكُونَ لَهُ أَنْ يُحْيِيَ
هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، الْمُتَنَبِّي :
أَلْهَلَالُ الَّذِي يَسْتَضِيءُ بِهِ أَفْلٌ .

3

عِنْدَمَا يَنْزِلُ الشِّتَاءُ
مِنْ ذُرَاهُ ، وَيَرِيضُ فِي الْعَتَبَاتِ ، وَخَلْفَ النُّوَافِدِ ،
تَأْوِي الْحَقُولُ إِلَى عُرْيِهَا
وَيَنَامُ الْحَجَرُ
بَيْنَ أَجْفَانِهَا .

كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَقُولِ
لَعِبٌ غَامِضٌ ، حَدِيثٌ
لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُ مِنْهُ
غَيْرَ هَرَجِ الْعَصَافِيرِ تَغْزُو
وَتَخْتَارُ أَشْهُى ثِمَارِ .

كنتُ أختارُ : أيُّ البُقُولِ
يَتَخَيَّرُهَا العَاشِقُونَ
لِصَبَابَاتِهِمْ
مِثْلَمَا حَدَّثَ الشَّيْخُ ، وَأَكَدَهُ العَارِفُونَ .

عِندَمَا كَانَ جَيْشُ الشِّتَاءِ يُرَابِطُ بَيْنَ النَّوَافِذِ ،
تَأْوِي النِّسَاءُ
لِمَقَاصِيرِ أَحْلَامِهِنَّ . المَقَاصِيرُ تَرُوي
مَا رَوَتْهُ السَّيَرُ
عَنْ قُلُوبٍ - كَوَاكِبَ ، عَنْ عَاشِقَاتٍ
مِنْ غُبَارِ الزُّمَرِ ، أَوْ مِنْ حَرِيرِ الزَّهَرِ
فِي المَقَاصِيرِ يَعْشَقْنَ ، يُسَلِّمْنَ لِلَّيْلِ أَجْسَادَهُنَّ ،
وَلِلشَّوْقِ أَكْبَادَهُنَّ ،
وَأَهْدَابَهُنَّ لِمَوْجِ الصُّوَرِ ، -

- دُمُّهَا كَانَ يَكْرَأُ .
- لَمْ تَخَفْ . تَحْتَ زَيْتُونَةٍ أَتَاهَا
وَضَعَتْ نَاهِئِيهَا
بَيْنَ غُصْنَيْنِ ، رَمْزاً :
فِي يَدَيْهِ سَلَامٌ وَدِفَاءٌ .

— جَدُّهَا جَدُّ نَخْلٍ
وَالضَّفَائِرُ صَفْصَافَةٌ .
— خَرَجَتْ مِنْ مُحِيطِ السَّوَادِ إِلَى مَرَكِزِ الْبَيَاضِ
عِنْدَمَا جَاءَهَا الْمَخَاضُ .
وَالْمَقَاصِيرُ قَشٌّ وَطِينٌ
وَتَعَاذِيْمٌ حَاءٍ وَبَاءٌ .

4

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوْخِهِ :
أَلْقَبُورُ تُرْشُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْقَمْحُ يَصْدَأُ ، وَالسَّنْبَلَةُ
هَجَرَتْ عُنُقَهَا .
لَمْ تَكُنْ قَدَمَايَ كَمَا يَخْدُثُ الْآنَ تَرْتَجِفَانِ —
تُرَانِي فِي هُوَّةٍ ؟
زَمَنٌ يَتَقَدَّمُ فِيهِ الْجَوَابُ ، وَتَنْهَزُمُ الْأَسِئَلَةُ .
يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوْخِهِ :
لَيْسَتْ الْأَرْضُ إِلَّا
فَلَكًا مِنْ طُهَاءٍ ، فَلَكًا مِنْ طُغَاءٍ .

يَجْلِسُ الْفَجْرُ كَالشَّيْخِ فِي كُوْخِهِ :
يَسْتَعِيدُ وَيُمْلِي

دَرَسَهُ الْمُخْتَصِرَ :
قَلَمُ الْحَبِّ قَوَسٌ فِي كَفِّهِ وَانْكَسَرَ .

5

أَخَذْتَنِي رِياحِي ، وَاللَّيْلُ طِفْلٌ
فِي ثِيَابِي ، وَأَلْقَتْ
لِغَطَاءِ رَقِيقِي صَبَايَ : شُمُوسٌ
وَعُيُوبٌ
وَأَرْضٌ
تَتَبَطَّنُ ذَاكَ الْغَطَاءُ
وَأَنَا الْآنَ فِيهِ وَمَنْهُ ، نَسِيجٌ
يَتَمَرَّقُ . مَاءُ التَّعْلِيلِ شَحٌّ . مَنْ الْقَائِلُ :
طَعْمُ حَوَاءَ مَرٌّ
وَأَدَمَ سُمٌّ ؟
شَحٌّ ضَوْءُ الطَّرِيقِ - الْمَعْرَى
رَسَمَ الْأَرْضَ قَارُورَةً
وَرَمَاهَا إِلَى اللَّجَجِ - يَا أَيُّهَا الْعَادِلُ
مَا الَّذِي يَتَرَاءَى لِيَأْسِيكَ ؟ لَا ، لَسْتُ أُسْأَلُ ،
عَفْوُكَ ، عَيْنَاكَ لَا تُخْطِئَانِ :
الْخَلِيقَةُ شِعْرٌ
وَصَوْتُكَ دِيوَانُهَا الْكَامِلُ .

6

قُلْ لَأَمُوجِكَ اسْتَقَرِّي
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُعْطَى
بالْحُطَامِ ، وَكَرَّرَ
مَا يَقُولُ النَّوَاسِيُّ : دَاوُكَ هَذَا الدُّوَاءُ .

وَالطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِنَا ، نَزَلَ الزَّهْرُ عَنْ كَتْفَيْهَا -
أَتَذَكَّرُ : كَانَ الْمَسَاءُ
يَتِمَّدُ فِي حَضْنِ أُمِّي
مُلْقِيًا رَأْسَهُ عِنْدَ رَأْسِي ،
أَيُّهَا الْوَقْتُ حَرَّكَ رَمَادِي
فَأَنَا مُطْفَأٌ وَنَسِيتُ الْغِنَاءَ .

7

النَّبَوَاتُ تَجْتَرُّ أَشْلَاهَا
وَالزَّمَانُ حَصَاةٌ
تَتَدَخَّرُ فِي رِثَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

(باريس ، أوائل أيلول 1992)

البرزخ

للأساطير التي تخضن أيامي وللحلم الذي يخنو عليّ
 أغسل التاريخ - ما قال ، وما أنكره
 بالإشارات التي يرسلها الفجر إليّ .

1

خرج الحاضر من أسمائه
 يخرج الشيء على أسمائه - لا أسميه ، ولكن
 قلّد الوردة يد الشاعر واستسلم للماء الذي قلّد نهر الرغبات
 فقلّ الآن لليل الكلمات :
 أنت نور آخر يفتح الفجر عليه
 سأحيي وردة يحملها الشجر إليه -
 هوذا ، أيقظت أعماقي وصيحت الحب جاء
 عاشقاً ، أصغي إلى جسمي ، وأستقرئ ما يكتبه
 وحصادي دائماً جهلي به .
 سأحيي وردة يحملها الشجر إليه ، -

أُكْتُبِ الْجَنَسَ الَّذِي فِيكَ لَكَيْ تَقْرَأَ تَارِيخَ الْأَبَدِ
 لَا تَعِيشُ الرُّوحُ فِي الْعَبْطَةِ إِلَّا
 عِنْدَمَا يَكْتُبُهَا تِيهِ الْجَسَدُ .
 سَأُحْيِي وَرْدَةً يَحْمِلُهَا الشَّعْرُ ، سَأَبْقَى
 أَرْتَقُ الْغَيْمَ ، وَأَبْقَى
 أَسْحَبُ الْأَفْقَ بِخَيْطٍ
 وَأَجْزُ الشَّمْسَ مِنْ أَرْدَانِهَا .

أُولُونِي
 جَسَدِي رِقٌّ - كِتَابٌ
 كَتَبْتُهُ أَبْجَدِيَّاتُ نُجُومٍ وَغُيُومٍ
 جَسَدِي مَسْرَى إِلَى الثُّورِ وَأَشْلَاءِ دُرُوبٍ
 جَسَدِي يُؤَلِّمُ لِلْسَّرِّ الَّذِي يَتَكَيُّ الْآنَ عَلَى سُرَّتِهِ -
 أُولُونِي /
 يَكْتُبُ الثُّورُ عَنْ عَائِلَةِ الْبَحْرِ كِتَابًا مِنْ زَبَدٍ
 أُولُوا صَوْتِي ، قُولُوا
 لَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ أَنْ يَنْسَمَ أَوْ يُؤْمِنَ أَوْ يُصْنَعِيَ لِلْفَجْرِ أَحَدٌ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا وَلَكِنْ
 لِبَتَكِرٍ مَا صَنَّفَ الْمَاضِي ، أَعِدْ إِعْجَامَهُ
 وَأَعِدْ تَصْرِيفَهُ
 وَأَعِدْ إِعْرَابَهُ -

أَلْيَقِينَ الْآنَ شَحَاذٌ . أَحْيِي
 شَاطِئًا يَكْتَبُهُ الْبَحْرُ وَيَرْوِيهِ إِلَى أَمْوَاجِهِ
 وَأَحْيِي خِرْقَةً
 مَسَحَ الْعَاشِقُ فَتَحْذِيهِ بِهَا
 وَأَحْيِي طَحْلِبًا
 وَأَحْيِي قَشَّةً
 رَيْمًا عَلَّمَنِي السَّيْرُ عَلَى الطَّحْلِبِ أَهْوَاءَ الْمَكَانِ
 وَحِسَابَ الْوَقْتِ ، وَالرَّحْلَةَ فِي إِسْفَنْجَةٍ
 رَيْمًا عَلَّمَنِي الْقَشُّ الرَّهَانُ ،
 وَأَحْيِي كُلُّ مَا يَهْوِي
 وَلَا يَخْفِضُهُ أَيُّ قَرَارٍ .
 هَلْ أَسَمِّي أَلْفَ الْحَيْرَةِ مِفْتَاحًا ، وَيَاءَ الْيَأْسِ بَابًا
 وَأَقُولُ ارْتَسَمَتْ دَائِرَةُ الصَّبْدِ ، وَدَارُ الْأَصْدِقَاءِ ؟
 وَلِمَاذَا لَا أَقُولُ الزَّبْدُ الْحَبْرُ ، وَمَنْ أَتَيْنَ أَتَانِي
 أَرْقُ الْمَغْنَى ، وَتَأْتِينِي هَذِي الْبُرَحَاءُ ؟
 أَتَرَى حَظِّي حَصَى أَرْمِي بِهِ

فَرَسَ السَّرَّ وَمَعْرَاجَ السَّمَاءِ؟
 فِي فُقَاعَاتٍ مِنَ الصَّنَمَتِ الَّذِي يَلْقَحُ بِالمَوْتِ الهَوَاءَ
 يُوْغِلُ الشَّاعِرُ فِي أَهْوَالِهِ -
 لَيْسَ لِلنُّورِ أَخٌ إِلَّا الْفَضَاءُ .

3

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا ، وَلَكِنْ
 إِسْأَلُوا الشَّرْقَ : أَلَنْ يَضْجَرَ مِنْ مَزْجِ خُطَاهُ
 بِالدَّمِ الدَّافِقِ مِنْ أَبْنَائِهِ
 وَمِنْ السُّكْرِ بِهِ
 وَمِنْ النُّومِ عَلَى أَشْلَائِهِمْ؟
 قَامَةُ التَّارِيخِ مَالَتْ فِي يَدَيَّ
 إِنَّهُ الْإِنْسَانُ - مَذْبُوحاً عَلَى صَدْرِ نَبِيٍّ
 أَقْرَأَ الرَّمْلَ وَأَسْتَأْنِسُ بِالرَّيْحِ الَّتِي تَذُرُّ وَتَنْأَى
 وَأَقُولُ الْحُلْمُ ضَوْءٌ وَلِقَاحٌ
 وَعَلَى الْحُلْمِ تَأَسَّسْتُ ، وَفِي الْحُلْمِ بَنَيْتُ
 أَيَّهَا الْوَاقِعُ مِنْ سَمَّاكَ ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ؟

لِسُلَّالَاتٍ مِنَ الْجُرْحِ
 الَّذِي يَجْهَلُ

هَلْ يَضْحَكُ أَمْ يَبْكِي ،
دَمِي طِفْلُ سُؤَالٍ .

4

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، وَأَنَا أَعْشَقُ أَشْيَائِي - قَمِيصِي ،
قَهْوَةُ الصَّبْحِ ، وَأَقْلَامِي ، وَالْأَسْوَدَ مِنْ حَبْرِي ،
أَشْيَائِي بِقَايَا عَتَبَاتٍ

وَأَنَا أَعْشَقُ لَيْلَ الْعَتَبَةِ
كَلَّمَا شَرَّدَنِي عَنْهَا غِيَابٌ
شَرَّدَتْ عَنِّي نَفْسِي ،
وَأَنَا أَعْشَقُ نَوْمِي / عِنْدَمَا أَدْخُلُ فِي دِفْءِ سَرِيرِي
تَفْتَحُ الشَّهْوَةُ لِي أَحْضَانَهَا
وَأَرَى أَجْمَلَ أَحْزَانِي فِي أَغْوَارِهَا الْمُصْطَخِبَةِ .
يَنْتَمِي عَهْدِي مَعَ النَّيِّهِ إِلَى فَجْرِ دِمَشْقٍ
وَالْبَيْهَا تَنْتَمِي نَارِي ، أَحْشَائِي قَوْسٌ
هَائِمٌ فَوْقَ دِمَشْقٍ .

كَلَّمَا حَدَّثَنِي حَقْلٌ ، سَأَلْتُ الْعُشْبَ : هَلْ تَغْفِرُ لِي رَمْلِي ،
وَهَلْ يَقْدِرُ سَيْفُ الْمَاءِ أَنْ يَبْتَكِرَ الْجَزْمَ الْبَرِيءَ ؟
لَمْ أَعُدْ أَنْتَظِرُ الْأَخْضَرَ / فِي الزَّرْقَةِ أَشْتَاتُ سَوَادٍ

وَالْبَيَاضُ انْفَتَقَتْ هَالَاتُهُ

هَاجِسُ الْغَيْمِ يَرْجُ الْأَلْقَ الْبَاقِيَّ فِي صَحْوِي / دُخَانُ

فِي الْبُحَيْرَاتِ الَّتِي يَكْنِزُهَا الظُّنُّ ،

وَلَا يُوقِظُ عَيْنِي سِوَى اللَّوْنِ الَّذِي أَجْهَلُ مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ .

غَيْرَ أَنَّ الْأَفْقَ يَسْتَأْنَسُ بِالرَّيْحِ الَّتِي تَخْلُطُ فِي وَجْهِي ،

غُبَارِي وَرُؤَايَ

مَا الَّذِي يَخْضِبُنِي - يَخْضِبُهُ الْآنَ هَوَايَ؟

هِيَ كَانَتْ مِثْلَمَا يَأْخُذُكَ الْحُلْمُ إِلَى لَيْلٍ صَدِيقٍ

يَأْخُذُ اللَّيْلَ إِلَى حُلْمٍ صَدِيقٍ

وَأَنَا كُنْتُ كَمَنْ يَرْسُمُ عَيْنَيْهِ عَلَى الْعُشْبِ ،

وَلَا يَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ وَلَا أُنَى وَلَا كَيْفَ الطَّرِيقَ؟

زَهْرُ الْحُبِّ عَلَى طَاوِلَةِ الرِّيحِ مَنَادِيلُ هَبَاءَ

أَيْسَمَّى فَشَلًّا أَنْ يَعْجِزَ الْمَاءُ عَنِ النُّطْقِ ، وَالْأُ

يَقْدِرُ الْبَحْرُ عَلَى قَتْلِ حَصَاةٍ؟

كَيْفَ لَا تَحْتَرِفُ الرِّيحُ الْبُكَاءَ؟

... إِنَّهَا ذَاكَرَتْنِي تُبْجِرُ فِي مَاءِ الصُّورِ -

بَيْتِي الْأَوَّلِ ، مَرْسُومًا عَلَى

جَسَدِ الْعُشْبِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ

جَسَدٌ مَدَّتْ لَهُ الذِّكْرَى يَدًا

كَيْدِ الشَّمْسِ عَلَى وَجْهِ الْمَطَرِ

مَا الَّذِي يُغْتَقِنِي مِنْهُ ، وَمَاذَا

فِي دَمِي يَرَفُضُ نَبْضَ الْإِنْعَتَاقِ
جَسَدُ يَخْنَقُهُ شَرِيَانُهُ
أَهْ مَا أَطُولَ هَذَا الْإِخْتِنَاقِ .

5

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا ، وَلَكِنْ
سَأَقُولُ الشَّيْءَ مَا أَكْرَمَهُ
هُوَذَا يَأْخُذُ أَعْمَاقِي إِلَى وَحْدَتِهِ
وَيُؤَاوِنِي أَنَا الطَّيْفُ الَّذِي يَعْبُرُ فِي أَجْفَانِهِ
وَأَنَا الصَّامِتُ وَهُوَ الْكَلِمَةُ
وَأَقُولُ : الشَّيْءُ — مَا أَعْلَمَ هَذَا الْجَهْلَ ، يَرَوِي
لُغَةَ الْكُونِ ، وَلَا يَعْرِفُ رَغْبَ اللُّغَةِ الْمُتَنَفِّصَةِ .
وَهُوَ لَا يَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ وَلَا كَيْفَ يَكُونُ الْأَقْحَوَانُ
شَامَةً يَرْسُمُهَا اللَّوْنُ عَلَى وَجْهِ الْمَكَانِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَهَا . لُغَاتُ
وَلِكُلِّ صَوْتُهُ
كُلَّمَا حَدَّثَنِي شَيْءٌ ، سَمِعْتُ الْمَوْتَ يُصْغِي
كُلَّمَا حَدَّثْتُ شَيْئاً
خَرَجْتُ نَفْسِي مِنْ دِجَلَتِهَا

وَمَشَتْ مَشْطُورَةً فِي الضَّفَّتَيْنِ
 مِثْلَمَا يَنْشَطِرُ التَّارِيخُ فِي قَبْرِ الْحُسَيْنِ .
 تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
 لِي فِي أَرْضِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي اسْتَصَفَيْتُهَا
 وَطَنٌ ضَاقَ عَلَى خَطْوِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ فِيهِ
 (أَلَا أَنِّي دَائِمًا فَاجَأْتُ بِالْفَجْرِ خُطَاهُ؟)

وَهُوَ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يَخْفِضَنِي ...
 عَجَبًا ، هَذَا الْوَطَنُ
 كَيْفَ لَا يَكْبُرُ فِي أَرْجَائِهِ غَيْرُ الْكَفَنِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا وَلَكِنْ
 قُلْ لِهَٰذِي الثَّنِيَةِ السُّودَاءِ كَفَاكَ نَجُومٌ
 قُلْ لَشَعْبٍ يَحْمِلُ الْحِكْمَةَ فِي أَنْفَاسِهِ :
 إِنَّ هَٰذَا الْأَمَلَ النَّاشِبَ فِي أَعْمَاقِهِ ،
 مُخَّ بَعُوضٍ .

أَهْ يَا مَائِدَةَ الْمَوْتِ الَّذِي يَخْصُدُ أَعْنَاقَ حَقُولِي
 إِنَّنِي أَعْجَزُ أَنْ أَرْزُقَ إِلَّا فِي سَدِيمٍ -

هُوَ ذَا أَخْرَجُ مِنْ هَاوِيَةٍ .

لَيْسَتْ أَنَا ،

هُوَذَا أُدْخِلَ فِي هَاوِيَةٍ

لَيْسَتْ أَنَا

كُلُّ أَشْيَائِي أَخْتَنِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي عَادِيَتْهُ

كُلُّ أَشْيَائِي عَادَتْنِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي أَخِيَتْهُ ،

وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْءَ لَا يُصْنَعِي ، وَلَكِنْ

كَمْ أُنَادِيهِ لِكَيْ يَحْضَرَ عُرْسَ الْكَلِمَاتِ

وَلَكُمْ غَطِيَتْ قَبْرِ الزَّمَنِ الْمَيِّتِ بِثَوْبِ الْكَلِمَاتِ

وَلَكُمْ غَنِيَتْ لِلشَّيْءِ الَّذِي ضَبِعَهُ فِي أَوَّلِ الدَّرَبِ قَطِيعُ الْكَلِمَاتِ

وَتَحَدَّثْتُ مَعَ الشَّيْءِ لِكَيْ أُنْقِلَ أَحْزَانِي

إِلَى اللَّأَشْيَاءِ - مُوصُولًا بِخَيْطِ الْكَلِمَاتِ

وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الشَّيْءَ مِفْتَاحٌ وَلَا يَفْتَحُ إِلَّا الْكَلِمَاتُ .

إِفْرِعِ الْبَابَ لِكَيْ تُوقِنَ أَنَّ الْكَلِمَاتِ

جَسَدٌ آخَرٌ لَا يَلْبَسُ غَيْرَ اللَّيْلِ ، إِقْرَعُهُ لِكَيْ تُوقِنَ :

مَا يَخْضِنُهُ التَّارِيخُ

يُسْتَنْبَتُ فِي الْعُشْبِ

الَّذِي يَحْيَا

بِمَاءِ الْكَلِمَاتِ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمَئِهَا وَلَكِنْ

لُعْتِي تَصْنَعُ أَعْدَائِي نَسْجاً
 مِنْ خِيُوطِ غَزَلَتْهَا شَهْوَةٌ ،
 مِثْلَ دُمَى -
 كُلُّ أَعْدَائِي كَانُوا أَصْدِقَائِي - غَيْرَ أَنِّي
 شَطَحْتُ قَافِلَتِي
 وَتَوَغَّلْتُ إِلَى أَعْلَى وَأُنْأَى ،
 إِنَّنِي أَعْجَزُ أَنْ أَمْشِيَ إِلَّا فِي جَحِيمٍ .

تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ،
 لَا أَسْمِيهَا وَلَكِنْ
 لَمْ أَقُلْ غَيْرَ الَّذِي قَالَتْهُ أَشْيَائِي
 فِي مُوْعِدِي الْأَوَّلِ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ
 عِنْدَمَا سَمَّيْتُ قَصَابِينَ أَرْوَادَ وَنِينَارَ ،
 وَكَانَ الْوَرْدُ فِي دَجَلَةٍ عِطْرًا فِي الْفُرَاتِ
 عِنْدَمَا أَعْطَيْتُ لِلرَّيْحِ تَمَارِينِي فِي الصَّفِّ ،
 وَآثَرْتُ عَلَى النَّزْهَةِ فِي مَا تَجْهَرُ الْأَحْرَفُ ،
 أَنْ أَصْغِي إِلَى هَمْسِ حَصَاةٍ ،

لَمْ أَقُلْ غَيْرَ الَّذِي قَالَتْهُ أَشْيَائِي
 فِي رَيَّا أَسَاطِيرِي وَأَحْلَامِ يَدِي
 وَأَنَا أَنْسَى وَأَسْتَغْفِرُ مَا أَنْسَاهُ

مَحْمُولاً عَلَى الْمَوْجِ الَّذِي يَهْدِرُ فِي غَوْرِيْ مَجْهُولاً خَفِيْ
رَدُّ عَنِّيْ نَوْمِيْ الْأَسِرِ نَمَّ فِيْ مُقَلَّتِيْ
أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي أَجْهَدُ كَيْ أَدْخَلَ فِيهِ
أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي أَجْهَدُ أَنْ أَخْرِجَ مِنْهُ .

6

تَخْرِجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
لَمْ يَرِثْ شَيْئاً دَمَ الْأَجْرِ (لَمْ يَنْسَ الْمَعْرِي
أَنْ يَقُولَ الْمَوْتُ مَزْرُوعٌ
هُوَ الْآخِرُ فِي الْأَرْضِ ،
كَمَا يُزْرَعُ وَرَدُّ)
كُلُّ شَيْءٍ يَأْخُذُ الدَّرَبَ إِلَى صَحْرَائِهَا ، دُونَ أَنْ يَتْرَكَ أَثَاراً / تَقْدُمُ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ وَاسْتَسْلِمَ لَتِيهِ الْقَافِلَةُ
عَبَثاً تَضُنِّي وَتَسْتَبْسِلُ فِي رَسْمِ خُطَاكَ النَّاحِلَةَ .

تَخْرِجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ،
لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ
أَخَذُ الشَّيْءَ كَمَا يَأْخُذُ فَلَاحَ رَغِيْفاً

وَعَلَى وَجْهِ رُؤْيَا

تَتَقَرَّى خُطْوَةَ الْوَقْتِ ، -
يَكُونُ اللَّيْلُ فِي عَيْنِي ضَوْءاً
سَكَبَتْهُ أَنْجَمٌ أُخْرَى عَلَى خَطْوِي - ضَوْءاً
أَبْيَضَ الْخُطْوَةِ
نَشْوَانٌ ، يَنَامُ

فِي سَرِيرٍ أَبْيَضٍ ،
وَيَكُونُ اللَّيْلُ فِي حُنْجَرَةِ الضَّوءِ كَلَامٌ .

وَبَعِينِ الشَّيْءِ حَدَقْتُ لِكَيْ أَشْهَدَ
أَنْ الْقَصَبَ الْمَائِلَ أَهَاتُ
وَأَنْ الْمَوْتَ لِلْعَابِرِ فِي قَافِلَةِ الْمَعْنَى حَقُولٌ مِنْ خَزَامٍ .
هَكَذَا أَدْخَلُ بِاسْمِ الْحَبِّ فِي الْمَوْتِ ،
كَمَا يَدْخُلُ فِي الْمَوْتِ ،
أَوْ بِاسْمِ حَيَاةٍ مُرْجَاةٍ
فَأَرَى نَفْسِي كَأَنِّي مِثْلُهُ - صَحْبٌ مُوَّةٌ فِي صَمْتِ شُمُوعٍ مُطْفَأَةٍ
وَأَرَاهُ نَائِماً مِلءَ سَرِيرِي ، يَقِظاً مِثْلِي ، وَالْعَالَمُ فِي أَهْدَابِهِ
حُلُمٌ يَعْبُرُ فِي شَكْلِ امْرَأَةٍ .

تَخْرِجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، -

أ - أن تُحِبَّ الآنَ مِفْتَاحَ مِنَ الْحِكْمَةِ أن تَجْهَلَ مِنْ أَيْنَ أَتَى .

ب - لَيْسَتْ الرِّيحُ يَدًا بَلْ رَايَةٌ .

ج - لَا يَعِيشُ الْعِطْرُ إِلَّا تَائِهًا .

د - خُذْ مِنَ الْإِنْسَانِ مَا شَابَهُ أَهْدَابُكَ : نُورًا ،

وَمِنَ الْأَشْيَاءِ مَا شَابَهُ أَحْزَانُكَ : نَارًا .

تَخْرِجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا ، لَا أَسْمِيَّهَا ، وَلَكِنْ

مِنْ يَدَيَّ نَافِلَتِي

يَذْهَبُ الْأَقْقُ إِلَى شُطْآنِهِ

مَعَهُ تَذْهَبُ أَعْعَاشٌ ، وَأَبْرَاجُ حَنِينٍ

مَعَهُ تَذْهَبُ أَيَّامِي : هَلْ هَذَا خَرِيفٌ

أَمْ رَبِيعٌ؟

شَجَرُ الزَّيْتُونِ أَعْطَى الْجَذْعَ لِلْجُذْجُدِ ، وَالزَّيْتَ لِنَجْمٍ

لَمْ يَزَلْ يَكْتُبُ لِلشَّاعِرِ تَارِيخَ الْأَرْقِ

وَيَرَى أَيَّامَهُ تَهْبِطُ فِي تِيهِ الْوَرَقِ

نَحْوَ . . . / جَاءَتْ وَرْدَةٌ

وَرَمَتْ زُنَّارَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَهُوَ ، الْآنَ ، سَحَابٌ

شَفَّ كَالضُّوءِ ، - يُؤَاخِي وَجْهَهُ

وَيُغْطِي مُقَلَّتِيْةً

... مَعَهُ تَذْهَبُ أَيَّامِي : هَلْ هَذَا خَرِيفٌ ، أَمْ رَبِيعٌ ؟
 (لأنها شَهْوَةٌ مِعْرَاجِي تَمَحُّوْ
 سُلَّمُ اللَّوْنِ ، وَتَمَحُّوْ
 آيَةُ الْوَقْتِ) ، وَيَمْضِي
 مَعَهُ دَوَاوِرُ شَمْسٍ ، وَرَبَاحِيْنَ ، وَأَسْرَارٌ ، وَتَمْضِي
 مَعَهُ قَافِلَةُ الْمَعْنَى / إِلَى نَافِذَتِي
 شَكَّتِ الشَّمْسُ طَرِيقِي
 هَكَذَا أَنْظَرُ مِنْهَا
 وَأَرَى نَارَ انْكِسَارَاتِي تَغْلُو ،
 فَكَأَنِّي لَمْ أَعْشَ إِلَّا رَبِيعاً
 وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَكْثَرَ مِنْ رَفَةٍ هَذَبٍ
 وَكَأَنِّي صَبَرْتُ شَيْئاً
 عَائِماً فِي لُجَّةِ الضَّوءِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ فِي نَافِذَتِي
 أَغْوِي ، يَا شَاطِئَ الضَّوءِ وَهَيْئَ سَاعِدَيْكَ
 خُذْ يَدِي ، خُذْ نِي ، أَرْجِعْنِي إِلَيْكَ .
 تَخْرُجُ الْأَشْيَاءُ مِنْ أَسْمَائِهَا
 لَا أَسْمِيَهَا - أَقُولُ الْبَحْرُ كَانَ الْبَحْرُ طِفْلاً
 عِنْدَمَا سَافَرَ فِي وَجْهِهِ وَدَوْنَتْ صَدَاهُ
 وَقَرَأْتُ الْأَفْقَ ... / هَلْ أَسْأَلُ تِلْكَ السَّنْبِلَةَ :

مَنْ رَأَاهَا بِذَرَّةً ، أَوْ مَنْ رَمَاهَا ؟
أَمْ تُرَى أُطْفِئُ نَارَ الْمَسْأَلَةِ ؟

بَرْزَخُ ،
وَالْتَّيْهُ مَرْسُومُ
عَلَى كُلِّ فُضَاءٍ

وَالْيَقِينُ
الآنَ
شَحَاذُ

وَأَشْيَائِي أَخْتَنِي : بَابُ
رَدَّنِي مِنْ هِجْرَةِ الْمَعْنَى إِلَى
وَأَرَى الْكُرْسِيَّ مَهْمُومًا
كَمَنْ يَحْمِلُ عَنِّي كَتْفِي .

(باريس 20 حزيران - بودابست 14 تموز 1991)

وردة الأسئلة

إلى أ.ق .
الأكثر بهاءً بين صديقات الشعر

1

يُخْرِجُ العَطْرُ حَيْرَانَ مِنْ وَرْدَةِ الْأَسْثِلَةِ
تُخْرِجُ الْأَمْثَلَةَ
مِنْ قَمِ الْأَرْضِ مَخْنُوقَةً ، -

سَيَكُونُ ظَهْوَرٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ :
أَدَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَحَوَاءٌ جَبَّانَةٌ .

إِنَّهَا أَرْضُنَا تَتَمَرَّأِي فِي تَابِينِهَا
مَرَّ فِينِيقُ فِيهَا وَتَنَوَّرَ أَبْعَادُهَا وَتَغْنَى بِهَا
وَرَوَاهَا
وَعَنَى لَهَا
وَاحْتَرَقَ

لِلْعَسَقِ ،
لِلْقَبَائِلِ وَالْقَابِلِينَ لِكُلِّ كَمَا قُلْتَ يَا سَيِّدِي لِنَعْمَ مِثْلَمَا قُلْتَ
يَا سَيِّدِي وَلِلْمُتَدِنِ
الْعَائِمَاتِ عَلَى لُجَّةِ الْقَتْلِ لِلْقَتْلِ طُوبَى وَزُلْفَى لِرُؤُوسِ تَسِيرُ شَمَالاً وَأَجْسَامُهَا
تَسِيرُ يَمِيناً

لِلَّذِي تَشْرُدُ مِنْ أَجْلِهِ
وَتُقَاتِلُ - تُقْتَلُ مِنْ أَجْلِهِ
وَتُقْتَلُ مِنْ أَجْلِهِ
وَالَّذِي لَا مَكَانَ لَهُ فِي الْمَكَانِ - لِمِغْرَاجِ أَسْلَافِنَا
وَالْجِيَادِ الَّتِي حَمَلَتْهُمْ وَأَسْرَاءَ تَارِيخِهِمْ
وَالْقَوَافِلِ وَالْعَتَبَاتِ وَأَضْرَحَةِ الْأَوْلِيَاءِ
لِلتَّوَابِعِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ يَتَّبِعُ التَّابِعِينَ ، لِهَلْ
تُولَدُ الرُّوحُ فِي الْمَاءِ أَمْ فِي الْهَوَاءِ ؟
لِلْمَدَارِ الذِّي قَذَفْتَنَا الْحُرُوفُ إِلَى طِينِهِ
وَعَجَّنَا بِهِ الْأَرْضَ مِخْتَوِمةً بِالسَّمَاءِ
وَلَنَا ، يَا نَسِينَ كَعَظَمِ ،
لِنَقُلْ قَوْلَ صِدْقٍ
لِنَقُلْ أَيُّ شَيْءٍ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الذِّي شَاءَ مَا لَا نَشَاءُ .

مِثْلَمَا يَنْزِلُ الْوَحْيُ مِنْ لَوْحِهِ

مِثْلَمَا يَصْعَدُ اللَّهَبُ

وَأَكْرَرُ : تَبَّتْ يَدَاهُ وَمَا أَجْمَلَ الْغَضَبُ

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي لَهَبٍ غَيْرُ جِسْرِ اللَّهَبِ .

إِنِّهَا أَرْضُنَا تَتَمَرَّأَى فِي تَجَاعِيدِهَا ، -

كُلُّ مَا قَالَهُ الْفَقَهَاءُ النَّحَاةُ عَنِ الشُّعْرَاءِ هُرَاءُ وَأُسْجُوعَةٌ

وَسَأَقْتُلُ هَذَا الزَّمَانَ الَّذِي يَتَمَدَّدُ فِيَّ وَيَعْرِجُ مِنْ رَأْسِهِ

قُلْتُ عَنْهُ : دَمٌ فَاسِدٌ وَلَمْ أَتَرَدَّدْ

أَنْ أَكْرَرُ : هَذَا الزَّمَانُ دَمٌ فَاسِدٌ

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِش :

أُتْرَى ، أَرْضُنَا

خَلَقَ النَّاسَ فِيهَا لِكَيْ تَتَفَيَّأَ أَجْسَادُهُمْ كَلِمَاتٍ ؟

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِش :

شَمْسُنَا تَتَنَزَّهُ فِي خِرْقَةٍ

مِنْ طَحَالِبِ هَذَا الْوُجُودِ ، الْوُجُودُ عَمُودُ رِمَادٍ

وَنُخَافُ مِنَ الْقَوْلِ أَكْثَرَ مِمَّا نَخَافُ مِنَ الْقَتْلِ

نَكْتُبُ تَعْزِيمَةً

لِلْفَرَاغِ الَّذِي يَتَنَبَّأُ لَكِنْ بِأُظْفَارِهِ

فَأَنَا مُبْلَغُ وَالْبَلَاغُ

أَنْنِي أَكْتُبُ الْفَرَاغَ أَخَاطِبُ هَذَا الْفَرَاغَ .

زَمَنٌ - رَأْسُهُ قَدَمَاهُ

وَالْفَضَاءُ عَلَى وَجْهِهِ آلَةٌ

سَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ :

بَعْدَ لَمْ تَكْتَشِفْ أَيَّ سِرٍّ

وَالظَّلَامُ الَّذِي كَانَ يُولَدُ حَوْلَكَ يَنُمُو

وَنَجْهَلُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي

وَنَعْجُزُ عَنْ أَنْ نُشِيرَ إِلَيْهِ

وَنَقُولُ : اانتَظَرَتِ الطَّفُولَةُ فِي وَجْهِ غُولٍ

وَتَوَقَّعَتْ أَنْ يَنْزِلَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ مِنْ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٍ

فِي مَصَابِيحِكَ الْخَامِذَةِ

إِسْمَعِ الْآنَ - تِلْكَ هِيَ الرِّيحُ تَهْذِي وَتَنْسُجُ ثَوْبَ الْفَضَاءِ

خَيْمَةً لِلْبَكَاءِ .

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ :

مَا تَرَى فِي الصَّرَاطِ الَّذِي يَتَلَبَّسُ وَجْهَ الْجَحِيمِ وَوَجْهَ النُّعِيمِ وَيَبْدَأُ مِنْ حُفْرَةٍ؟

فِي السُّحَابِ يَصِيرُ كِتَابًا

فِي الْكِتَابِ يُمَوِّجُ أَلْفَاظُهُ

كَالسَّلَاسِلِ ، مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى

بَسْجَادِ هَذَا الْخَضُوعِ ، لِمَنْ يَفْتَحُ الْغَيْبُ أَبْوَابَ هَذَا الشَّقَاءِ؟

إنَّهَا أَرْضُنَا -

سَيَجِيءُ الْغِنَاءُ

الْغِنَاءُ الَّذِي يَحْسَبُ النَّايَ رَمْحاً وَالْمَرَايَا حُصُوناً

سَيَجِيءُ وَيَصْنَعُ مِنْ وَخْلِهَا مِثْلَ

وَيُوَحِّدُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَأَشْلَانِهَا

سَيَجِيءُ وَيَشْرَبُ تَرْيَاقَهُ

حُكَمَاءَ الْمَذَانِ وَالْأَتْقِيَاءَ رُعَاةَ الشَّوَارِعِ ، وَالرَّاسِخُونَ

يَدُورُونَ فِي شَكْلِ قَوْسٍ وَشَكْلِ هِلَالٍ

يَهْرُقُونَ وَلَا يَعْرِفُونَ .

ضَجِرَ الْمَاءُ مِنَّا

ضَجِرَ الْمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالرَّيْحُ مِنَّا

وَأَدْخَرْتُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى قَاعِ حُزْنِي

لَيْسَ لِلْمَاءِ حَبْرٌ سِوَى نَفْسِهِ

لَيْسَ لِلشَّمْسِ ظِلٌّ سِوَى نَارِهَا

لَيْسَ لِلرَّيْحِ بَيْتٌ سِوَى صَوْتِهَا

هَلْ أَقُولُ إِذَنْ : هَا هِيَ النَّارُ تَرْدُ عَلَى الْمَاءِ وَالْمَاءُ رَمْلٌ

وَأَقُولُ الْمَلَأْتُكَ مِنْ كَهْرَبَاءٍ

وَأَقُولُ الْقَمَرُ

غُصْنٌ كَانَ أَرْجُو حَةً

لِتَبَارِيحِنَا

فَانْحَنِي تَحْتَهَا وَتَقْوَسَ مِنْ عَبْثِهَا وَأَنْكَسَرَ؟

أيها الموتُ - شيخاً على الريحِ
طفلاً على الماءِ
والنارُ أمواجهِ القائدة ،
إننا لحظةٌ واحدة .

والحياةُ صحائفُ للشُّكرِ والحمدِ والبسملةِ
منزلاتُ كمثلِ الصُّحائفِ والكتبِ المنزلةِ
فكرةٌ - دُميةٌ ، فكرةٌ - مقصلةٌ

ونقولُ لجلّ قَامِشٍ :
إفْتَحْ هذه اللُّغةَ الْمُقْفَلَةَ
أَعْطِنَا شاهداً لا رِقيباً
أَعْطِنَا ما تقولُ الحياةُ وما يتوهَّجُ في غُربةِ الأسئلةِ
لا تَزَالُ جيوشُ الخُرافَةِ تغزو بلادك ، آتيةٌ مِنْ سَدُومَ
أَعْطِنَا ما تقولُ العناصرُ لا ما تقولُ الغيومُ .

هَلْ نُطِيعُ الدُّخَانَ؟
هَلْ نُصَالِحُ بَيْنَ السَّرَابِ وَهَذَا الْمَكَانِ؟

ونقولُ لجلّ قَامِشٍ - للفراتِ :
لا نُريدُ الخلودَ نُريدُ الحياةَ .

هَكَذَا نَحْنُ هَذَا الْمَسَاءُ
نَلْعَبُ النُّزْدَ مَعَ نَجْمَةٍ
تَتَشَرَّدُ فِي عَتَمَاتِ السَّمَاءِ .

(ضَعَّ بِلَادَكَ فِي زَفْرَةٍ وَتَضَمَّنْ بِجُرْحِكَ) أُسْرَى
بِهَوَاهُ شِمَالاً فَسَارَ يَمِيناً
وَتَوَجَّهَ شَرْقاً فَغَرَبَ أَخْفَى خُطَاهُ
وَتَوَقَّعَ أَنْ يَفْتَحَ الْغَيْمُ كَفَّيْهِ فِي أَرْضِهِ الظَّامِئَةِ
فَوَضَّ الْأَمْرَ لِلْكَلِمَاتِ - تُرَاهُ سَيَخْرُجُ مِنْ سِجْنِهَا؟
سِجْنُهَا سُرَّةٌ
وَلَهَا فَخِذٌ دَائِفَةٌ .

وَأَقُولُ لَجَلْقَامِشِ :
أَنْتُمِي لَا لِإِسْمٍ وَلَا مِلَّةٍ
لُغْتِي مِلَّتِي
كَرَّهَ الشَّعْرَ أَبْنَاءَهُ كُلُّ أَحْلَامِهِ تَتَسَاقَطُ فِي صَدْرِهِ خُطَاماً
وَالْحُقُولُ الَّتِي عَشِيقَتُهُ تَتَمَرَّقُ مَكْسُوءَةً
بِجِرَاحَاتِهِ

يَدُهُ وَرْدَةٌ
وَالْمَسَافَاتُ فِي وَجْهِهِ قِيودٌ

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشِ :

كَيْفَ مِنْ أَيْنَ تَنْفِي رَايَةً مِنْ خُزَامِي
رَايَةً مِنْ حَدِيدٍ

إِنِّهَا أَرْضُنَا

أَمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَحَمَالَةُ الْحَطَبِ
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَدَارَاتِهَا غَيْرُ نَارِ الْغَضَبِ .
أَيُّهَا الْقَصَبُ الْمُنْحَنِي
أَيُّهَا الْقَصَبُ الْمَتَكَسِّرُ يَا صُورَتِي
عَجَبًا كَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ تَفْنَى وَتَجْهَلُ أَنَّكَ تَحْيَا؟
عَجَبًا أَيُّهَا الْعَابِرُ
كَيْفَ لَا تَشْهَقُ الْأَرْضُ فَيْكَ وَتَنْفَجِرُ الشَّاعِرُ؟

وَأَقُولُ لِحُلُقَامِشٍ :

أَتَعَدُّ فَيْكَ وَفِي وَحَدَّتِي -
وَحَدَّتِي دَرَجٌ فِي الْهَوَاءِ
وَحَدَّتِي كُلُّ هَذَا الْفَضَاءِ .

أَمْطَرْتُ فَوْقَ أَنْقَاضِ أَيْلُولٍ أَيْلُولُ جِسْرٍ بَيْنَ عَيْنِي وَعَيْنِي
وَأَيْلُولُ بَيْتِ الْخَرِيفِ الَّذِي أَخَذَ الْآنَ يَهْبِطُ فِي ذُرْوَاتِي فَاجِعٌ أَنْ أَقُولَ
عَلَى سُلَّمِ الْمَوْتِ لَا قَيْتُ حُبِّي غَيْرَ أَنِّي عَلَى سُلَّمِ الْمَوْتِ لَا قَيْتُ
حُبِّي وَمَوْتِي صَوْتُ

يَتَغَنَّى بِظِلِّي يُغْنِي لَهْ وَأَنَا مِثْلُهُ : مِهْنَتِي أَنْ أُغْنِي لَتَجَاعِيدِ قَيْسِ
لَمَرَاتِهِ الَّتِي تَتَنَاسَلُ بَيْنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ
أَقْرَأُ السَّخَرِ وَالْكِيَمِيَاءِ
أَتَنَشِّي فِي مَدَارِ الْبُكَاءِ عَلَى الطَّلَلِ الْعَرَبِيِّ وَأُجْرِي رِيَّاحَ الْحَنِينِ
فِي الْهَبَاءِ وَتَارِيخِهِ الْأَمِينِ .

وَأَقُولُ لِحُلُقَامِش :

أَتَسَلِّحُ بِالشَّعْرِ كَيْ أَتَحَدَّثَ مَعَ كَبِدِ الْأَرْضِ مَعَ زَهْرَةٍ
مَعَ بَقَايَا رَحِيلٍ لَا بَقِيَ
تَائِهًا بَيْنَ عَيْنِي غُزَالٍ
لَا خَوْضَ حُرُوبِي
بَيْنَ وَجْهِ الْكَلَامِ وَوَجْهِ الطَّبِيعَةِ بَيْنَ الْأُرُومَةِ وَالْغُصْنِ بَيْنَ الصَّدَى وَالنَّدَاءِ
أَتَسَلِّحُ بِالشَّعْرِ كَيْ أَتَنَوِّرَ لَيْلَ الْخَفَاءِ ،
وَكَيْ أَنْشُرَ الْعِطْرَ مِنْ وَرْدَةٍ فِي الْخَفَاءِ
مِهْنَتِي أَنْ أَكُونَ عَلَى شَفَةِ الْهَاوِيَةِ
لُغَةً دَانِيَةً

وَأَقُولُ لِحُلُقَامِش :

وَقُتْنَا لَنْ يَجِيءَ أَنْتَهَى وَقُتْنَا
أَلْوَدَاعَ الْوَدَاعِ - قَرَأْتُ شُمُوسَكَ ، مَا كَتَبْتُهُ
شُمُوسُكَ أَطْبَقْتُ هَذَا الْكِتَابُ
لَنْ أَصْدَقَ غَيْرَ السَّرَابِ .

إِنِّهَا أَرْضُنَا

مُلكُ صَوْتٍ وَحِيدٍ
وَالصُّدى رَأْسُهَا وَيَدَاها
كَيْ تَرَاهَا
يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَوَّلَ فِيهَا إِلَى ...

هَلْ سَيَبْقَى لِحُزْنِي مَكَانٌ فِي تَقَاطِيعِهَا؟

وَنَقُولُ لَجَلْقَامِشٍ كَيْ يَقُولَ لآيَاتِهَا :
أَيُّهَا اللُّغَةُ - الطَّبِيبَةُ الْهَارِبَةُ
لَمْ تَكُونِي سِوَى نَجْمَةٍ كَاذِبَةٍ .

هِيَ ذِي تَتَكَسَّرُ أَجْنَحَةُ الْمَعْصِيَةِ :
لَنْ يَتِمَّ الْعُبُورُ عَلَى الْجِسْرِ لَنْ تَكْمُلَ الْأُغْنِيَةُ .

(باريس ، أوائل شباط 1991)

أغنية إلى حروف الهجاء

هَبَطُوا مِنْ أَسَاطِيرِهِمْ
 مِنْ كَوَاكِبَ كَانَتْ نِسَاءً
 وَأَنَا كُنْتُ رَصْدًا يُوَاكِبُ تَرْحَالَهُمْ
 كُنْتُ حَبِيرًا تَحَبَّبًا فِي لَيْلِهِمْ
 كُنْتُ فِي الْخُطُوطِ الشَّرِيدَةِ وَقَعَ الْهَبَاءُ
 أَكْتُبُ الظَّنَّ وَالْمُسْتَحِيلَ وَيُمْلِي عَلَيَّ الْفَضَاءُ .

نَسِيتَنِي خُطَايَ ، رَمَتَنِي قَافِلَةُ الذَّاكِرَةِ
 فِي خَلَاءٍ تَأَخَى مَعَ الْمَوْتِ ،
 فِي الرَّبْعِ - لَا مَنْ يَرُوحُ ، وَلَا مَنْ يَجِيءُ ،
 رَمَتَنِي قَافِلَةُ الذَّاكِرَةِ .

أَيُّهَا الْيَأْسُ ، يَا نَارِي السَّاهِرَةِ
 فَجَّرِ اللَّهَبَ الْمَيِّتَ فِيَّ ، لِكَيْ أَتَفَجَّرَ فِي مَوْقِدِ الذَّاكِرَةِ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا ، -
 إِبِلٌ مِنْ كَلَامٍ
 وَهِيَائِكُلٌ مَجْرُودَةٌ : قَافِلَةٌ
 تَتَشَحَّطُ فِي اللَّفْظِ ، تَنَحَّلُ فِي الْحَبْرِ ، أَرْزَنُ
 دَمْنَا حَوْلَهَا هَالَةٌ
 وَسَمِعْتُ الصَّدَى يَتَمَوَّجُ فِيهَا
 قُلْتُ : هَذَا صَدَانَا ، وَهَذِي
 نَجْمَةٌ أَفَلَةٌ .

وَالطَّرِيقُ حَصَارٌ ، -
 مَا الَّذِي يَفْتَحُ الْأَرْضَ إِنْ أَغْلَقَتْ فِي سَمَاءٍ ؟
 هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا
 مَرُّ وَفْدِ الرِّيَّاحِ عَلَيْهِ - لَا صَدَى ، لَا أَحَدٌ
 وَالتُّبُوءَاتُ مَطْرُوحَةٌ
 فِي الشُّوَارِعِ - مَنْ ذَلِكَ الْمُتَنَبِّئُ
 مِنْ ذُرْوَةِ الطِّينِ ،
 مِنْ عَتَمَاتِ الْجَسَدِ ؟
 ضَرَبَ رَمْلٍ ، وَنَفَثَ جَامِحٌ فِي الْعَقْدِ ،
 وَتَبَارِيحُنَا
 كَالْفَرَاشَاتِ - سَوْدَاءَ بَيْضَاءَ ، تَقْرَأُ فَنَدِيلُهَا
 فِي ظِلَامِ الْأَبَدِ .

هُودًا طَيِّفٌ تَرَحَّلْنَا
تَذِي دِفْلَى ، عَجِيزَةٌ رُمَانَةٌ ، كَاحِلٌ مِّنْ عَرَارٍ ،
زَمَنٌ لِّسَ إِلَّا قِيودًا ، وَأَغْلَاقٌ لَّفَظٌ :
مَا الَّذِي يَفْتَحُ الْكَلِمَاتِ إِذَا أُغْلِقَتْ فِي كِتَابٍ ؟

ذَكَرًا كُنْتَ ، أَمْ كُنْتُ أَنثَى
أُيْهِدَا الرَّجِيمُ ، التَّذِيرُ ، الْمَلَاكُ
لَسْتُ إِلَّا ضَبَاعًا
وَالْمَسَارُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ شِعَابٌ
خَصَّصَتْهَا الرَّمَالُ ، وَزَيَّرَ قَامَاتِهَا
شَجَرٌ عَاشِقٌ دَوَّبَ لَيْلَى
شَجَرٌ عَاشِقٌ تِيهَ قَيْسٍ ،
لَا شَمِيمٌ ، وَلَا نَجْدٌ . جُرْحُ
سَابِغٍ فِي خُطَاكَ
أُيْهِدَا الرَّجِيمُ ، الْكَرِيمُ ، الْمَلَاكُ .

وَسَوَاءٌ — حَلَمْتَ وَفُتَّتَ إِلَى بَارِقٍ
أَوْ نَزَلْتَ عَلَى دَارِ لَيْلَى ،
سَتَرَى أَنَّ مَنَفَاكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ —
خُطَوَاتُكَ مَنَفَى ، وَجَبُّكَ مَنَفَى ، وَجَنُونُكَ مَنَفَى

وَجَسْمُكَ ، فِي أَوْجِ أَفْرَاحِهِ وَأَغَانِيهِ ، مَنْفَى
 سَتَرَى النِّفْيَ يَنْبُعُ مِمَّا تَيَقَّنَتْهُ
 مَوْثِلًا وَمَلَاذًا ،
 سَتَرَى أَنَّ مَنْفَاكَ هَذَا التَّرَابُ وَهَذَا الْهَوَاءُ
 سَتَرَى أَنَّ مَنْفَاكَ أَبْعَدُ مِمَّا يَقُولُ الْفَضَاءُ .

لَنْ تَنَامَ قَرِيرَ الْوَسَادَةِ إِلَّا عَلَى سَاعِدَيْكَ
 لَنْ تُسَافِرَ ، مَهْمَا تَوَعَّلْتَ ، إِلَّا
 فِي السَّرَابِ الَّذِي يَتَرَاءَى
 أَسِيرًا ، خَاطِفًا مُقْلَتَيْكَ .

هُوَذَا طَيْفٌ تَرَحَّلْنَا ، -
 جَسَدٌ يَتَلَكَّى
 فِي بِلَادٍ تَدَلَّتْ
 لَا قَرَارَ لِغَيْرِ الْجِبَالِ الَّتِي تُمَسَدُ
 لَا أَنْبِجَاسٌ لِغَيْرِ الدِّمَاءِ الَّتِي افْتَضَّهَا الْأَمْسُ
 وَالْآنُ كَيْ يَتَمَرَّعُ فِيهَا الْغَدُ .

وَأَنَا لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنَّ أُكْتَبَ الرُّمْلَ ، أَنَّ أَتَمْرَأَى
 فِي رَمَادِ الصُّوَرِ
 لَيْسَ لِي غَيْرَ أَنَّ أَتَدَثَّرَ هَذَا الشَّرَرُ

وَأَمُومِيَّ حَالِي
وَأَقُولُ : الطَّرِيقُ بِلا مَنَفَذٍ طَرِيقِي
وَالسُّؤَالُ بِدونِ جَوَابٍ سؤَالِي .

يَتَمَرَّدُ تَحْتَ لِسَانِي ، يَجْمَعُ فِي شَفَتَيَّ اسْمُهُ
سَأَقُولُ : اسْمُهُ
لَوْ غَابَاتِهِ لَوْ شُطَّانِهِ
سَأَقُولُ : اسْمُهُ
خُطُواتُ الْفُصْمُونِ
وَالجِبَالُ اسْمُهُ وَالْغُيُومُ وَأَمْطَارُهَا وَالْحَقُوقُ ،
وَوَطَنِي كُلُّ هَذَا الْفَضَاءِ الَّذِي يَتَشَطَّى
حَيْرَةً مُرَّةً تَتَشَطَّى
لُغَةً مُرَّةً حَائِرَةً ،
أَيُّهَا الْيَاسُ ، يَا نَارِي السَّاهِرَةِ
مَا الَّذِي قُلْتُ؟ مَا قُلْتُ لَيْسَ اسْمُهُ
إِسْمُهُ كُلُّ مَا لَمْ أَقُلْهُ ، وَمَا لَنْ أَقُولَ .

كُلَّمَا ازْدَدْتُ بُعْدًا أَحْسُ كَأَنِّي أَزْدَادُ قُرْبًا
كُلَّمَا جَرَفْتَنِي أَمْوَاجُ تَبْهِي عَمِيقًا إِلَى اللَّجِّ ،
أَشْعُرُ أَنَّ الشَّوَاطِئَ تَذْنُو ،

ما الذي يَتَفَتَّتُ في خُطُواتي لِكَي يَتَماسِكَ في كَلِماتي؟

يَتَقَوَّضُ ماضِيٌّ ، لَكِنَّهُ صُورَتِي
أَتَقَوَّضُ فِيهَا ، وَلَكِنْ

ما الذي فِيَّ يَعْلُو؟
ما الذي فِيَّ يُمسِكُ بالأَرْضِ مِنْ مَنكَبَيْهَا
وَيُكَبِّبُ عَلَيْهَا ، وَيَحْنُو
وَيَلْمُ بِأَهْدَابِهِ ثَوْبَهَا ،
وَيُزْرِكِشُ أَطْرَافَهُ
بِتَخَارِيمِ أَخْلَامِهِ؟

أُتَرَى هَذِهِ الصَّحَارَى بَيْنَ نَفْسِي وَبَيْنِي خَلَّاقَتِي؟
أُتَرَاهَا الرِّمَالُ الَّتِي غَمَرْتَنِي
تَتَحَوَّلُ غَمراً وَطُوفانَ خَلْقٍ؟
سَأُوسِّسُ تِلْكَ الْجِبَالَ الَّتِي لَبِسَتْهَا خَطَايَا ،
لِكَي تَتَرَحَّلَ مِثْلِي ، لِكَي تَلْبَسَ الرِّحِيلُ
سَأُوسِّشُ عُقْبَانَهَا وَيُنَابِعَهَا وَالتَّخِيلُ
أَنْنِي أَتَمَاهَى بِهَا ، -
لَسْتُ مَا شِئْتُهُ
لَسْتُ مَا لَا أَشَاءُ

فَلَقَى رَاكِبٌ مَوْجَهُ
أَتَتْقُلُ فِي غَيْمَةٍ
وَأَنَا مُ عَلَى سَاعِدِ الْهَوَاءِ .

أَيْهَذَا الْأَنَا ، يَا أَنَايَ الَّذِي يَتَنَاءَى
عُدَّ إِلَيَّ ، أَعِدْنِي إِلَى مَا أَنَا ،
نَهَرُ الْحُبِّ وَالشَّعْرِ مِنْ مَائِنَا يَجْفُلُ
وَالْحَيَاةُ عَلَى خَطُونَا
عَرَقٌ أَذْكَنُ مِنْ تَجَاعِيدِنَا يَهْطِلُ
مَا نَقُولُ ، وَمَا نَعْمَلُ ؟
وَالكَلَامُ هُوَ الْقَيْدُ ، وَالْأَرْضُ قُفْلُ
وَالزَّمَانُ هُوَ الْمُقْفَلُ .

عُدَّ إِلَيَّ أَعِدْنِي
لِلْحَصَى فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِنَا
لِمَقَاعِدَ مِنْ حَجَرٍ فَرَقْدِي
لِمَغَاوِرَ تُلْقِي مَنَادِيلَهَا
فَوْقَ أَكْتَافِنَا ،
لِلدُّرُوبِ قَرَأْنَا عَلَيْهَا تَعَاذِمَنَا
مَنْحَتْنَا التَّجُومَ وَأَسْرَارَهَا وَتَاوِيلَهَا ،

لِلسَّمَاءِ تُضِيءُ قَنَادِيلُهَا
 فِي مِيَاهِ الطُّفُولَةِ ؛ قُلْ لِي
 مَا أَقُولُ ، وَمَا أَعْمَلُ ؟
 الصَّبَاحُ هَزِيلٌ وَأَغْشَى
 وَالْمَسَاءُ مَرِيضٌ ،
 وَالْجُدُورُ الَّتِي تَكْنِزُ الضُّوءَ ، تُسْتَأْصَلُ .

يَمَلَأُ النَّاسُ سَاحَاتِهِمْ
 بِهِيَاكِ مَوَاتِهِمْ
 بِرُؤُوسٍ مِنَ الشَّمْعِ تَطْفُو وَتَرْسُبُ فِي بُرْكَ مِنْ كَلَامٍ ،
 لَا تَزُورُ السَّمَاءَ بُيُوتَاتِهِمْ وَمَقَاصِيرَهُمْ وَالْمَنَابِرَ إِلَّا
 فِي رِءَاءِ حَدِيدٍ ، وَعَلَى وَجْهِهَا شَوَاطِئُ ،
 يَعْجَبُ الزَّمَنُ الْأَوَّلُ
 يَعْجَبُ الْكَاعْدُ - الْحَبِيرُ ، وَالْحَرْفُ ، وَالْقَلَمُ الْأَوَّلُ
 يَعْجَبُ الْحَقْلُ ، وَالْقَمْحُ ، وَالْمَنْزِلُ الْأَوَّلُ .

لَمْ نَعُدْ غَيْرَ مَا يُشْبِهُ الْقَشَّ فِي مَوْقِدِ الْأَفُولِ ،
 دَلُّنَا ، إِهْدِنَا الصِّرَاطَ إِلَى كَلِمَاتِ نُسَافِرُ فِيهَا
 سَفَرًا غَيْرَ مَا الْفَتْهُ ، وَنُوغِلُ فِيهَا -
 أَثِيهَا الشَّاعِرُ الْمُرْمَلُ بِالْوَحْيِ ،

وَأَقْرَأَ لَتِلْكَ الْقَبَائِلِ مَرْتِيَةَ الطُّلُونِ .

أَتَغْرَبُ عَنِّي وَأَنَايَ
وَأَعُودُ إِلَيَّ : مَنِ الْأَوَّلُ -
مَا تَجَدَّدَ ، أَوْ مَا مَضَى ؟
أَنَا كُلُّ مَا لَسْتُ أَجْهَلُ ، أَمْ كُلُّ مَا أَجْهَلُ ؟
وَلِمَنْ سَافِيءٌ ؟ لِمَنْ كَانَ قَبْلُ ؟
لِمَنْ صَارَ بَعْدُ ؟ التَّنَازُعُ فِي احْتِرَابٍ ،
وَكُلِّي مُسْتَبْسِلٌ .

صَانِعُ رُقْعَةٍ مِنْ تُرَابٍ
خِيَمَةٌ وَنَوَافِذُ مِنْ شَطَلَحَاتِي
خَالِقُ جَنَّةٍ مِنْ رَمَادٍ
أَتَغْلَغُلُ فِي عَزِيهَا ، وَأُمَثِّلُ نَفْسِي
طَائِرًا ، مَرَّةً ، حَجَرًا مَرَّةً
وَأُمَثِّلُ نَفْسِي
أَلْفًا ، مَرَّةً ، وَبَاءً
مَرَّةً ،
وَأُكَاشِفُ هَذِي الصُّورَ :
عَيْنٌ صَقَرٍ تُبَارِكُ عَيْنِي بَيْنَ الْبَشَرِ ،
وَلِيَّ الْأَبْجَدِيَّةِ بَيْتٌ وَلِيَّ حِكْمَةِ الْعَذَابِ .

أَيْهَذَا الْمَدَى الْعَرَبِيُّ ، الْمَدَى الْغَيْهِيُّ
كَيْفَ أُعْطِيَ لِوَجْهِي وَجْهَكَ مِنْ أَوَّلٍ ،
وَلِسَانِي أَمْسَى غَرِيباً
وَعَصْرِي هِيَ بَنُ بِي .

لَسْتُ مَا شِئْتُهُ ، لَسْتُ مَا لَا أَشَاءُ
لَيْسَ لِي سِيرَةٌ ، لَيْسَ لِي مَوْطِنٌ
غَيْرُ هَذَا التَّشْرِيدِ بَيْنَ حُرُوفِ الْهَجَاءِ .

(باريس ، نوفمبر ، 1993)

القصيدۃ فير المکتلة

مَمَزُوجاً

بِالْأَنْقَاضِ ، بِكُلِّ غِبَارٍ مَنُشُوراً
 فِي كَوْنٍ يَتَفَتَّتُ بَيْنَ يَدَيَّ أَعَانِقُ يَوْمِي
 خَلْفِي وَأَرَى جَسَدِي قُدَّامِي أَنَا مَنْ يَتَكَلَّمُ هَذِي اللَّحْظَةَ؟ شَخْصٌ
 آخَرٌ يَسْكُنُ فِي؟ بَأَيِّ خُطَى اتَّقَدَّمُ نَعْوِي وَأَنَا الطَّالِعُ مِنْ إِشْرَاقِ الْمَغْنَى
 أَجْهَلُ حَتَّى وَجْهِي؟

هَلْ فِي الْأَمْسِ صَلَاةٌ

تَرَوِي عَطَشَ الْيَوْمِ ، وَأَيْنَ سَيَجْلِسُ هَذَا الْفَجْرُ الْآتِي؟

وَالْوَقْتُ غُرُوبٌ وَالْأَشْجَارُ تُزَرِّدُ ثَوْبَ الشَّمْسِ وَهَذَا حَرْفُ الْعَيْنِ
 وَحَرْفُ اللَّامِ وَحَرْفُ الْيَاءِ وَلَكِنْ هُوَ فِي مُعْجَمِ هَذَا الْوَقْتِ حُرُوفٌ أُخْرَى
 وَأَسْمَ آخَرَ ، لَكِنْ هُوَ ذَا يَتَبَخَّرُ فِي أَنْفَاسِ الْوَقْتِ سَجِيناً
 مَسْجُوناً بَيْنَ يَدَيْهِ
 مَسْجُوناً فِي مَا يَلْفِظُهُ

وَالْيَوْمَ سَقَاهُ إِبْرِيْقٌ يَهْذِي / يَهْذِي مَعَهُ ، -

أَلْيَوْمَ أَمُوتُ لِنَفْسِي دَاخِلَ نَفْسِي

وأجاهرُ أن الميّتَ حيٌّ فيَّ وأنّي حيٌّ فيه
 أليومَ أخطُ وصيّةَ شعري في دَفْتِرها (لا أعرفُها)
 لن يفهمها غيرُ جنوني ،
 أليومَ أطعتُ جنوني
 مَنْ تأخذني
 مَنْ مِنْكُنَّ تجيءُ نُضيءُ ، وأعني
 شجراتُ تنمو في دُرّواتي ومهبّ رياحي
 وبُحيرات
 رَسَمَتْها وارْتَسَمَتْ فيها شُطانُ جِراحِي .

ماذا يُجِدِينِي
 أن أتألفَ معَ وقتي ، أو أن أغسلَ صَدْرِي مِنْهُ؟
 لَعَنِي تَتَوَلَّبَ صِدِّي تَنَأَى عَنِّي ، ودروبي تَنفَرُ مِنِّي ، لَكِنْ
 هَلْ يُجِدِي صَمْتُ فِي هَذَا الصَّبْحِ الرُّمْلِي المَزْرُوعِ
 فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ هَلْ تُجِدِي سُنْبُلَةً
 يَلْتَفُّ بِهَا رَأْسٌ مَقْطُوعٌ؟

لَوْ كُنْتُ مَلَكْتُ السُّحْرِ ، — خَفَاءَ السُّحْرِ وَفِعْلَ السُّحْرِ ، وقلتُ : الصَّخْرَةُ
 غَيْمَةٌ
 والرَّغْبَةُ شَمْسٌ ، والفِكْرَةُ خَيْمَةٌ
 هَلْ كُنْتُ سَاقِدَرُ أَنْ أَبْنِي

أُسْطُورَةٌ حُبٌّ؟ وَأَصِيرَ رَفِيقاً
لَا دُونِيْسٍ أَوْ عَشْتَارٍ فِي ذَاكَ الْوَطَنِ الْإِنْسِي الْمَنْسِي؟
هَلْ كُنْتُ سَاقِدُرٌ أَنْ أَسْتَأْصِلَ جَذَرَ الْخِنْزِيرِ الْوَحْشِيِّ؟
مَاذَا يُجَدِّدُنِي
أَنْ أَتَأَلَّفَ مَعَ وَقْتِي ، أَوْ أَنْ أَغْسِلَ صَدْرِي مِنْهُ؟ كَلّاً
لَا يَغْنِينِي فِيهِ إِلَّا قَرَصُ الشَّمْسِ وَالْأَقَرَصُ الشَّمْسِ وَقَرَصُ الشَّمْسِ ،
وَلَكِنْ
سَأُظَلُّ أَعَاشِرُ مَوْتِي - أَحْيَا غَوْصاً فِي أَشْلَاثِي
هُوَذَا أَخْرُجُ ، أَغْلِقُ خَلْفِي بَابَ الْمَعْنَى
أَدْعُو الْغَيْمَ وَأَدْعُو الرِّيحَ وَأَدْعُو
شَجَرًا وَحَقُولًا وَخَلَائِقَ أُخْرَى وَمَعاً سَنَقُولُ سَلاماً
لِلْأَشْيَاءِ تَمُوتُ وَتُولَدُ فِي الْكَلِمَاتِ ، وَلِلْكَلِمَاتِ تَمُوتُ وَتُولَدُ فِي الْأَشْيَاءِ .

أَعْرِفُ مَا سَيَقُولُ الرَّمْلُ لِشِعْرِي
وَسَأَقْبَلُ مَا سَيَقُولُ وَأَبْقَى فِي صَمْتٍ .
لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَحَاوِرُ ، كَيْفَ أَرُدُّ ، - حِوَارِي
غَوْصٌ فِي مَا أَجْهَلُهُ ، وَرُدُودِي تَشْهَدُ ضِدِّي
أَحْوَالِي صَمْتُ يَسْتَنْكِرُنِي ، وَأُؤَافِقُهُ
وَيُؤَافِقُهُ شِعْرِي
عَالَجْتُ أُمُورَ الشَّعْرِ أُمُورَ النَّثْرِ ، وَأَجْهَلُ كَيْفَ أَعَالِجُ أَمْرِي .

— أَنْتَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ وَالْوَقْتُ يَضِيقُ تُفِيقُ فَرَايْسُ تُصْرَخُ فِيكَ ، فَرَايْسُ تَهْوِي
فِيكَ فَرَايْسُ
تَسْأَلُ عَنْكَ ، —

الْأَرْضُ أُسِيرَةٌ فَلَكْتِهَا
وَالْمَغْزُولُ كَمِثْلِ الْغَازِلِ ، طِينٌ .

— جُرْحٌ يَتَأَجَّجُ فِيهِ ، وَيُحَاصِرُهُ
يَغْرَقُ فِيهِ ، يَطْفُو ، وَيُلَاقِسُهُ
وَيُنَابِذُهُ ، وَيُؤَالِفُهُ
وَيُهَاجِرُهُ مِنْهُ ، يَعُودُ إِلَيْهِ
جُرْحٌ يَتَفَتَّقُ بَيْنَ يَدَيْهِ
فِي قَدَمَيْهِ ، وَفِي شَفَتَيْهِ ، وَفِي عَيْنَيْهِ
يَتَمَوَّجُ بَيْنَ ضِيفَافٍ
لَا تَتَأَخَى ، لَا تَلْتَنِمُ
وَالْأَيَّامُ حِرَابٌ تَتَكَسَّرُ فِيهِ ، وَالشَّمْسُ دَمٌ .

— أَنْتَ الْيَوْمَ ، وَحِيدٌ فِي نَبْضِكَ فِي مَا تَأْتِي مَا تَحْكِي وَعَلَى كَتِفِكَ بَيْوتُ
لِعِنَاكِبَ
تَخْرُجُ مِنْهَا أَشْبَاحٌ تَخْرُجُ مِنْهَا
آلَاتُ تَخْرُجُ مِنْهَا أَرْضٌ كَبْرَى
تَتَلَجَّجُ فِيهَا تَتَزَلْزَلُ فِيهَا هَذِي الْأَرْضُ الصُّغْرَى .
— أَعْطَيْتُ ذِرَاعِي لِلْمَقْهَى وَلِكُرْسِيِّ

ذَبَلْتُ عَيْنَايَ عَلَى جُذُرَانِ الْمَقْهَى
 ذَبَلْتُ قَدَمَايَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَقْهَى
 نَامَ الْكَرْسِيُّ وَنَامَ الْمَقْهَى
 جَسَدِي حَشْدٌ مِنْ أَجْسَادٍ تَتَزَاحَمُ ، أَصْغِي
 هَذَا وَرَقٌ هَذَا أَرْقُ هَذَا يَهَيِّطُ ذَلِكَ يَعْلُو
 وَالْوَقْتُ خَيَوطٌ
 وَالغَزْلُ كَرِيمَةٌ تَرْدُ .

أَنْتَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ وَهُوَ الْيَوْمَ وَحِيدٌ لَا تَبْحَثُ عَنْهُ لَنْ تَلْقَاهُ حَيْثُ تَظُنُّ
 وَلَنْ تَلْقَاهُ
 حَيْثُ يَظُنُّ ، رُؤَاةُ
 عَمَلٍ يَبْحَثُ فِيهِ عَمَّا قَالَ وَعَمَّا سَبَقُولُ ، خُطَاهُ
 صُورٌ يَبْحَثُ فِيهَا عَمَّا يَعْمَلُ : لَيْلٌ
 يَتَنَوَّرُ لَيْلًا .
 حَقًّا ،

لَمْ أَتَعْلَمْ شَيْئًا مِنْ هَاوِيَةِ أَنْتِقَرَاهَا بَيْنَ عُروْقِي فِي كَلِمَاتِي
 لَمْ أَتَعْلَمْ إِلَّا وَرَقًا يَتَسَاقَطُ مِنْ أَشْجَارٍ لَا تَنْبِتُ إِلَّا فِي خُطَوَاتِي
 لَا شَيْءَ هُنَا لَا شَيْءَ هُنَاكَ إِلَّا لُغَةٌ / الْفَاطُ
 تَتَشَرَّدُ فِي الْفَاطِ ،

لَا سَبَبُ
 إِلَّا رِيحٌ تَأْتِي وَتَرْوَحُ وَالْأَمْوَجُ يَصْطَرْبُ

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ يُقِيمُ وَكَيْفَ يُسَافِرُ فَيْكَ اللَّهْبُ
كَيْفَ يَكُونُ الْأَحْمَرُ لُجْأً ، وَالْأَخْضَرُ مُوجَأً ؟
لَكَ وَجْهٌ اللَّيْلِ دَلِيلُ
وَلَوْجْهَكَ هَذَا السِّرُّ ، وَهَذَا السَّيْرُ ، وَهَذَا التَّعَبُ .

لِمُصَادَفَةٍ
تَسْقُطُ مِنْ أَحْضَانِ مَلَائِكَةٍ أَوْ تَصْعَدُ مِنْ أَغْوَارِ حَرِيقٍ اسْلَمْتُ طَرِيقِي ،
وَسَأَتْرُكُ لِلْكَلِمَاتِ تَسِيلُ كَنْهَرٍ أَوْ تَتَبَجَّسُ مِنْ صَخَرٍ وَثَلَابِسُنِي ، وَثَلَابِسُ
أَشْيَائِي ،
وَلَيْتَنِي رَسَمْتَنِي بِخَطوطٍ أَوْ ألَوَانٍ أَوْ أَشْكَالٍ أَوْ أَفْكَارٍ تُخَطِّئُنِي
وَلَيْتَنِي أَخْطَأْتُ ،
فَلَسَوْفَ أَقُولُ : الْآنَ بَدَأْتُ .

هَلْ تَقْضِي الْحِكْمَةَ مِنِّي
أَنْ أَمْلِكُ رَأْساً آخَرَ؟ لَكِنْ
لَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ أَطْبِيعُ - وَهَذَا ،
هَذَا الْجَسَدُ اللَّمْفَاوِيُّ ، الْجَسَدُ الْمَاكِرُ يَسْخَرُ مِنِّي ، وَيُغَاوِينِي
مَاذَا لَوْ قُلْتُ : سَأُعْلِنُ حَقّاً آخَرَ لِلْإِنْسَانِ : أَذُوبُ عَقْلِي فِي وَسْوَاسِي وَأَذُوبُ
وَسْوَاسِي
فِي عَقْلِي - أَلَا عِلْمٌ

وَجَسُورَ وَصَالٍ

بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَبَيْنِي ، وَأَعِيشُ غَرِيباً

كَدِيُوجِينَ فِي بَرْمِيلٍ
 أَوْ سَمْعَانٍ فَوْقَ عَمُودٍ .
 مَاذَا لَوْ قُلْتُ لَذَاكَ الطِّفْلُ النَّائِمُ فِي : اسْتَقِظْ وَالْبَسْنِي
 وَاجْمَعْ كُتُبِي - لَا تَنْسَ الْأَوْرَاقَ الْأُخْرَى
 وَمَحَاطِرَهَا ، وَمَمَاحِيهَا ، وَالْأَقْلَامَ
 ذَوَّبْ فِيهَا هَذَا الشَّيْخَ الْمَتَبَرِّمَ فِي الْعَائِمِ فِي زَيْدِ الْأَيَّامِ
 وَلْتَضْحَكْ أَسْنَانُ الْمِشْطِ : النَّاسُ ، الْأَشْيَاءُ ، سَوَاءٌ
 فِي حَبْرِ التَّكْوِينِ
 قُدُّوسٌ هَذَا الْجَسَدُ الْمَتَكُونُ مِنْ صَلَاصِلِ
 قُدُّوسٌ هَذَا الطَّيْنُ .
 أَضَعُ الْآنَ يَدَيَّ عَلَى كَتِفَيْهَا (لَا أَعْرِفُهَا) وَأُنَادِي : يَا مَوْجُ ! جَفَافٌ
 وَالْأَحْلَامُ سُقُوفٌ تَهْوِي
 وَالْبُلْدَانُ تَضِيقُ وَتَنْحُلُ ، تَغْدُو - لَا أَعْرِفُ مَاذَا ،
 وَأَقُولُ : الشَّرْقُ غِبَارٌ
 وَالْغَرْبُ هَوَاءٌ مَسْمُومٌ ،
 أَيْنَ الْأَرْضُ ؟ وَأَسْأَلُ : كَيْفَ تُغَيِّرُ تِلْكَ الصُّورُ ؟
 هَلْ كَتَفَاكَ نَبُوءَةُ جِسْرٍ
 أَهْمَا أَرْضٌ تَأْتِي ؟
 هَلْ أَنْتَظِرُ ؟
 كَلَّا ، لَا شَرْقَ ، وَلَكِنْ
 لُغَةٌ فِي الشَّرْقِ ، رَأَيْتُ الدَّمَاعَ يَسِيلُ كَحَبْرِ فِيهَا ، وَالْحَبْرُ يَسِيلُ كَدَمْعٍ حَيْثُ

الزيتونُ خيامٌ
يتنزّه فيها قمرٌ يسهرُ فيه عشاقُ الليلِ (قميصي)
ما زالَ كما لبستُهُ أيامَ شبّابي
مقدوداً ، لكنّ من قبلِ

ما أبعدَ ذاكَ الشرقَ - الزيتونَ ، الحبُّ ، الوعدُ ، البابُ ، العتبةُ
شرقٌ لا يملكُ إلاّ
وعدَ الموتِ ، وإلاّ
تلكَ الخشبةُ .

تأتي طُرقي من غير رجاءٍ تمضي لا أشعُرُ أنّي خِبتُ ، وأُعرفُ ماذا كانَ
الرملُ وما
سيكونُ / الحبُّ يؤاخي

بينَ المَلحِ ورِغوةِ هذا الزّبدِ - الزّبدِ النّافرِ من أمواجِ خطايِ
الرّاقصِ حولِ ضيفافِ الأبدِ - الأبدِ المتكسرِ متوجاً
في لحظاتي في صَبّواتي -

قلُ شيئاً يا هذا الغيبُ الآتي
أقولُ النّجمُ هداني أو يهديني
هلْ أترصدُ ما يقتلني؟
هلْ أَرصدُ وجهاً يُنفيني؟

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي -

أَدْخُلُ سَمَّ خِيَاطٍ
مِلءَ تَخْوَمِ الْعَزَلَةِ ، فِي مَنْدِيلٍ - آخِرِ مَا نَسَجْتُهُ
فِي قَوْلٍ - آخِرِ مَا قَالَتْهُ
حَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ كَمِثْلِ الْعِلْمِ ، وَحَيْثُ تَكُونُ الْحَيْرُ
وَأَخِيطُ فَتَوْقَ زَمَانِي
حُبًّا حِينًا ، شِعْرًا حِينًا .

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي / خَيْطُ

مِنْ أَشْجَارٍ
تَتَدَلَّى فِي شُبَاكِي ،
وَالْأَغْصَانُ سَوَاعِدُ ، لَا - أَغْنَاكَ تُوْغِيلُ فِي أَغْنَاكِ .

سَأْفِيءُ لِحَيْطِي

وَأَرَى كَيْفَ يَصِيرُ الدَّاءُ دَوَاءً
وَالْوَجْهَ فُضَاءً
وَتَصِيرُ الْأُذُنُ مُحِيطًا وَالْعَيْنُ سَمَاءً
وَأَرَى كَيْفَ يُنْقَلُ ذَاكَ الْقَمَرُ الطُّفْلُ خُطَاهُ
فِي طَبَقَاتِ اللَّيْلِ ، وَكَيْفَ يُسَافِرُ حُزْنِي
فِي طَبَقَاتِ اللَّيْلِ ، وَفِي أَخْلَاطِ هَوَاهُ
وَيُعَبِّئُ كُلَّ حَقَائِبِهِ الْوَانَا يَسْتَشْنِي مِنْهَا لَوْنِي
وَأَرَى كَيْفَ أَصِيرُ الْآخِرَ حِينَ يَكُونُ الْأَوَّلُ بَعْدِي

وَيَصِيرُ الْعَالَمُ زِقًا لَا يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا بَحَارٌ لَمْ يَعْرِفْ بَحْرًا
أَتَطَهَّرُ فِي هَاوِيَةٍ ، أَغْنِي أُنْعَمُ فِي لَا شَيْءٍ - فِي كَلِمَاتٍ تَنْتَزِلُ مِنْ تِيهِ ، أَوْ
مِمَّا يُشْبَهُ
تِيهَا .

سَأَفِيءُ لَخَيْطِي ، فِي لُغَتِي
أُخْنِي كَتَفِي عَلَيْهَا وَتُسَافِرُ فِي أُسَافِرُ فِيهَا وَتَحْفُ بِنَا أَضْغَاثُ
تُخْوِمُ تَتَمَطَّى فِي شُرَفَاتِ الْمَوْتِ طَيُورٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يقرأَهَا إِلَّا
بَحَارٌ لَا أَرْضَى لَهُ لَا بَيْتَ لَهُ .

أُخْنِي كَتَفِي عَلَيْهَا - لُغَةٌ تَتَحَدَّرُ مِنْ أَعْلَى وَتَغُورُ وَتَعْلُو فِي التَّارِيخِ ، -
أُسُومَرُ تَصْعَدُ فِيهَا؟ هَلْ لِبْنَانٍ ، أَمْ يُونَانَ؟ لُغَةٌ لَا تُثْمِرُ إِلَّا لُغَةٌ
تَتَقَرَّى الْوَجْهَ الْآخَرَ مِنْ أَنْقَاضِ الْمَعْنَى
لُغَةٌ تَسْكُرُ بِاللَّاشِيءِ وَبِالْأَمَعْنَى ، وَبِكُلِّ هَبَاءٍ تُفْتَتِنُ .

شَفِيءَ الْقَرْمِيدِ وَطَابَ الْأَصْفَرُ لَكِنْ
مَا زَالَ الْأَزْرَقُ يَشْرُدُ بَيْنَ الْمَوْجِ وَلَيْلِ الشَّاطِئِ ، لَكِنْ
لَمْ يَزَلِ الْأَسْوَدُ طِفْلًا ،
أَخَذَ الْفِتْنَةَ ، وَاسْتَنْسَبَهَا ، وَتَغَرَّبَ فِيهَا .

هَلْ أَكْتُبُ تَارِيخًا لِلْأَسْوَدِ أَوْ لِلْأَحْمَرِ ، أَوْ تَارِيخًا لَا لَوْنٍ لَهُ؟
هَلْ أُنْسَى نَفْسِي مِنْ أَجْلِ الشَّيْءِ؟ أَلْأَنْسَى الشَّيْءَ وَأَذْكُرُ نَفْسِي؟ هَلْ مَا

أَلَمْسُهُ

يُغْنِي عَمَّا لَا أَلْمَسُهُ؟

وَلِمَاذَا أَخِيَا فِي هَذَا النُّقْصِ ، إِذَنْ؟

وَلِمَنْ ، وَلِمَاذَا أَكْسِرُ غُصْنَ الْأَرْضِ لِغَيْرِي ، أَوْ أُنْكَسِرُ؟

لَكِنْ ، أَيْنَ الْكَامِلُ؟ كَلَّا

لَا كَامِلَ إِلَّا هَذَا الْحَجَرُ .

سَأَقْدَمُ أَرْضِي (مِنْ زَمَنِ قَدَمْتُ سَمَائِي)

بَاقَةَ زَهْرٍ

لِقَصِيدَةِ حُبٍّ ، لَامْرَأَةٍ ، -

هِيَ ذِي أَفَاقٍ لَمْ أَلْمَحْهَا قَبْلُ ، وَأَوْقِنُ هَذِي اللَّحْظَةَ أَنِّي طِفْلٌ

وَأَحْسَنُ كَأَنِّي

أَتَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا - تِلْكَ الْمَجْهُولَةِ - فِي حِضْنِ الْمَعْنَى فِي فَرْجِ أَحْصَنَةِ

الْمَعْنَى

جَسَدَانَا الْوَاحِدُ ، هَذِي اللَّحْظَةُ ، وَالتَّكْوِينُ يَجِيءُ وَيَمْضِي فِي هَذَا الْوَاحِدِ ،

مَثْنَى مَثْنَى .

- أَسْسُ غَدَاكَ الْآنَ ، تَكَلِّمْ .

لَمْ أَتَكَلَّمْ

فِي شَفْتِي خَنَادِقُ فِي شَفْتِي كُهُوفٌ لَمْ أَتَكَلَّمْ وَقَمِي قَبْرٌ .

مَكْسُوراً

فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَسَدِي
فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ لُغَتِي
شَيْءٌ يَدْخُلُ فِي كَلِمَاتِي يَخْنِقُهَا
شَيْءٌ يَخْرُجُ مِنْ كَلِمَاتِي يَنْفِيهَا
مَنْ أَوَاهَا يَتَشَرَّدُ فِيهَا
مَنْ طَارَدَهَا تُؤْوِيهِ

وَالرَّيْحُ تَجَدَّدُ شَيْخُوخَتَهَا فِي مَوْتِ خُطَايَ / خُطَايَ تُجَدَّدُ شَيْخُوخَتَهَا فِي
مَوْتِ الْمَعْنَى
وَالسَّاحَةُ قَشٌّ وَقُتَاتُ قُشُورٍ
وَأَكَادُ أَحْسُ الْجَذَرِ يَغْنُ ، وَمَاذَا؟
أَسْلَاماً أَلْقِي ، أَمْ نَاراً؟
وَأَقُولُ : سَأُطَبِّقُ أَهْدَابِي ، وَأُحَاوِلُ أَنْ أَسْتَرْجِعَ مَا كُنْتُ رَأَيْتُ عَيَاناً ، -
هُوَ ذَا - لَا الْمَحْ إِلَّا تُقْبَأُ إِلَّا
قِنْدِيلاً يُشْبَهُ رَأْسِي
وَلِحَافاً وَرْدِيّاً -
كَلَّا ، خُمْرِيّاً . كَلَّا ، أَسْوَدٌ؟ أَبْيَضٌ؟ أَخْضَرٌ؟ كَلَّا
لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعْطِيَهُ
لَوْناً أَوْ شَكْلاً

وَأَرَى الْأَرْضَ تَصِيرُ سَمَاءً

وأوشوشُ نفسي داخلَ نفسي : أأرى حقاً ، أم أترأى ؟

فرغ المسرحُ والأصواتُ بلا أجسام والأجسامُ بلا أصوات
سَقَطَ الجِسْمُ الصوتُ (المسموعُ هباءً والمرئيُّ خيالٌ والسماعُ ظِلٌّ) سَقَطَ
المسرحُ : كُلُّ

يَتَغَلَّغُلُ فِي وَحْدَتِهِ
كُلُّ يُوغِلُ فِي سَقَطَتِهِ

لُغَةٌ تَتَنَاسَلُ رَمَلٌ لُغَاتُ
لا نَبَرَاتُ ، لا أَسْمَاءُ
ما أغربَ هذا الإغصارَ الجارِفَ أَشْرَعَةَ الأشياءِ .

قولوا للمُنْبُوذِ : اسْتَخْلِصْ
رُكْنًا ، أَوْ زَاوِيَةً
قولوا للتَّارِيخِ : اسْتَسْلِمِ
لِلرَّيْحِ ، وَقُولُوا
لِلصَّحْرَاءِ : الْمُفْرَدُ أَنْتِ وَأَنْتِ الْجَمْعُ ، وَقُولُوا :
هُوَذَا الْوَطَنُ

مَخْلُوقٌ مِنْ عَرَبَاتٍ مِنْ أَشْلَاءِ
لا الشَّمْسُ تَرَاهُ ، وَلَا يَتَجَرَّأُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِيهِ الزَّمَنُ .
عَفْوًا - لا أعرفُ مِنْ أَيِّ لُغَاتٍ جِئْتُ ، لَأَيِّ لُغَاتٍ
سَوْفَ أَجِيءُ ، نَسِيتُ حَيَاتِي

وَإِكَادُ أَقُولُ لِهَٰذِي اللَّحْظَةِ : لَمْ أَبْدَأُ
وَطَرِيقِي نَثْرٌ
يَذْرُوهُ الْعَصْفُ ، سِهَامٌ — وَالْقَوْسُ انْكَسَرَتْ
وَمَجَازٌ ، لَكِنْ لَا أَلْمَحُ جَسْرًا .

شُكْرًا — لِلرَّيْحِ ثَلَامِيسُ وَجْهِي وَتُعَلِّلَنِي
وَأَمَدًا إِلَيْهَا كَفْيٌ ، وَشُكْرًا
لِلرَّمْلِ يَنَامُ عَلَى كِتْفَيْهَا مِثْلِي
شُكْرًا — لِلرَّبِّعِ خَلَاءٌ
وَلِرَّبِّعٍ يَخْلُو
شُكْرًا — لِلصَّخْرَاءِ

مِرَاةً أَقْرَأُ فِيهَا وَجْهِي أَقْرَأُ فِيهَا
وَهُمْ خُطَايَ وَوَهُمَ الْمَاءُ .

أَتَكَلَّمُ — هَلْ يَسْمَعُنِي
إِلَّا نَسَمٌ يَتَحَرَّكُ فِي أَشْجَارِ فُضَائِي
أَكْتُبُ — هَلْ يَقْرَأُونِي
إِلَّا هَذَا اللَّهَبُ الْقَاتِلُ أَرْضِي اللَّابَسُ أَرْضِي
بِاسْمِ سَمَائِي؟

أَلْحَقْ أَقُولُ : اللَّيْلُ صَبَاحِي وَالْفَجْرُ مَسَائِي
وَسَأَخْرِجُ مِنْ نَفْسِي

لأَرَى نَفْسِي -
تَخْرُجُ مِنْهَا أَرْضٌ كُبْرَى
تَجْهَلُ كَيْفَ تَسِيرُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَسْكُنُ فِيهَا
هَذِي الْأَرْضُ الصَّغْرَى .

(باريس ، أواخر أيار 1993)

الفهرست

13	الفراغ
22	العمل
27	الثائر (مقاطع)
35	مجنون بين الموتى
49	السديم
61	سمعته وفمه حجارة
65	البعث والرماد
85	الصقر
87	— أيام الصقر
95	— تحولات الصقر
133	جنازة امرأة
143	الرأس والنهر
167	السماء الثامنة (رحيل في مدائن الغزالي)
197	تعويذات لمدائن الغزالي
203	مرآة الطريق وتاريخ الغصون
221	هذا هو اسمي
241	مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف
257	قصيدة ثمود
283	قصيدة البهلول
295	قصيدة بابل

315	الوقت
329	اسماعيل
355	قبل أن ينتهي الغناء
367	البرزخ
387	وردة الأسئلة
397	أغنية إلى حروف الهجاء
411	القصيدة غير المكتملة

تصميم وعطراف الكتاب محمد سعيد الشكري



عِشْ أَلْقَا وَابْتِكِرْ صَبْدَةَ وَامْضِ

زِدْ سَمَةَ الْأَرْضِ .

ISBN => 2-84305-004-9
RAN => 0789847050045